تجربة الاتحاد الألماني من خلال برلمان فرانكفورت ١٨٤٨-١٨٤٩م.

إعداد
أمجد أحمد سليمان الزعبي

المشرف
الأستاذ الدكتور عبد المجيد الشناق

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراة
في التاريخ

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

أيار ،٢٠١٠م

الجامعة الأردنيـة
كلية الدراسات العليا

نموذج رقم (١٨)
اقرار والتزام بقوانين الجامعة الأردنية وأنظمتها وتعليماتها لطلبة الماجستير والدكتوراة

أنا الطالب: أمجد احمد سليمان الزعبي الرقم الجامعي: ٩٠٦٠٠٤٤
التخصص: التاريخ الكلية: الآداب

عنوان الرسالة / الاطروحة
تجربة الاتحاد الالماني من خلال برلمان فرانكفورت ١٨٤٨ - ١٨٤٩

أعلن بأنني قد التزمت بقوانين الجامعة الأردنية وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول المتعلقة باعداد رسائل الماجستير والدكتوراة عندما قمت شخصيا" باعداد رسالتي / اطروحتي ، وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل والأطاريح العلمية. كما أنني أعلن بأن رسالتي /اطروحتي هذه غير منقولة أو مستلة من رسائل أو أطاريح أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة اعلامية، وتأسيسا" على ما تقدم فإنني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في الجامعة الأردنية بالغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيع الطالب: .... التاريخ: ١٦ / ٥ / ٢٠١٠م

الجامعة الأردنية

نمـــوذج تفـــويض

أنا أ مجد احمد سليمان الزعبي ، أفوض الجامعة الأردنية بتزويد نـــسخ من أطروحتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبها.

التوقيع:

التاريخ: ١٦/ ٥/ ٢٠١٠

الإهداء ...

إلى أرواح طاهرة وفاء بالرسالة...بسر الفاتحة...

الطبيب الإنسان نسيبي...والذي كان بمثابة الوالد ....

د. حمد محمود أبو الرب ...

أستاذيّ الكبيرين ...

الأستاذ الدكتور :ممدوح الروسان...

الأستاذ الدكتور :محمد صالحية ...

رحمهم الله جميعا

إلى والدي . أطال الله عمره . الذي قدم وضحى ولا زال...

إلى نور عيني أمي...

إلى عائلتي الصغيرة ...

رفيقة العمر... برجيت ...

أحبائي : رزان، ميره، جنى ،أحمد ...

أمجد

شكر وتقدير

أتقدم من أستاذي الأستاذ الدكتور عبد المجيد الشناق بجزيل شكري وعرفاني ،كما أتقدم بالشكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة أساتذتي:الأستاذ الدكتور علي محافظة،الأستاذ فرهارد إبراهيم سيدر والدكتورة ميسون عبيدات على تفضلهم بمناقشة هذه الرسالة. واشكر الأخوة الذين لم يبخلوا بجهودهم في مساعدتي على انجاز هذا العمل ،وأخص بالذكر الدكتور رياض أبو الرب الذي استضافني خلال فترة إقامتي في ألمانيا ورازي شطناوي الذي سهل لي الحصول على الدعوة من المعهد الألماني للتاريخ في فرانكفورت الذين أتقدم لهم بشكري وخاصة الدكتور شنايدر (Schnieder).والأخ هاشم خليل ورفيق الحاج ومحمد الحاج.ولا أنسى الأستاذ الدكتور فرهارد إبراهيم سيدار على مراجعة بعض النصوص الألمانية في الخط القديم .

فهرس المحتويات

قائمة الجداول

قائمة الأشكال والصور

قائمة المختصرات:

Number	Subject
1.	**ADB** ….Allgemeine Deutsche Biographie.
2.	**AFGK**… (Archiv für Frankfurts Geschichte und Kunst) der Abgeordnete für Wittenberg in der Nationalversammlung, Chef des Zentralbürous des Reichskriegsministeriums und Kommandant von Frankfurt am Main 1848-1854.
3.	**DHAA** …Demokratische Hauptstadt .Angermünder Anzeiger, Frankfurt am Main 1848.
4.	**NDB**…Neue Allgemeine Deutsche Biographie.
5.	**OBVGP**…Offizieller Bericht über die Verhandlung zur Gründung eines den deutschen Parlaments. Frankfurt am Main, 1848.
6.	**RBA**…Rheinishe Briefe und Akten zur Geschichte der politischen Bewegung .
7.	**RGB**…Reichs-gesetz-blatt, Berlin,1867.
8.	**RPKF**…Reden, Proklamationen, Botschaften, Erlasse und Ordern Seiner Majestät des Königs Friedrich Wilhelm IV. 2. Abt. 2. Aufl. Berlin 1855.
9.	**SBVDKN**…Stenographischer Bericht über die Verhandlungen der deutschen Konstituiernden Nationalversammlung zu Frankfurt am Main. Herausgegeben auf Beschluß der Nationalversammlung durch die Redationskomission und deren Auftrag von Prof.Franz Wigard 7 Bände.
10.	**TANPS-IV**…Tabellen und Amtliche Nachrichten über den Preußischen Staat für das Jahr 1849, Band. IV, Die Resultate der Verwaltung enthaltend, Berlin 1853.

تجربة الاتحاد الألماني من خلال برلمان فرانكفورت ١٨٤٨-١٨٤٩م.

إعداد

أمجد أحمد سليمان الزعبي

المشرف

الأستاذ الدكتور عبد المجيد الشناق

-الملخص-

تتناول هذه الدراسة تجربة رائدة من تجارب التاريخ الألماني وأحداثه السياسية ؛وكان الهدف الأساس من هذه الدراسة تغطية النقص في المكتبة العربية في مثل هذه الموضوعات المتخصصة التي أعطت صورة واضحة عن مجمل التاريخ الألماني ما بين ١٧٨٩-١٨٤٩م ، فبرلمان فرانكفورت هو أول برلمان قومي ألماني يتم انتخابه على أساس المشاركة الشعبية العامة والذي نتج عنه أول دستور ألماني ولائحة الحقوق الأساسية للشعب الألماني ،بعد أن قامت الثورة الألمانية في آذار ١٨٤٨م ،والتي كانت أسبابها عميقة الجذور بدأت مع انطلاقة الثورة الفرنسية ١٧٨٩م والتي كان تأثيرها عظيما على تطور الفكر السياسي والليبرالي ،ومن جانب آخر كانت الأزمة الاقتصادية قد انعكست آثارها على حياة المواطن الألماني مما هيأ الأجواء المناسبة لانطلاق الثورة وبالتالي قيام الوحدة الألمانية الأولى من خلال برلمان فرانكفورت .

عالجت الدراسة العلاقة الجدلية ما بين الدولة والأمة واللغة وتطرقت لتطور الفكر الليبرالي الألماني في النصف الأول من القرن التاسع عشر ،كما عالجت موضوع نمو البرجوازية الألمانية من الثورة الصناعية وحتى ثورة آذار ١٨٤٨م ،وما رافق هذا النمو من توترات اجتماعية ،والأزمات التي قادت إلى الثورة خلال مرحلة الأربعينيات من القرن التاسع عشر .وتطرقت إلى الانتخابات الألمانية وتشكل البرلمان والاتجاهات السياسية داخل البرلمان والوحدة الألمانية من خلال البرلمان .وخلصت الدراسة إلى أن تجربة الاتحاد الألماني من خلال برلمان فرانكفورت شكلت بعثا جديدا للفكر القومي الألماني، كما صبغت نقاشات برلمان فرانكفورت الفترة اللاحقة ووضعت الخطاب السياسي الألماني في أطر وتوجهات سياسية جديدة . وأخيرا فهذه الدراسة تفتح الباب على دراسات من الممكن أن تكون رسائل جامعية في التاريخ المقارن على سبيل المثال : فكرة القومية العربية والقومية الألمانية،ما بين الجامعة العربية وكونفدرالية الراين أو الكونفدرالية الألمانية .

تجربة الاتحاد الألماني من خلال برلمان فرانكفورت ١٨٤٨-١٨٤٩م.

المقدمة :

حظيت ألمانيا باهتمام كبير في التاريخ الحديث والمعاصر ،نتيجة تأثيرها على مجرى التاريخ العالمي ،فألمانيا الاتحادية لعبت دورا أساسيا ومحوريا في الحربين العالميتين ،لذا فتتبع الجذور الأولى لهذا الاتحاد يصبح ضرورة ملحة لإدراك التطورات والأحداث اللاحقة ،خاصة في ظل غياب الدراسات العربية المتخصصة في مثل هذه الجوانب، فالدراسات العربية ركزت على مشروع الوحدة في الرايخ الأول زمن بسمارك ١٨٧٠م ، وألمانيا بعدالحرب العالمية الأولى إلى نهاية الثانية مع سقوط النازية ،وأهملت التجربة الألمانية السابقة .تأثر الفكر العربي إلى درجة ما بالتجربة العسكرية الألمانية التي بدأت مع بسمارك وانتهت مع هتلر ،أي أن مشروع الوحدة الألمانية الذي تحقق بالحديد والنار مرتين قد أثّر بطبيعة الفكر العربي والتجارب العربية بالوحدة سواء أكان ذلك بطريقة مباشرة أم غير مباشرة ،دون أن يكون للباحثين العرب اهتمامات بتجربة رائدة في ألمانيا التي تتلخص في الوحدة من خلال الإرادة الشعبية وصناديق الاقتراع التي مثلها برلمان فرانكفورت والتي عبرت في مرحلة مبكرة عن تطلعات الألمان نحو الوحدة والحرية ،والتي لا تزال بالنسبة للعرب شعارات مرفوعة بعيدة كل البعد عن الواقع العملي التي تعيشه أمتنا في الوقت الحاضر.

ننظر إلى العلاقة مع الغرب وإلى الدور المسيطر فيه على مجمل الميادين الاقتصادية والسياسية والثقافية ،ونجد أنفسنا دائما في موقع المدافع عن هويته وثقافته وحضارته أمام التفوق الغربي الذي هيمن على كل ذلك ،في عملية بنائية مستمرة تهدد كل القيم التي نؤمن بها وندافع عنها ،لنسلط الضوء دائما على الإمكانات الكبيرة للغرب دون أن نتعب أنفسنا حق التعب في معرفة الآخر بكل تفاصيله وحياته وتاريخه وبناه الاجتماعية والسياسية ،فهل هذا الغرب كل واحد ؟ ألا يمكن أن توجود سبل أفضل من جلد الذات والتحسر على الماضي ووهم السيطرة والمؤامرة الذي أقنعنا أنفسنا به وسهلنا له طريقه ليتتبع مسارات التطور ونتتبع مسارات التخلف والبعد عن المشكلات الحقيقية التي نعاني منها .

يعرف الآخر عنا كل شيء ،فماذا نعرف عن الآخر؟ وما هي حدود معرفتنا به ؟ وما مصادر هذه المعرفة ؟ إن التوسع الاستعماري الغربي على حساب الشرق تجلّى في صنع أطر فكرية تحشر في محيطها ثقافات الأمم والشعوب التي خضعت للاحتواء .ووهم التميز الذي رسم للغرب صورة فاقعة الألوان من ادعاءات العقلانية والموضوعية والعلمية والحكمة مقابل النقيض الذي يمثله الشرق ؛بالتالي على الشرق أن يقبل بهذه المفاهيم والتصورات المتصلة بالتاريخ الغربي

ويبني عليها مثل هذه الصورة .وهنا يبرز السؤال الذي انطلقت منه هذه الدراسة :ماذا قدمنا من جهود لمعرفة الآخر بصورته الحقيقية ؟هل تعرفنا على تفاصيل دقيقة بجوانب حياته المختلفة؟ .

يتشابه التاريخ العربي المعاصر مع التاريخ الألماني في كثير من الجوانب خلال فترة الدراسة وخاصة في مجال تعدد الدول الألمانية ونظام الكونفدرالية التي تم فرضها بعد تسوية فينا ١٨١٥م كنظام إقليمي سيطر على الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية الألمانية ،والعداء الكبير من الدول المحيطة والدول الكبرى لأي مشروع وحدوي ألماني ،والتشابه الكبير أيضا في مجال الفكر القومي وتحديد الهوية ،التي استطاع الألمان تجاوزها وبناء دولتهم القومية عبر نضال طويل ،وقد لا يكون مبالغا فيه القول بأنه وعند مرحلة جمع المعلومات للبحث وترتيبها وتنظيمها وجدت نفسي كأنني أتعامل مع الواقع العربي الراهن بكل تناقضاته وبنيته الواهنة.

بدأت اهتماماتي بالتاريخ الألماني في فترة مبكرة من حياتي العلمية وكان من المفروض أن تكون رسالة الماجستير في هذا الموضوع ،إلا أن ضعف الإمكانات المادية في تلك الفترة حال دون الكتابة فيه؛ ليكون موضوع رسالة الدكتوراة بعد فترة طويلة ،وكان اختياري لهذا الموضوع مع علمي بالصعوبات والعقبات التي يمكن أن تواجهني فيه ،إلا أنه شكل حالة من التحدي في ضرورة بناء صورة عن قرب عن الأوروبيين بشكل عام والألمان بشكل خاص ،في موضوع متخصص بدرجة كبيرة جدا ويتطلب الحصول على المعلومات من مصادرها الأولية وبالتالي كان لابد من السفر ،لذا كانت الرحلة التي غيرت فيّ على المستوى الشخصي ،وكانت مزيجا من المتعة والتعب والجهد الكبير في الوصول إلى المعلومات اللازمة في أقل وقت ممكن لأن المكوث فترة أطول يعني مزيدا من النفقات التي تفوق القدرة .

وقد كانت اللغة عائقا في البداية على الرغم من أنني سعيت لبناء نفسي بشكل جيد في اللغة الألمانية من خلال التحاقي بالمعهد الألماني في عمان لأكثر من سنة ،واشتراكي في أكثر من برنامج لتعلم اللغة الألمانية عبر الانترنت ،ولكن المشكلة لم تكن في كل هذا ،إنما بالخط الألماني القديم الذي كان مستخدما في تلك الفترة،مما اضطرني للاستعانة بإحدى الطالبات العربيات في قسم اللغات التي أرشدتني إلى الوثائق التي أحتاجها والتي استدعت السفر إلى دمشق لترجمتها بعد عودتي من المانيا .وواجهتني صعوبات أخرى تمثلت بعدم قدرتي على الحصول على تمويل لمشروعي من أية جهة رغم أنني طرقت أكثر من باب – المؤسسات الألمانية في الأردن ومنها أيضا مؤسسات ألمانية في ألمانيا– إلاّ أن كل الجهود التي بذلتها في سبيل ذلك كانت دون جدوى . بالإضافة إلى صعوبة الحصول على التأشيرة.

اعتمدت الدراسة على منهجية أساسية قائمة على البحث في الدرجة الأولى في المصادر الأولية قدر المستطاع وبخاصة أن الألمان بعد انهيار سور برلين والوحدة ١٩٨٩-١٩٩٠م ، أعادوا تنظيم الأرشيف وبخاصة الأرشيف القومي في برلين وكوبلنز ،كما أنني زرت المعهد

الألماني للتاريخ في فرانكفورت والذي كان في مراحل بنائه الأخيرة وقد جمع كل ما كتب حول التاريخ الألماني ، بالإضافة إلى الوثائق الأساسية للتاريخ الألماني ،والتي تتضمن وثائق برلمان فرانكفورت.كما أنني زرت جامعة فرانكفورت وجامعة ماينز على الراين واستفدت مما تم تحديثه على شكل أقراص مدمجة تحوي الكتب القديمة والوثائق بتقنيات عالية.

وقد سعت الدراسة إلى التركيز و البعد عن التكرار والإسهاب حتى لا يؤثر ذلك على بناء الصورة الكاملة التي أوصلت الألمان إلى برلمان فرانكفورت ،لذا كان الفصلان الأول والثاني هما في الضرورة المدخلين الأساسين لفهم هذه الصورة المتكاملة للتاريخ الألماني ما بين ١٧٨٩-١٨٤٨م ،والتي أتمنى أن أكون قد وفقت في ضبطها ،فكان توظيف الجداول الإحصائية والخرائط التوضيحية جزأين أساسيين في عملية التحليل والنقد والاستشهاد .

اعتمدت الدراسة على مجموعة منوعة من المصادر الأولية من الوثائق غير المنشورة مثل محاضر جلسات برلمان فرانكفورت ،أو المنشورة ومن أهمها المجلد الأول لرودولف هوبر (Ernst Rudolf Huber) عن الحياة البرلمانية الألمانية،والمصادر الأساسية لمعاصرين أمثال: لودفيغ هاوزر (Ludwig Häusser) وهاينريش فون جاجرن (Heinrich von Gagern) بالإضافة إلى أحدث الدراسات التي صدرت عن الموضوع والتي في أغلبها في لغتها الأم مثل دراسة يورن ليونارد(٢٠٠١) (Jörn Leonhard) وهلموت مولر(٢٠٠٢)(Helmut Müller) بالإضافة إلى مجموعة من المصادر والمراجع في اللغة الانجليزية والتي كان الاعتماد عليها لتغطية نقص في المادة الألمانية التي كان من المتعذر الحصول عليها بعد عودتي من ألمانيا ، أما الوثائق البريطانية التي حصلت عليها بالصدفة وتم تصوير الملف بالخطأ في كوبلنز فقد استفدت منها في موقف بريطانيا من الاتحاد الجمركي الألماني التسولفراين(Deutscher Zollverein) .

كما اعتمدت الدراسة بشكل جزئي على عدد من المراجع العربية التي كانت أغلبها من نوع المادة المعدة للمحاضرة الصفية ،وبعيدة عن منهجية البحث التاريخي ،كما أنها لا تعطي صورة كاملة وتفصيلية عن الاحداث ،فقد غابت المراجع العربية في الدراسة مع تعمق المادة والدخول في التفاصيل التي افتقدتها هذا المراجع ،ولعل أفضل الدراسات العربية في هذا المجال هي كتاب: محمد فؤاد شكري "الصراع ما بين البرجوازية والإقطاع" بالرغم من أنه أقدم الدراسات العربية ١٩٥٨م .أما المترجمة فقد كانت تنقصها في جوانب كثيرة الروح العلمية والأمانة والمتمثلة في أقل شيء التوثيق العلمي الذي يورده المؤلف في اللغة الأصلية التي كتب فيها ،ولعل أهم تلك الدراسات وأفضلها ما كتبه وول ديورنت، قصة الحضارة وأحدث الدراسات كانت كتاب لإرك هوبز باوم "عصر الثورة :أوروبا ١٧٨٩-١٨٤٨م،٢٠٠٧م".

وهنا لا بد من الإشارة إلى أنني في عملية التوثيق التزمت بالنسخة النهائية من تعليمات التوثيق الصادرة عن كلية الدراسات العليا ،أما فيما يتعلق بالأسماء سواء أكانت أعلاما أم أماكن واردة بالمتن فقد استخدمت الاسم بلغته الأصلية لأول مرة وكتابته كما يلفظ بلغته .

عالجت هذه الدراسة التاريخ الالماني ما بين ١٧٨٩-١٨٤٩م ،وعرضت صورة تفصيلية للأحداث التي قادت إلى برلمان فرانكفورت ،مبينة أبرز المشاريع لإيجاد شكل وحدوي ألماني سواء خلال فترة الحكم الفرنسي والتي تمثلت بكونفدرالية الراين ١٨٠٦-١٨١٤م ،أو من خلال الكونفدرالية الألمانية التي تم فرضها بعد تسوية فينا ١٨١٥م ،والتي استمرت حتى سنة ١٨٦٦م .كما عالجت الدراسة تطور الفكر الليبرالي الالماني والحركة الدستورية والطلابية خلال النصف الالول من القرن التاسع عشر .تم تقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة وتمهيد و أربعة فصول واستنتاجات وتوصيات وثبت للمصادر والمراجع على النحو التالي:

التمهيد:وفيه استعرضت العلاقة الجدلية بين الهوية القومية والدولة واللغة ،وتطرقت فيه للموقع الجغرافي والسكان والدول الألمانية التي كانت جزء من الإمبراطورية الرومانية المقدسة.

الفصل الأول: التحولات السياسية في ألمانيا من الثورة الفرنسية١٧٨٩م حتى ثورة آذار الألمانية ١٨٤٨م.استعرضت في هذا الفصل التحولات السياسية وخاصة مع انطلاق الثورة الفرنسية واستلام نابليون للسلطة ،حيث كانت الثورة الفرنسية وحكم نابليون عظيمي الأثر على ألمانيا ورسم الخريطة الألمانية ،وتطرقت لمؤتمر فينا ١٨١٥م وبناء الكونفدرالية الألمانية وخيبة أمل القوميين الألمان من تسوية فينا وظهور قوانين ميترنيخ البوليسية المتمثلة بقوانين كارلزباد .وتحدثت عن تطور الحركة السياسية والدستورية والبرلمانية من مؤتمر فينا إلى ثورة آذار ١٨١٥-١٨٤٨م.

الفصل الثاني:التحولات الاقتصادية والاجتماعية من الثورة الصناعية إلى ثورة ١٨٤٨م،حيث عرضت في هذا الفصل التحولات الاقتصادية على صعيد الدول الألمانية والتي قادت إلى ثورة ١٨٤٨م ،فقد تناولت الثورة الصناعية و أثرها على ألمانيا وتوطن الصناعة وما رافقها من أزمة اجتماعية ١٨١٥-١٨٤٨م، ثم استعرضت الاتحاد الجمركي الألماني "التسولفراين" وبنيته الاقتصادية وأثره على ألمانيا.

الفصل الثالث: ثورة آذار١٨٤٨م والبرلمان التمهيدي.عرضت في هذا الفصل ثورة آذار ١٨٤٨م في أبرز الدول الألمانية والنتائج التي ترتبت عليها من انتصار الإرادة الشعبية ،وتشكيل البرلمان التمهيدي(Vorparlamant) وأبرز النقاشات التي جرت فيه حتى تشكيل لجنة الخمسين التي أوكل إليها مهمة الإعداد للبرلمان القومي الذي عقد في فرانكفورت .

الفصل الرابع: برلمان فرانكفورت (Frankfurt Nationalversammlung) والاتحاد الألماني. استعرضت فيه الانتخابات الألمانية العامة وتشكيل البرلمان ،وتقسيمات البرلمان ورئاسته

والاتجاهات السياسية التي ظهرت فيه وإقرار الدستور ولائحة الحقوق الأساسية للشعب الألماني والتي عُدت أبرز انجازات البرلمان .وأخيرا حل البرلمان ونهاية التجربة الوحدوية الألمانية الأولى.
وفي نهاية البحث الاستنتاجات والتوصيات ، ومن أبرزها :

١.شكلت تجربة الاتحاد الألماني من خلال برلمان فرانكفورت بعثا جديدا للفكر القومي الألماني.

٢.صبغت نقاشات برلمان فرانكفورت الفترة اللاحقة ووضعت الخطاب السياسي الألماني في أطر وتوجهات سياسية جديدة.

٣.أثار البرلمان الألماني قضايا لا يمكن أن توصف إلا أنها فكر توسعي إمبريالي في فترة مبكرة.

٤. كانت الثورة الفرنسية وبطلها نابليون حاضرة في جميع مراحل التكون الجيو- سياسي لألمانيا فالتغيرات التي أحدثتها الثورة الفرنسية على الصعيد الفكري والسياسي الألماني كان كبيرا وإن حاول بعض رموز الفكر الألماني إنكار تأثيرها.

ولعل أبرز التوصيات هي دعوة للمؤرخين لإعطاء اهتمامهم فيما يتعلق بالتاريخ المقارن والتي من الممكن أن تكون رسائل جامعية فعلى سبيل المثال : مقارنة بين فكرة القومية العربية والقومية الألمانية،ما بين الجامعة العربية وكونفدرالية الراين .

وأخيرا أتمنى أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة.

والله ولي التوفيق .

تمهيد:

١. الجغرافيا والسكان:

فرضت البيئة الجغرافية المتنافرة المتباعدة إيقاعها الاقتصادي والسياسي على الخريطة السياسية الألمانية ،لذا كانت الجغرافيا الطبيعية من أبرز العوامل المؤثرة في التاريخ الألماني ،فالألمان هم من سكان السهل الأوروبي الشمالي ،فهم شعب ليس له حدود طبيعية فاصلة – باستثناء منطقة الالبه (Alps) وحدود بوهيميا (Bohemia)– .فالسهل يخترقه أنهار أربعة هي :الراين (Rhine) الالبه(Elbe) أودر(Oder) و فيستولا[١] (Vistula) فكانت بمثابة خطوط تقسيم للألمان أنفسهم ،ولكنها لم تكن كافية لأن تكون حدوداً ثابتة لهم ، فلا يوجد حدود جغرافية واضحة لامتداد وتوسع الألمان ،أو لتقلص وانكماش تلك الحدود .فقد تحددت تلك الحدود بمرور الوقت بمنطقة الراين و إيلبا ،ومن جهة أخرى انتهت حدودها إلى البرينس (Pyrenees) والقوقاز (Caucasus) [٢].

الموقع الجغرافي لألمانيا في قلب القارة الأوروبية جعل لها حدوداً برية طويلة مع كل من هولندا ،بلجيكا ،فرنسا ،سويسرا ،النمسا ،التشيك ،بولندا والدنمارك .وسواحلها على بحر الشمال سواحل متعرجة متعددة الجزر ،مما زاد التنافس على هذه الجزر خاصة مع الدنمارك وهولندا وبريطانيا ،أما سواحلها على بحر البلطيق– وهو بحر شبه داخلي – فقد زاد عدد الجيران لألمانيا(دول حوض بحر البلطيق)المتمثلة في :السويد ،فنلندة ،استونيا ،لاتفيا ، لتوانيا . فأي تحول أو تغيير يطرأ على الحدود الألمانية يؤثر بالضرورة على هؤلاء الجيران لذا كانوا أكثر عدائية لأي مشروع ألماني .أما الحدود البرية الألمانية فقد كانت أكثر تعقيدا فهي لم تعرف الثبات على مر تاريخها ،ولعبت فيها عوامل الاحتلال والوراثة والتقسيم والشراء دورا كبيرا في عدم استقرارها ،حيث كانت في أغلبها تناقض المصالح الاقتصادية وحتى الجغرافية للألمان ،

---

[١] وهو نهر موجود في بولندا وطوله ٦٧٧ميل (١٠٨٩كم).

Jehle, Manfred,Heinrisch Hengst und Andere ,**Atlas Weltgeschichte**, Helmut Lingen Verlag GmH & Co KG Kölen,2008. S.42.

[2]Jehhle, **Atlas Weltgeschichte**S.42-43;.Taylor, J.A P,**The Course of German History**;**A Survey of the development of Germany**. Hamish Hamilton, London,1956.pp.13-14. Hug ,Wolfgang und Wilfried Danner,**Geschichtliche Weltkunde**,3 Bände,band.2,**vom Zeitalter der Entdeckungen bis zum Ende des 19.Jahrhunderts**.Verlag Moritz Diesterweg, Berlin, 1975. S.139.

انظر الخريطة في الصفحة التالية.

فإشكالية تحديد الحدود السياسية بقيت حاضرة في التاريخ الألماني الحديث والمعاصر ،خاصة في فترة الدراسة [١].

خريطة رقم(١) وسط أوروبا ١٧٨٩م.



Hug, vom Zeitalter der Entdeckungen bis zum Ende des 19.Jahrhunderts. 5 band.2,.S.139.:المصدر

---

(١) فالنتين، فايت، **تاريخ الألمان مع عرض موجز للتاريخ الالماني١٩٤٥-١٩٩٠م**،ط١،ترجمة احمد حيدر. الأبجدية للنشروالتوزيع ،دمشق ،١٩٩٤م. ص١٣-١٤؛

Jehhle, **Atlas Weltgeschichte**,S.42 ; Taylor, **German History** ,p.13.

جاءت المكونات العرقية للشعب الألماني متناغمة مع الطبيعة الجغرافية التي تعود بأصولها إلى الفرنج الذين انشقوا إلى الفرنج الغربيين(Westfranken) والفرنج الشرقيين(Ostfranken) فالشعب الألماني تألف من أربعة مكونات رئيسة هي :السكان الأوائل من أصول ما قبل هندو-أوروبية (Vorindoeurpäisch) وهم الذين سكنوا المناطق الجبلية والغابات في وسط ألمانيا ،الكيلتن (Kelten) والجرمان(Germans) والسلاف(Slaves):وقد انتشر هؤلاء(السلاف) في شرق البلاد خاصة في الأرياف .تألف الشعب الألماني من هذه المكونات الرئيسة بالإضافة إلى مكونات عديدة جدا مثل :الرومان (Römer)،والاسكندفايين والتاويين (Litauer) يضاف إليهم ظهور مكون جديد منذ منتصف القرن الثامن عشر وهم اليهود ،والهوغينو (Hugenotten)البروتستانت الفرنسيون الذين هاجروا من فرنسا إلى الدول البروتستانتية .ولقد بدا واضحا توزع هذه المكونات على كامل مساحة ألمانيا ،فغرب ألمانيا وجنوب غربها غلب عليهم الطابع الكلتوروماني ،وشمال غربها بالطابع الجرماني ،بينما يغلب على مناطق الوسط والجنوب الطابع الكلتوجرماني ،أما شرقها الجرمانوسلافي .فسكان المناطق الحدودية الألمانية يشبهون جيرانهم الفرنسيين ،السويسريين ،الهولنديين والبولنديين إلى حد بعيد[١].

نشأت الأصول الألمانية على نحو طبيعي ،ففي المقام الأول هناك العناصر التي خلفتها الإمبراطورية الجرمانية المقدسة (Das Heiliga Römische Reich Deutscher Nation) التي أعطت الألمان موقعا مميزا ،ولكن ذلك لا يعني أن الإمبراطورية كانت دولة ألمانية صحيح أن الألمان من دون كل الشعوب قد لعبوا دورا مميزا فيها عبر عدة قرون ،لذا يحق لهم أن يدّعوا أنهم لعبوا دورا مميزا في المسيحية وفي أوروبا .فالتأكيد على أن الألمان هم السكان الذين عاشوا في الإمبراطورية الجرمانية المقدسة من الأمة الألمانية ،يعني استثناء مجموعات كبيرة من الذين يتكلمون الألمانية بما فيهم البروسيين ،إضافة إلى المجموعات التي تتحدث الألمانية خارج حدود الإمبراطورية ومجموعات عرقية أخرى غير ألمانية[٢].

كان الموقع الجغرافي المتوسط عاملا حاسما في التاريخ الألماني ، فكان على الألمان الواقعين في الوسط بين جارين قويين هما الإمبراطورية الجرمانية بحضارتها الفرنسية ، والسلاف في بربريتهم الذين كانوا يضغطون على الألمان - كما كان الألمان عامل ضغط على الإمبراطورية الجرمانية - فقد كانوا برابرة بالنسبة للإمبراطورية الجرمانية ،ولكنهم كانوا أكثر البرابرة تحضرا والأكثر تلهفا للتعلم ،والأكثر مغامرة للتقليد والمحاكاة ،فسجل التاريخ الألماني هو

---

[١] فالنتين ،**تاريخ الألمان**،ص١٥-١٧.

[2] Eyck, Frank, **The Frankfurt Parliament 1848-1849, Macmillan**, London, 1968 .p.14; Kitchen, Martin, **A history of Modern Germany 1800-2000**. Wiles-Black well, London, 2006.pp.9-10.

قصة السعي المثير و المحاكاة والمغامرة في سبيل إقرار النظام في الغرب ،تقليدا بدأ منذ محاكاة شارلمان (Karl der Groß) حيث بدأ التسجيل الأول لظهور الألمان في الإمبراطورية الجرمانية المقدسة [١].

يدعي الألمان أن الإمبراطورية الجرمانية المقدسة هي دولة ألمانية ،لذا يصير لازما تحديد هذا المفهوم المرتبط بدرجة كبيرة بالمفاهيم السياسية للقرن الثامن عشر ،وليس بالمفاهيم الحالية للدولة والسلطة ،فمن الصعوبة بمكان إسقاط المفاهيم الحالية على تلك الفترة ،فالارتباط كبير جدا مابين المفهوم والدلالة التاريخية للمفهوم ،وكما يقول المؤرخ جيمس شيهان (J.Sheehan) :"إذا أخذنا المفهوم كما تعامل معه المؤرخون المعاصرون فإننا نبتعد كثيرا عن الدلالة الحقيقية للرايخ (Reich) فيجب أن نأخذه كما تعامل معه مؤرخو تلك الفترة... "[٢].
فمفهوم الرايخ اصطلاح تاريخي الصفة القومية فيه لا معنى سياسي لها ،والدولة لا تملك كل السلطة فالنظام السياسي لم يقم على السيطرة والاحتلال ولكن على النظام والتوازن وإنشاء المؤسسات وضمان الولاء ودفع الضرائب المقررة والمشاركة العسكرية في وقت الحرب وعلى حرية إدارة الشؤون المحلية والحكم الذاتي للمناطق التي يتشكل منها الرايخ [٣].

تعني كلمة الرايخ(Reich) في الألمانية مملكة أو عالم ،وهي لا تعني بأي حال من الأحوال إمبراطورية التي يقال لها بالألمانية (Kaiserreich) إلا أن الألمان اتفقوا على استخدام المصطلح وحرصوا على إطلاقه على الدول الألمانية المتعاقبة ،فسميت الإمبراطورية الجرمانية المقدسة باسم الرايخ الأول ،والإمبراطورية الألمانية في عهد بسمارك بالرايخ الثاني ،والرايخ الثالث في عهد هتلر[٤] .ويبدو واضحا أن إشكالية الألمان تكمن في الخلط الكبير ما بين الرايخ الذي يتجسد في الفكرة العالمية للإمبراطورية الجرمانية المقدسة وفكرة الدولة القومية الحديثة نسبيا ،التعريف التقليدي للأمة يعود دائما إلى فكرة المجتمع والاجتماع الإنساني بالتعاون القائم بين المؤسسات ،والذي عادة ما يتشكل في الدولة القومية فقد أشار ماكس فيبر (Max Weber) الأمة بأنها:"المشاعر التي تتشكل لمجموعة من الناس توحدهم :لغة مشتركة ،دين ،عرق أو سلالة

---

[1] Taylor, **German History**,pp.13-14.

[2] Sheehan, James J,**German History 1770-1866**. Oxford University Press, New York,1989. pp.11-1.

[3] Strauss, Gerald, **The Holy Roman Emprise Revisited.** Central Europe History Journal 11:3, September, 1978. pp.290-301, p.291.

[٤] سيغمان،جان، **الثورات الكبرى في التاريخ:١٨٤٨م الثورات القومية والديمقراطية والرومانسية** .ط١، ترجمة هنرييت عبودي، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت،١٩٨٣.ص ١١٠.

،ويرتبطون بفكرة امتلاك السلطة السياسية والتي تتأجج بالرغبة بها ،و التي تسعى الأمة لها وتشكل مصيرها المشترك كعقد مشترك يجمعه الارتباط بلغة واحدة ،أو طبيعة واحدة "[١].

ولهذا اعتبر العديد من المؤرخين الألمان في القرن الثامن عشر الرايخ بلدهم الأصلي واستخدموه ليدل على ألمانيا (Deutschland) إلا أن الرايخ لم يكن بالكامل ألمانيا ،ولكن الألمان اعتبروه كذلك بدليل ما قدمه الجغرافي انتون بوشينج (Anton. F. Büsching) سنة ١٧٦٢م قائلاً :"الإمبراطورية لم تكن وحدة واحدة ،وألمانيا كذلك فهي تتألف من عدد كبير من الفلمنج (Fleming) والوالون (Walhons) في النمسا وهولندا ،والايطاليين في الجنوب ،و التشيك في بوهيميا والسلوفاك على طول الحدود الجنوبية .ممالك أجنبية لها أملاك واسعة داخل الرايخ ملك بريطانيا والدنمارك والسويد. بالإضافة إلى أن هناك أعدادا كبيرة من الألمان يعيشون خارج حدود الرايخ وخاصة في الشرق في مدينة انتفيرب (Antwerp) وبراج (Prague) بالإضافة إلى وجود المدن الإمبراطورية المستقلة (Die freien Reichstädte)"[٢].

كان المتطرفون الألمان يطالبون بأن تمتد حدود الرايخ من سويسرا وحتى شلسفيج(Schleswig) ومن الالزاس (Elsass) وحتى بحر البلطيق ،أي ضم جميع المناطق الناطقة بالألمانية والتي كانت جزءا من الإمبراطورية الجرمانية المقدسة ،أما المعتدلون فكانوا يطالبون باسم الحقوق التاريخية بالعودة إلى الأوضاع التي سبقت معاهدة سنة ١٦٤٨م ،والتي أنهت حرب الثلاثين عام ١٦١٨-١٦٤٨م ،حيث منح الألمان بموجب هذه المعاهدة التي عقدت بين الإمبراطورية الجرمانية وفرنسا والسويد حرية إقامة الشعائر الدينية [٣].

فمفاهيم الأمة (Die Nation) والقومية (Die Nationalität) بمعناها المعاصر اليوم هي مفاهيم حديثة نسبيا ،تعود في جذورها إلى اللغة اللاتينية التي انتشرت منها إلى جميع اللغات الحديثة .فالمفهوم الحديث لها لم يظهر إلا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر و عمم استخدامها مع مطلع القرن التاسع عشر ،والذي ارتبط بالمفهوم الغربي إلى درجة كبيرة وخاصة في ظل التوسع الاستعماري .فقد ارتبط مفهوم الأمة الألمانية سياسيا مع مفهوم القومية الألمانية التي غدت موضوعا مركزيا في الفكر السياسي الألماني ،فظهرت اتجاهات مثالية بشأن القومية الألمانية كشف عنها رائدا القومية الألمانية فيخته (J.G.Fichte) ١٧٦٢-١٨١٤م وهيردر

---

[1] Weber, Max, **Wissenschaft Als Beruf;Gesammelte Aufsätze zur Politik** , Siebeck und Mohr, Tübingen, 1919. S.243.

[2] Büsching, A .F, **A New System of Geography,** trans: A.Miller. London,1762 reprinted:1865,6 vols. Vol, IV,p.V; Berges,Wilhelm,**Das Reich Ohne Haupstadt**,Jahrbuch für die Geschichte des Deutschen Osten ,Band. 1, 1952, S.1-30, S.3.

[٣] سيغمان،**الثورات الكبرى في التاريخ** ،ص١١٠-١١١.

(J.G.Herder)١٧٤٤-١٨٠٣م ،واللذان قالا باشتراك الأصول وتوارث الخصائص الجسمية والذهنية والتي تبرز في اللغة ،ومن هنا تولدت فكرة تفوق الجنس الجرماني على باقي الأجناس ،والتي كانت في ابسط صورها أن لألمانيا رسالة إرشاد البشرية وقيادتها إلى حياة أفضل[١].

تعود الكلمة ومفهومها(الأمة والقومية) بشكل كامل إلى الأفكار السياسية الحديثة والفلسفة الفردية ،والتي أخذت شكلها وأهميتها فقط في الديمقراطية الحديثة .وإذا أردنا أن نبحث في مفهوم القومية فيجب ألاّ ننطلق من مفهوم الأمة ولكن من الفردية ،يجب أن نسأل أنفسنا ما الذي يميز هذا الإنسان كفرد عن غيره من الأفراد ؟وما الذي يجعله ينتمي لأمة بعينها ؟فالأمة والعرق لا يتطابقان ،فلا توجد أمة ذات دم نقي ،لأن جميع الشعوب نشأت من خليط من الأعراق والأجناس ،وهذا ينطبق على الألمان[٢].

فعلى سبيل المثال يرى فايت فالنتين (Veit Valentein) أن الألمان" ليسوا آريين فالآريون هم الفرس والهنود ،وليسوا هندو-جرمانيين فهي تسمية مضللة ،فالألمان ينتمون إلى أسرة الشعوب الهندو-أوروبية ، فنمو الشخصية الألمانية تم ببطء منذ عصر شارلمان ، فالشعب الألماني لم يتكون تاريخيا إلا في سنة ١٣٠٠م ،على أن نشوء اللغة الألمانية ونشوء الحكم الملكي هما الحدثان اللذان تصدرا بداية التاريخ الألماني وظهور الأمة الألمانية"[٣].

تأتي اللغة في المقام الأول في تشكيل الأمة ،وقد نشأت اللغة الألمانية في القرن الثامن عن الفرنجية الشرقية (Ostfranken) وهي أول صيغة للغة الألمانية وهي لغة تتألف من اللهجات الألمانية القديمة ،والتي ارتبطت بدرجة كبيرة بكتابات دينية يفهمها الناس .وظهرت كلمة ألماني (Deutsch) لأول مرة في التاريخ سنة ٧٨٦م ،دالة على مجموعة من الناس تتحدث لغة مشتركة وذلك تسمية للغة يتحدث بها الشعب الفرنجي الشرقي تميزا له عن الفرنجي الغربي (Westfranken) .وكلمتا ألمانيا وألماني لم يستخدما ويتداولا إلا في منتصف القرن الثاني عشر .وبالرغم من ظهور اللغة الألمانية خلال هذه المرحلة فقد بقيت اللاتينية هي اللغة المسيطرة حتى حركة الإصلاح الديني١٥١٧م التي قادها مارتن لوثر ،عندما قام بترجمة الكتاب المقدس

---

(1) Meinecke, Friedrich, **Weltbürgertum und Nationalstaat**, Studien zur Genesis des deutschen **Nationalstaates**. Oldenburg, München, 1911.S. 22; Kjellen, Rudolf ,**Der Staat als Lebensform**, Leipzig, 1917,S. 102 ;

شكري،محمد فؤاد، **أوروبا في القرن التاسع عشر:الصراع بين البرجوازية والإقطاع١٧٨٩-١٨٤٨م**،٣مج ، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة ،١٩٥٨م . مج٢، ص ٤١٧-٤١٨؛ فالنتين ، **تاريخ الألمان**، ص٢١.

(2) Kjellen,**Der Staat als Lebensform**,S.105.

(٣) فالنتين،**تاريخ الألمان**،ص٢١.

إلى اللغة الألمانية ،فقد قال :"يجب أن لا نهتم بالحروف اللاتينية ...كما يفعل هؤلاء الحمير،لابد من أن نهتم بالأم في المنزل بالأطفال بالحواري بعامة الشعب في الأسواق ...أنا لا أملك لغة ألمانية خاصة بي ،ولكنني ألجأ إلى لغة العامة بحيث يفهمني الألماني في شمال ألمانيا وفي جنوبها ..."[١]. وقد ربط يعقوب جريم[٢](Jacob Grimm)الأمة باللغة فقال : "الشعب هو نتاج جميع الأفراد الذين يتكلمون لغة واحدة ،نحن نتحدث الألمانية ونكتب بالألمانية ،فاللغة قديمة قدم الشعب ذاته وهي التي تميزه عن غيره ،فالمجتمع اللغوي هو مجتمع عرقي ،فقد أصبحت رابطة تحدد طبيعة العلاقات الاجتماعية ،فاللغة تعبر عن ثقافة المجتمع وفكره"[٣].

٢.الإمارات الألمانية:

ظهر النظام السياسي للإمارات أو الدويلات الألمانية نتيجة ضعف الإمبراطورية الجرمانية المقدسة ،فمنذ القرن الخامس عشر دخلت السلطات الملكية ومؤسساتها في صراع طويل مع الطموحات والاتجاهات الانفصالية للدول الأعضاء فيها ،مما أدى إلى تجزئة الرايخ خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر،ودخولها خاصة في ظل الصراع الديني والحروب الأوروبية في تحالفات خارج حدود الرايخ .ولغايات إدارية تم تقسيم الرايخ إلى عشر دوائر إدارية (Kreise) هذه الدوائر كانت تشكل مؤسسة الجيش اعتبارا من سنة ١٦٨١م ،فقد قاموا بتأسيس الجيش لحماية أنفسهم من جهة والدفاع عن الرايخ من جهة أخرى .كانت هذه الدوائر شكلية وتتبع اسميا للرايخ ،فبروسيا على سبيل المثال قامت بتأسيس جيشها الخاص متجاهلة قانون١٦٨١م ،حيث أصبح الجيش أساسا في هيبة واستمرارية الدولة [٤].

---

[١] مارتن لوثر في : بادمان ،باربارا وبريجيتا ابرلة ،**عصور الأدب الألماني ؛تحولات الواقع ومسارات التجديد** ،ترجمة هبة الشريف .سلسلة عالم المعرفة ،ع:٢٧٨، الكويت ،فبراير (شباط)٢٠٠٢.ص ٩٤-٩٥.فالنتين ، **تاريخ الألمان** ،ص ٢٠-٢٢.

[٢] هو يعقوب لودفيج جريم ١٧٨٥-١٨٦٣م من برلين ،وهو أحد ابرز فقهاء اللغة الألمان ومؤسسي فقه اللغة هو وأخوه فيلهلم وهو أحد الأساتذة السبعة الذين تم فصلهم من قوتنجن على خلفية الاحتجاج على الدستور الذي غيره ملك هانوفر.(سنأتي على هذه المسألة لاحقا في الفصل الأول)،وهو أحد أعضاء برلمان فرانكفورت.

لمزيد من المعلومات انظر : .Grimm ,Jacob,**Kleinere Schriften**, Band.7,Berlin,1884

[3] Grimm,**Kleinere Schriften**,Band.7.S.557; Bauer,Otto, **Die Nationalitätenfrage und die Sozial-demokrati**,Wien,1907. S. 1ff; Kurzgefasstes, Spann, **System der Gesellschaftslehre**, Berlin, 1914. S.195.

[4] Doyle, William, **The Old European Order 1660-1800**.Oxford Press, Oxford, 1978.p. 268; Sheehan, **German History**,p.16.

ضعفت سيطرة الرايخ على دوائرها قانونيا وإداريا وحتى عسكريا خلال القرن الثامن عشر وغدت شكلا احتفاليا أكثر من كونها سلطة فعلية ،فجميع مؤسساتها بما فيها الإمبراطور والرايخستاج (Reichstag) فقد هيبته وسلطته[1].وفي هذا يذكر ديروانت:"كانت ألمانيا سلسلة غير متماسكة من نحو (٢٥٠) دولة لكل منها قوانينها الخاصة وضرائبها الخاصة ،وكثير من هذه الدول كان لكل منها جيشها الخاص ،وعملتها الخاصة ،ودينها الخاص بل وعاداتها الخاصة ولباسها ،وكان بعضها يتحدث لغة ألمانية غير مفهومة لنصف العالم الألماني"[2].بينما يذكر الكسندر(Alexander Grab) :"كانت ألمانيا في البدايات الأولى للتاريخ الحديث تتألف من أكثر من (٣٠٠) دولة والتي شكلت الجزء الأكبر من الإمبراطورية الجرمانية المقدسة ،تلك الإمبراطورية التي شكلها شارلمان عام ٨٠٠م ،والتي كانت تضم مناطق غير ألمانية مثل:هولندا وبلجيكا وبوهيميا وفرنسا"[3].ويتفق نور الدين حاطوم مع جان سيغمان وعمر عبدالعزيز في أن عدد الدول الألمانية كان (٣٦٠) دولة .وفي اعتقادي أن الرقم تقريبي ويختلف من فترة إلى أخرى بفعل الانفصال العائلي والوراثة والضم وتعدد الولاء لأكثر من جهة[4].

كانت أهم الدول الألمانية المكونة للإمبراطورية الجرمانية المقدسة سبع دول ناخبة (Wähler-Staaten) أي دول تنتخب الإمبراطور ،والتي أصبحت تسع دول اعتبارا من القرن الثامن عشر ،وقد تغير مبدأ الانتخاب اعتبارا من سنة ١٤٣٦م حيث أصبح الإمبراطور من أسرة الهابسبورج (Habsburg) ،وهذه الدول هي النمسا (Österreich) وكانت أقوى تلك الدول تليها بروسيا(Preußen) في عهد أسرة هوهنتسولرن (Hohenzollern) ثم تأتي الدول المتوسطة مثل بافاريا (Bayern) وساكسونيا (Sachsen)وبرونشفايج – لونيبورج (Braunschweig-Lüneburg) وكولونيا (Köln) وماينز (Mainz) وهانوفر(Hanover) وترير (Trier) ،حيث كان حكامها

---

(1) Herz, F ,**Die Rechtsprechung der höchsten Reichsgerichtigkeit**, Mitteilungen des Institutes für Östereichische Geschichtsforschung , Band.69,Wien,1961:S.331-358,S.334-35.

(٢) ديورانت،ول وايريل ، **قصة الحضارة،عصر نابليون**،الكتاب الأول: الثورة الفرنسية ١٧٨٩-١٧٩٩، ترجمة :عبد الرحمن الشيخ،ط١،المجمع الثقافي- أبو ظبي،دار الجليل، بيروت ،٢٠٠٢. ،ص١٠٤-١٠٥.

(3) Grab, Alexander, **Napoleon and the transformation of Europe**, Palgrave, Macmillan, New York, 2003 .p.85.

(٤) حاطوم ،نور الدين ،**حركة القومية الألمانية** ،ط١،معهد البحوث والدراسات العربية،القاهرة،١٩٧٠.ص٨؛ سيغمان، **الثورات الكبرى في التاريخ**،ص١٠٩؛عمر ،عبدالعزيزعمر ،**أوروبا ١٨١٥-١٩١٩**.دارالمعرفة الجامعية ،السويس ،١٩٩٥.ص٣٢٧.

عسكريون يجمعون الضرائب من مناطقهم ولعبوا دورا هاما في السياسة الألمانية وحتى الأوروبية [١].

يأتي في المقام الثاني سبعة وعشرون كياناً ذا طابع روحي أو ديني (Spirituallands) يحكم كل منها أسقف أو رئيس اساقفة هي: اسقفية سالزبورج (Salzburg)– مقر كبير الأساقفة – و اسقفيات : مونستر (Münster) ليجه (Lige) فورتسبورج (Würzburg) بامبورج (Bamberg)،أوسنابروك (Osnabrück)،بادربورن (Paderborn)،أوقسبورج (Augsburg) هيلديسهايم (Hildesheim)،فولدا (Fulda)،شيبر (Speyer)،ريقنسبورج (Regensburg) كونستانس (Konstanz)،فورمز (Worms) ولوبيك (Lübeck) [٢].

وكان هناك أمراء علمانيون (غير اكليريكيين) يحكمون سبعا وثلاثين دولة ، بما فيها هسن – كاسل (Hessen – Kassel) وهسن دارمشتادت (Hessen – Darmstadt) وهولشتاين (Holstein) وفورتمبيرج (Württemberg) مع شتوتجارت (Stuttgart) وساكسونيا (Sachen) وساكسونيا – فايمر (Weimar– Sachen) وساكسونيا– جوتا (Sachen– Gotha) وبرونشفايج فالفنبوتل (Braunschweig–Walfenbuttel)– برونشفيك (Brunswick) وبادن (Baden) وبادن– كارلسروه (Baden–Karlsruhe).وكانت هناك خمسون مدينة حرة رايخشتادت (Die Freien Reichstädte) أهمها:هامبورج (Hamburg) وكولجن ،وفرانكفورت– على– الماين (Frankfurt.am.Main) وبريمن (Bremen) وفورمز (Worms) وشبيير (Speyer) ونورمبيرج (Nürnberg) وأولم(Ulm) [٣].

ومن كل تلك الكيانات الألمانية يأتي الناخبون (Kurfürsten) أو الفرسان الإمبراطوريون إلى الرايخستاج (Reichstag) أو الدايت الإمبراطوري بالفظ الانجليزي (Imperial Diet)–أو المجلس الإمبراطوري البرلمان– الذي يجتمع في ريجينسبورج (Regensburg) بدعوة من إمبراطور الإمبراطورية الجرمانية المقدسة .وكانت المشاركة في الرايخستاج شرفا ودلالة على السيادة ،والدائرة الملكية مسؤولة عن الدفاع الداخلي والخارجي والمحكمة الملكية هي الملاذ الأخير من تعدي الجيران الأقوياء ،ونظر الأمراء الإقطاعيون إلى الإمبراطور كمصدر للحماية

---

[١] ديورانت ،**قصة الحضارة**،الكتاب الأول، ص١٠٥؛ Grab, **Napoleon and the transformation of Europe**,p.85.

[٢] ديورانت ،**قصة الحضارة**،الكتاب الأول ، ص١٠٤.

[٣] المرجع نفسه،الكتاب الأول ، ص١٠٤–١٠٥.

مـن تعـدي الـدول الكبـرى الألمانيـة ومـن تـأثيرات البروتسـتانت المختلفـة والبابـا وحتـى الـدول الأجنبية[١].

ومن جهة ثانية لعب الصراع مابين القوى الأوروبية وخاصة مابين بروسيا والنمسا دورا هاما فـي رسم الخريطـة الألمانيـة اعتبـارا مـن النصـف الثـاني مـن القرن الثـامن عشـر ،فقد كـان لصـعود بروسيا إلـى مصـاف الـدول الكبرى فـي القرن الثـامن عشـر أثره الواضـح علـى السـاحة الأوروبية ،فالصـراع البروسـي النمساوي – والـذي ظـل طاغيا علـى العلاقات بين الـدولتين حتـى الوحـدة الألمانيـة ١٨٧٠م– مـابين ١٧٤٠–١٧٦٣م عـزز مكانـة بروسـيا بـين الـدول الكبـرى ، فاتفاقية هوبورتسبورج (Hubertusburg) والتـي تـم التوقيع عليهـا فـي ١٥شباط ١٧٦٣م نصت علـى أن الإمبراطوريـة الجرمانيـة المقدسـة لا تتـألف مـن قوة عظمـى واحدة وإنمـا مـن قوتين همـا بروسيا والنمسا[٢].

شكلت بروسيا في سنة ١٧٨٥م عصبة الأمراء (Fürstenbund) في ألمانيا ،للوقوف في وجـه المحـاولات النمساوية لاستعادة دورهـا فـي ألمانيا ،ولعـل أبـرز الأعضـاء فـي هـذه العصـبة: ناخبيـة مـاينز ،هـانوفر وساكسـونيا .لـم تكـن رابطـة الأمـراء تسـعى لأن تكـون مؤسسـة بديلـة فـي الإمبراطورية ،ولكنها جاءت لتؤكد زعامة بروسيا كدولة عظمـى فيها جنبا إلـى جنب مـع النمسا ،فالصراع ما بينهما فتح الباب أمام التدخلات الأوروبية وخاصـة روسيا التـي لعبت فـي النصـف الثـاني مـن القـرن الثـامن عشـر دورا كبيـرا مـا بـين الـدولتين الألمـانيتين ،وفـي الشـؤون الداخليـة الألمانية ،فقد سعى فريدرش الكبير(Friedrich der Groß) فـي أواخـر حكمـه لاسترضـاء النمسا والمحافظة على ما تم انجازه لبروسيا[٣].

كمـا كـان للصـراع الـديني داخـل الإمبراطوريـة الجرمانيـة المقدسـة –كمـا للصـراع السياسـي الأوروبـي– دور فـي رسـم الهويـة الألمانيـة ،فقـد انتهـت الوحـدة الدينيـة فـي الإمبراطوريـة المقدسـة بظهـور حركـة الإصـلاح الـديني (الحركـة البروتسـتانتية) وحـرب الثلاثـين عامـا ،وحـرب السـنوات السبع١٧٥٦–١٧٦٣م ،فكـان شـمال وجـزء مـن شـرق ألمانيـا فـي سـنة ١٨٠٠ علـى المـذهب

---

[1] Walker,Mack, **German Home Towns:Community, State, and General Estate, 1648-1871,** Ithaca, New York,1971.p.18; Benecke, Gerhard, **Society and Politics in Germany, 1500-1750** , University of Toronto Press, Toronto, 1974 .p.374.

[2] Barraclough, G, **The Origins of Modern Germany**, Basil Blackwell, Oxford,1966.pp. 400-401.

[3] Dohm ,Christian Wilhelm von, **Über den Deutschen Fürstenbund im1785**.Berlin,1871.S.15-16; Barraclough, **The Origins of Modern Germany**,pp. 401-403; Sheehan, **German History** ,pp .21-22; فالنتين، **تاريخ الألمان**،ص ١٣– ١٤.

البروتستانتي بينما كان جنوب ألمانيا على المذهب الكاثوليكي أما غرب ألمانيا فتخلى عن شيء من تدينه نتيجة حركة التنوير [١].

---

[١] ديورانت ،**قصة الحضارة**، الكتاب الأول ،ص١٠٦.

الفصل الأول:

التحولات السياسية في ألمانيا من الثورة الفرنسية١٧٨٩م حتى ثورة آذار الألمانية ١٨٤٨م.

الفصل الأول:التحولات السياسية في ألمانيا من الثورة الفرنسية١٧٨٩م حتى ثورة آذار الألمانية ١٨٤٨م.

١-١-١:الثورة الفرنسية وحكم نابليون [١]و إعادة رسم الخريطة الألمانية ١٧٨٩-١٨١٥م.

كان اندلاع الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م حدثا غير عادي ،زعزع النظام السياسي على مستوى القارة الأوروبية ،صحيح أن الثورة هي فرنسية بالدرجة الأولى إلاّ أنها كانت عالمية

---

[١] لسنا هنا معنيين بتتبع الثورة الفرنسية والتوسعات النابليونية في أوروبا لكن تتبع مدى تأثير ذلك على ألمانيا تحديدا.

النتائج ،بخاصة فيما يتعلق بعلاقة النظام القديم بالثورة وهي علاقة متناقضة ظاهرا متداخلة باطنا فقد انفصمت الثورة عن النظام القديم ولكنها في الوقت نفسه هي انبثاق منه .فتاريخ القرن التاسع عشر هو تاريخ حركة الثورة والثورة المضادة، بين التخلص من النظام القديم وإعادة النظام القديم ١٨١٥-١٨٣٠م، ١٨٤٨-١٨٤٩[1].

قدمت فرنسا نموذجا جديدا لأوروبا بطرح المفردات والقضايا الخاصة بالسياسة والفكر السياسي: الليبرالية، الراديكالية، الديمقراطية ،القانون الدستوري ،وثيقة حقوق الإنسان ،الحرية المساواة ،لذا فالثورة الفرنسية لم تكن ظاهرة منعزلة ولكنها كانت الأكثر عمقا وأثرا بين جميع الحركات المعاصرة ،فقد وقعت في أكثر دول أوروبا قوة وأكثرها سكانا (شكل الفرنسيون ٢٠% من سكان أوروبا آنذاك) ومن جهة ثانية كانت ثورة جماهيرية اجتماعية وأكثر تطرفا ،ومن جهة ثالثة كانت الثورة تحمل رسالة رسوليه انطلقت جحافلها من أجل إحداث التغيير في أوروبا ،إذ كان لسقوط الباستيل في الرابع عشر من تموز وهو سجن الدولة ورمزها- والذي عد عيدا وطنيا لفرنسا فيما بعد- فاتحة جديدة في التاريخ الفرنسي بعدما بدأت الثورة تنتشر في كل مكان من فرنسا ،ومابين ١٧٨٩-١٧٩١م باشرت البرجوازية الصاعدة من خلال الجمعية التأسيسية عملية البناء والإصلاح من خلال نظام ملكي دستور[2].

---

[1] ريمون،رينيه ،**النظام القديم والثورة الفرنسية ١٧٥٠-١٨١٥م**،ترجمة علي مقلد، ط١،مؤسسة نوفل، بيروت ،١٩٨٤. ص١٥٩-١٦٠؛ فوريه، فرانسوا،**الثورة الفرنسية في مواجهة الفكر**،ط١،ترجمة رباب العابد ،وزارة الثقافة ،دمشق ،١٩٩٩. ص١٤.

[2] البرجوازية (Bourgoisie)هي: كلمة فرنسية،تعني طبقة اجتماعية ظهرت في القرنين ١٥ و ١٦، تمتلك رؤوس الأموال والحرف، كما تمتلك كذلك القدرة على الإنتاج والسيطرة على المجتمع ومؤسسات الدولة للمحافظة على امتيازاتها ومكانتها بحسب النظرية الماركسية.و بشكل أدق البرجوازية هي الطبقة المسيطرة و الحاكمة في المجتمع الرأسمالي ،وهي طبقة غير منتجة لكن تعيش من فائض قيمة عمل العمال حيث أن البرجوازيين هم الطبقة المسيطرة على وسائل الإنتاج ،وفي تحليل ماركس للرأسمالية يقسم المجتمع ككل بشكل مطرد إلى معسكرين كبيرين متنازعين، إلى طبقتين كبيرتين تواجهان بعضهما بشكل مباشر: البرجوازية والبروليتاريا .الطبقة البرجوازية هي التي قامت بالثورة الفرنسية، التي تعتبر بالتالي ثورة برجوازية أطاحت بطبقة النبلاء ورجال الدين وبشرت برؤى جديدة حول الحياة.لمزيد من المعلومات انظر: شكري،**الصراع ما بين البرجوازية والإقطاع**،مج٢، المقدمة؛ الكيالي عبد الوهاب،**الموسوعة السياسية**،٧ج ، ط١،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت،١٩٨١.ج١،ص٥٩٤-٥٩٥. باوم، إريك هوبز ،**عصر الثورة: أوروبا ١٧٨٩-١٨٤٨م** ،ترجمة فايز الصايغ ،ط١،المنظمة العربية للترجمة ،بيروت ،٢٠٠٧. ص١٢٧- ١٢٨ ،ص ١٣٩-١٤٣، ١٤٠؛جرانت،أ.ج وهارولد تمبرلي، **أوروبا في القرنين التاسع**

=

رحب معظم المفكرين الألمان بالثورة الفرنسية بحماسة كبيرة وعدوها فصلاً جديداً في تاريخ البشرية ،ووصفها الشاعر الألماني فريدرش قوتليب١٧٢٤-١٨٠٣م (Friedrich Gottlieb) بأنها "عصر انتقال النبالة بالفكر"،ووصفها ايمانويل كانت١٧٢٤-١٨٠٤م (Immanuel Kant) بأنها "الحكم الأخلاقي"[١] واشتد حماسه لها قناعة بمبادئها -الحرية والإخاء والمساواة- رغم أن حماسه قد فتر مع التحولات الدموية التي جرّت الثورة نفسها إليها وراحت تأكل بنيها ،إلا أنه بقي وفيّا للقيم التي كان مؤمنا بها ،فقد كتب عن الثورة الفرنسية:" مثل هذه الظاهرة لا يمكن أن تنسى... لأن هذا الحادث هو من العظمة ومن الارتباط الوثيق بمصالح الإنسانية ومن سعة التأثير في العالم كله، إلى حد أنه على الشعوب أن لا تنساه..."[٢] ،وأضاف عن الشعب الفرنسي:"إنها الأمة التي ارتقت إلى درجة عالية من التنظيم".أما فريدرش جنتس (F.Gentz) أحد تلاميذ الفيلسوف كانت وموظف في الحكومة البروسية ،فقد قال عنها:"إنها الممارسة العملية الأولى للفلسفة...الأمل لأولئك البشر الذين يعانون ،إذا هزمت الثورة فإن هذه المعاناة سوف تتضاعف عشرات المرات..."[٣].

ألقى فيخته (J.Fichte) ١٧٦٢-١٨١٤م، عدد من المحاضرات لصالح الأفكار الفرنسية والتي استلهمت أفكار جان جاك روسو(J.G.Russo) عندما قال:"إن الدولة لا توجد إلاّ بموجب عقد حر بين المواطنين والدولة[٤]". أما هيجل (G.Hegel) ١٧٧٠-١٨٣١م فقد وصف الثورة بأنها مصدر التحرر و"العقل العملي " ،وفي سنة ١٨٠٢م قال:"جميع الأطراف سوف

=

عشر والقرن العشرين ١٧٨٩ -١٩٥٠،ط١،ترجمة بهاء فهمي ،مؤسسة سجل العرب ،القاهرة ،د.ت. ص٧٧-٧٩.

[١] في كتابه ما هو التنوير طالب كانت بحماية الحرية الفكرية-الاستخدام العام للعقل ضد القيم المهددة للحرية الممارسة للوصاية على حرية الفكر ؛الكنيسة والخرافة وحتى الدولة أي التقدم في التنوير العام ، فكل شخص يفكر لنفسه "الاستنارة الذاتية " ثم القاعدة الثانية " الفكر المتسع " فهم الآخر ،وأخيرا "التفكير المتسق" الذي يقوم على القاعدتين السابقتين باحترام الفرد وحريته في منظومة تخدم مشاريع الآخرين ، أيّ معاملة الفرد كغاية وليس كوسيلة، فالحكم لديه هو حكم السياسي الأخلاقي ،أي تعلق السياسة بالحق والأخلاق . لمزيد من المعلومات أنظر:

Kant, Immanuel , **What Is Enlightens?**Indiana, B & M,1957.pp.7-10.

[2] Kant,Immanuel ,**Political Writings** (Cambridge Texts in the History of Political Thought) Edited by: H.S Reiss, Translated by: H.B Nisbet ,Cambridge University Press, U.k,1991.pp.9-14.

[3]F.Gentz in: Hertz, Frederick, **The development of the German public mind, Social History of German political sentiments, aspirations and ideas.**Allen & Unwin, London,,1957.p.420.

[٤] فيخته عند:حاطوم،**حركة القومية الألمانية**،ص١٩.

تستفيد عندما تصبح ألمانيا موحدة ،ولكن ذلك لن يحدث من خلال المفاوضات بل من خلال القوة التي تنسجم مع مستوى التعليم العام ،والتي تشترك مع شعور عميق وواضح للحاجة للوحدة التي هي الأساس المشترك بين الشعب الألماني في جميع المناطق ،والذي لا يعرف سوى الانفصال والذي لا يفكر بالوحدة إلاّ أنها شيء قادم من الخارج يجب أن يتوحدوا بقوة الاحتلال ،ويجب أن يجبروا على اعتبار أنفسهم منتمين إلى ألمانيا [١].

ظهر تأثير الثورة الفرنسية سريعا عند الألمان فبعض العامة قاموا باضطرابات لما علموا بانطلاق الثورة ولكنها سرعان ما أخمدت،فليس مستغربا أن تقابل الحكومات الألمانية الثورة بالعدائية ،وتلاحق الجمعيات السرية وتفرض الرقابة على الصحف أو تغلقها ،فالحكومة البافارية منعت الصحيفة الفرنسية المونتور(Moniteur) من دخول أراضيها ،بينما قامت السلطات في ناخبية ماينز باستدعاء الشرطة وأمرت قادتها بمنع كافة أشكال الحركات أو الاجتماعات ،وأمرتها بالجاهزية القصوى و التدخل السريع عند الطلب .حكام الراين رحبوا بآلاف اللاجئين الفرنسيين وأضحت كوبلنز (Koblenz) في ناخبية ترير (Trier) مركزا للثورة المضادة[٢] .

كانت انطلاقة الثورة الفرنسية لحظة لا تنسى لآلاف الألمان ،فيوهانا شوبينهور (Johanna Schopenhauer) زوجة أحد الأغنياء الألمان ،وإحدى المهتمات بالشؤون السياسية كتبت في مذكراتها:"حياة جديدة قادمة ،بآمال جديدة لتغيير العالم..."[٣] ،ومن جانب آخر أظهر هاينريش هاينه(Heinrich Heine) ١٧٩٧-١٨٥٦م اعجابه الشديد بالفكرالثوري الفرنسي من خلال كتاباته بالرغم من أنه لم يعاصر الثورة[٤]،والشاعر الألماني كلوب شتاوك (Klop Stauk) الذي عاش في نزل على نفقة ملك الدنمارك ،كتب عن الثورة قائلا[٥]:

آه ...أنت لم تكوني بلدي؟

الحرية ترتسم في وجوه الناس؟

---

(1)Hegel in:Ritter,Joachim ,**Hegel und die Französische Revolution**,Köln und Opladen, 1957. S.10-11.

(2) Grab, **Napoleon and the transformation of Europe**.pp.86-87;.حاطوم،حركة **القومية الألمانية**،ص١٨

(3) Schopenhauer, Johanna, **Ihr glücklichen Augen Jugenderinnerungen.**Tagebücher, Briefe. Hrsg . von Rolf Weber. 2 Bände. Ost Berlin 1979. Band. 1.S.41.

(4)Heine,Heinrich **über Ludwig Börne**,Berlin(1840;Ludwig Borne:Erinnerungen eines Revolutionärs) Band.1.S. 779.

(5) Jürgen ,Hans ,und Hebahr Benedict, **Kirchen als Träger der Revolution. Ein politisches Handlunsmodell am Beispiel der USA:Geschichte, Politik, Konkretionen**,Band.3.Furche, Hamburg, 1968.S. 827.

فرنسا أصبحت هي وطن الحرية؟

من جانب آخر عارض بعض المفكرين الألمان الثورة ،فيوستوس موزر (Justus Möser) ١٧٢٠-١٧٩٤م المؤرخ ورجل الدولة والقانون ،لم يتوقع أن تأتي الثورة إلاّ بالإخلال بالنظام والاستقرار الاجتماعي ،وفي تعليقه على الدستور الفرنسي حاول أن يقدم براهين على خطورة الحرية الفردية على النظام الاجتماعي . الشاعر والفيلسوف شيلر (Schiller) ١٧٥٩-١٨٠٥م ،الذي حصل على لقب شرف كمواطن في الأمة الفرنسية ، انقلب عن توجهاته الأولى تجاه الثورة بخاصة مع تردد الأنباء عن اغتيال الملك والأعمال الدموية التي جرت في باريس، ليعود ليكتب عن أهمية النظام والاستقرار الاجتماعي وخطورة الثورة على ذلك[١] ،لم تكن الانتقادات للثورة فقط من جانب المفكرين ،فقد انتقد أحد الوزراء في حكومة ترير (Trier) الأحداث المأسوية في فرنسا وما حل بالأسرة المالكة ،وأكد على أن الثورة جعلت الناس "الغوغاء " أكثر وعيا وأكثر حساسية لأعمال الحكومات وأخطائها وسلبياتها[٢].

شكّل مثل هذا الاتجاه الذي مثله شيلر وموزر أقلية بين المفكرين الألمان ،فالجميع أظهر إعجابه بالثورة وبانجازاتها بخاصة بين الشباب الألماني الذي رأى فيها عصرا جديدا وفرصا جديدة في الحياة والفكر[٣]،فقد نبهت الثورة الفكر الإصلاحي الألماني فظهر من دعا الحكومات الألمانية للإصلاح لتجنب كارثة الثورة ،ففي ١٧ تموز ١٧٩٣م نشرت الصحيفة الشليسفيجية (Schleswigsches) مقالا تحت عنوان: لماذا لا تتوقع ألمانيا خطر الثورة؟ حيث تخلص المقالة إلى أن على الحكام الألمان أن يأخذوا درسا من الثورة الفرنسية ،وأن يعملوا على إصلاح دولهم قبل أن يتحرك الشعب ضدهم[٤]، فقد كان نجاح الثورة الفرنسية في تحرير فرنسا من قيود النظام القديم سببا في محاولات إعادة إحياء الروح القومية الألمانية ،إذ أظهرت الأمل لدى الألمان بإحياء دولة قوية ،وعبأت ألمانيا بوعيها بإمكاناتها الموجودة ،فغدا نظام الإمارة القديم المطلق عائقا أمام تطور الشعب الألماني[٥].

---

[1] Jürgen, **Kirchen als Träger der Revolution**.S.839.

[2] Sorel ,Albert, **Europe and the French Revolution:The Political Traditions of the Old Regime**. trans: Alfred Cobban & J. W. Hunt, London,1969.p.459.

[3] Benedict, **Kirchen als Träger der Revolution** .S.828.

[4] Knigge ,Alfred Freiherr von, **über die Ursachen;Warum Wir in Deutschland vorerst wohl keine Gefährliche Politishe Haupt-Rrevolution zu erwarten haben**, Schleswigsches Journal ,17 - July 1793.

[5] Baraclough, **The Origins of Modern German,** p.30.

بدا هذا الأمر واضحا بعد سيطرت اليعقوبية[١] على الحياة السياسية الفرنسية ،والتي عملت على تعزيز حقوق الإنسان والحرية والمساواة والعقد الاجتماعي والسلطة الشعبية ،واجتثاث جذور النظام القديم .وجدت اليعقوبية في منطقة الراين أنصارا لها ،فتشكلت في ماينز الجمعية اليعقوبية الألمانية (Club Jakobiner) والذين رحبوا بما سموه "بالثورة الأوروبية الديمقراطية" ورحب أهل الراين بالفرنسيين كونهم محررين لهم من النظام القديم[٢].

انقضت سنتان على الثورة الفرنسية دون أن يحدث اصطدام مباشر ما بين فرنسا و القوى الأوروبية، فبعد اجتماع الجمعية الوطنية سنة ١٧٨٩م ،عملت حكومة الثورة على قطع جذور النظام الملكي من خلال حرمان طبقة النبلاء من مكاسبها وامتيازاتها ،وعملت على استملاك وتوزيع أملاك الكنيسة ،لكن ترحيل الملك لويس السادس عشر من باريس وبرفقته حاشيته في تموز من نفس السنة طرح الفكرة الأولى للتدخل الخارجي في فرنسا ،وأعاد الشعب رهينة الكراهية والدموية التي تعودها الناس ،فغضب الباريسين كان يشكل خطرا حقيقيا على العائلة المالكة[٣].

كان الإمبراطور النمساوي ليبولد الثاني (Leopold II) ١٧٤٧-١٧٩٢م اخو ماري انطونيت (María Antonieta) ١٧٥٥-١٧٩٣م قلقا على مصير أخته، فقد أرسل رسالة إلى مجلس أوروبا في السادس من تموز يدعوهم إلى التوحد لإنقاذ الأسرة المالكة في فرنسا من قبضة الغوغاء ،وبعد ستة أسابيع اجتمع الإمبراطور مع مللك بروسيا فريدرش فلهلم الثاني (Friedrich Wilhelm II)١٧٤٤-١٧٩٧م ،التقوا في بلنتس (Pillnitz) في ساكسونيا وقد أصدرا بيانا مشتركا قالا فيه : "إنهما يعتبران بأن مسألة ملك فرنسا هي مسألة أوروبية ،وبناء عليه فهما على استعداد لدعم أي مجهود حربي للقوى الكبرى على الحدود الفرنسية" [٤]، بالمقابل لم تعلن

---

[١]اليعقوبية:إحدى الجماعات الطليعية في الثورة الفرنسية ،وسموا بذلك لأنهم كانوا يجتمعون في أحد الأديرة التابعة للبعاقبة الدومنيكان في باريس وسموا" بالجبليين " لأنهم كانوا يجلسون على مقاعد عالية في الجمعية التأسيية،وسيطروا على لجنة السلامة العامة التي تولت الأمور كلها ومنها إعدام الملك وماري أنطوانيت، وانتهى عهدهم في فرنسا بعد أن جزت أعناقهم على المقصلة. باوم ، **عصر الثورة** ،ص٥٤٨.

[2] Blanning ,T.C,**German Jacobins and the French Revolution**, The Historical Journal 23:pp.985-1002 , 1980, Cambridge University Press, 1980. p.990; لوبون ،غوستاف ،**روح الثورة الفرنسية** ،ط١، ترجمة: محمد عادل زعيتر ،المطبعة العصرية ،القاهرة ،١٩٣٤. ص١٠٢-١٠٣.

[3]Fyffe,Henriette F.A,**History of Modern Europe 1792-1878,** London, 1895.Re-Publishing: By Globes ® Publishing's 2008. pp.3-4;.جرانت ،**أوروبا في القرنين**،ص٩٥-٩٧

[4]Henriette, **History of Modern Europe**, p.3; .جرانت ،**أوروبا في القرنين**،ص٩٧

الجمعية الوطنية الحرب مباشرة على النمسا وبروسيا ،فقد كانت تدرك التناقضات الموجودة بين بروسيا والنمسا ،فالإمبراطور النمساوي كان يخشى عدم انضمام بريطانيا ،ولم يكن في نيته الدخول في حرب وحده ضد فرنسا ،وكان يعرف أن الساسة الفرنسيين لن يأخذوا تهديده على محمل الجد ،وانتهى هذا الإعلان بمجرد قبول لويس السادس عشر بالدستور الذي أقرته الجمعية الوطنية[١].

ساهمت جوتان في دفع فرنسا إلى الحرب هما اليمين المتطرف واليسار المعتدل بالإضافة إلى الموقف المتطرف للقوى الرجعية في أوروبا بخاصة بروسيا والنمسا ،وأضحى واضحا بالنسبة للملك والنبلاء والارستقراطية الفرنسية التي تجمعت في مختلف المدن الألمانية أن التدخل الأجنبي هو الوسيلة الوحيدة لإعادة النظام القديم ،ومن جانب آخر كان أنصار الثورة الفرنسية يعتقدون أن من واجب أم الثورات العالمية تحرير جميع الشعوب التي ترزح تحت نير القمع والطغيان ،وأضحت الحرب مطلب المعتدلين والمتطرفين على حد سواء ،فقد كان من المغري أن تعزى كل الصعوبات التي يعاني منها النظام الجديد إلى المؤامرات التي يدبرها النظام القديم بالتحالف مع القوى الأجنبية ،لذا اتجهت أنظار الجمعية الوطنية للحرب بوصفها تجمع مابين التحرير والاستقلال[٢].

أعلنت فرنسا الحرب على النمسا وبروسيا في ٢٠نيسان ١٧٩٢م ،وأثناء التحضير للحرب توفي ليبولد ليخلفه ابنه فرانتس الثاني (Franz II) ١٧٦٨-١٨٣٥م ،الذي قابل فريدرش الثاني في ماينز لمناقشة المسائل العسكرية والشؤون السياسية ،حيث أظهر النمساويون رغبتهم التوسعية على حساب بافاريا ،وعندما اجتاحت القوات البروسية الحدود الفرنسية بقيادة الجنرال برونشفياج (Herzog von Braunschweig) (أشهر الرجال العسكريين في عصره)الذي هدد بأنه سوف يدخل باريس ويعيد النظام القديم ،كانت حركة جيش الجنرال بطيئة وتأثرت بسوء الأحوال الجوية ونقص في المؤن ،وأخيرا التقى مع الفرنسيين بالقرب من فالمي (Valmy) في أيلول ١٧٩٢م ،ما بين نهري بيونا (Bionne) وأوفا (Auve) على بعد ١٠٠ميل من باريس ،وبالرغم من أن المعركة لم يكن لها أي أهمية عسكرية حيث أجبرت بروسيا على الانسحاب –كانت ليوم واحد خسر فيها الطرفان ٥٠٠جندي- إلا أنها كانت ذات أهمية سياسية كبيرة[٣].

---

(1)Henriette, **History of Modern Europe**.pp.3-4.

(2)Träger ,Claus, **Deutsche Schriftsteller zur Französischen Revolution**, Bibliographisches Institut, Leipzig ,1989.S.22-25; باوم ، **عصر الثورة** ،ص١٤٥-١٤٦؛جرانت،**أوروبا في القرنين**،ص٩٧.

(3) Reichard ,H.,**Seine Selbstbiographie** ,Stuttgart,1877. S. 271 ff.; Grab, **Napoleon and the transformation of Europe**, p.85; جرانت،**أوروبا في القرنين**،ص١٠٤-١٠٥.

كانت هزيمة فالمي إيذانا ببداية النهاية للعهد الملكي وإعلان الجمهورية– كما اعتبرتها الجمعية الوطنية الفرنسية– فقد حمل الثوار مسؤولية الهزيمة إلى الخيانة وأعمال التخريب الملكية،وأعلن عصر جديد في تاريخ البشرية مع البدء بتطبيق السنة الأولى من التقويم الثوري وقد بدأت الثورة عصرها الحديدي البطولي في غمرة المذابح وتم إعدام الملك ،وانتخاب المؤتمر الوطني ،والدعوة إلى المقاومة الشاملة للغزو،لقد كانت الثورة الجديدة مختلفة عن تلك التي حدثت عام ١٧٨٩م ،فإذا كانت الأولى قائمة على البرجوازية الميسورة والتي ملأت بها الإدارات في المحافظات والبلديات ،فقد كانت الثانية من عوام باريس من المعدمين والمعوزين[١]،وعلق غوته على هزيمة فالمي عندما سأله أحد الضباط البروسيين المشاركين في المعركة عن رؤيته للواقع الجديد فأجابه:"هنا والآن يبدأ عصر جديد في تاريخ البشرية وعندها تستطيع أن تقول أنا كنت هناك في فالمي..."[٢].

عملت بروسيا بعد هزيمتها في فالمي على عقد تحالف مع النمسا على أمل الحصول على مقاطعتي فلاندر(Flandre) والالزاس(Elsass) ،إلاّ أن الفرنسيين بادروا بالهجوم حيث التقى الطرفان بموقعة صغيرة سحق بها الجيش البروسي ،وبالرغم من أن المعركة كانت بين عدد محدود من القوات إلا أنها ألهبت الروح المعنوية للكتائب الثورية التي بدأت بالهجوم على طول الحدود الفرنسية مع النمسا وبروسيا،فاستطاعت هزيمة النمساويين وطردهم من بلجيكا، فاستقبلهم الناس كمحررين ومنقذين – وقد أدى ذلك إلى حرب مع انجلترا استمرت لأكثر من اثنتين وعشرين سنة – اتسع نطاق الحرب فاجتمع مندوبو انجلترا وبروسيا والنمسا وتعاهدوا على تقسيم فرنسا بينهم على أن تنال بروسيا مقاطعتي الألزاس واللورين ،وأن تنال النمسا مقاطعتي فلاندر وأرتوا ،وتحصل انجلترا على ميناء دنكرك ،وقد اقترح سفير النمسا أن تقمع الثورة بالقوة وتستأصل شأفة القادة الفرنسيين .خلال سنة ١٧٩٣م استولى الأسبان على مدينتي بيربنيان وبايون واستولت انجلترا على مدينة طولون واستولى النمساويون على مدينة فلنسيا[٣].

كان تردد الحلفاء سببا كافيا لقيام الجمهورية الفرنسية بإعادة ترتيب وتنظيم نفسها وذلك من خلال التجنيد العام ،فقد صدم أعداء فرنسا من ردة فعل حكومة الثورة الفرنسية ومن الانتصارات التي حققتها في البدايات الأولى،وبالنتيجة نجحت الثورة ليس فقط في وقف خطر

---

[١] ريمون،**النظام القديم والثورة الفرنسية** ،ص١٨٤؛باوم ،**عصر الثورة** ،ص١٤٧ ؛ جرانت،**أوروبا في القرنين**، ص١٠٦.

[2]Goethe,Johann Wolfgang von, **Kampagne in Frankreich In**;Goethes Werke.Hamburger Ausgabe in 14 Bände. Herausgegeben von Erich Trunz. Band. X. München, 1976. S.234-235.

[3] Henriette, **History of Modern Europe**, pp.4-6.

أعدائها المترددين ولكن هزمتهم جميعا في معركة فنديا (Vendee) ،وذلك بفضل حشد كافة طاقات مواطنيها الذين التفوا حول ثورتهم وحكومتهم(١).

قام فريدرش الثاني بسحب قواته من فرنسا في بداية ١٧٩٣م ،معلنا أنه من الآن فصاعدا سوف ينذر نفسه لمصلحة بروسيا ،لذا اتجه إلى تسوية خلافاته مع فرنسا فدخل في مفاوضات انتهت بتوقيع معاهدة بازل (Basel) في نيسان ١٧٩٥م ،حيث اعترفت بروسيا بموجبها بالحكومة الثورية في باريس وبالاحتلال الفرنسي لمنطقة الراين على الضفة اليسرى من نهر الراين(المحاذية للحدود الفرنسية) ،ووعدت بروسيا بدعم التوسع الفرنسي في أوروبا بالمقابل تدعم فرنسا بروسيا على الجهة اليمنى من الراين ،وقد تضمنت الاتفاقية ملحقا سريا نص على إقامة منطقة "عازلة " طبيعية مابين فرنسا وبروسيا ،تكون هذه المنطقة خارج سيطرة القوات الفرنسية مادامت بروسيا متعهدة بعدم انطلاق أعمال عدائية من أراضيها تجاه فرنسا ،أي تبقى تحت السيادة البروسية بإشراف فرنسي .وبعبارة أخرى كانت بروسيا مستعدة للتضحية بالمصالح العليا وببعض الدول الألمانية الصغيرة من أجل مصالحها الإقليمية ،ونتيجة لذلك سرعان ما قامت بافاريا وفورتمبيرج وبادن بتوقيع معاهدات مماثلة مع فرنسا(٢).

وقع عبء الحرب مع فرنسا على النمسا بعد انسحاب بروسيا والتي استمرت على طول الحدود النمساوية وفي الأراضي المنخفضة "هولندا" وفي منطقة الراين وفي ايطاليا ،ومع سطوع نجم نابليون بونابرت الذي ظهر كأحد القادة الفرنسيين البارعين في إيطاليا في منتصف ١٧٩٦م بعد أن حقق عدة انتصارات على النمسا ،عمل على تأمين المنطقة الجنوبية وعبر الالبه في آذار ١٧٩٧م وخلال عدة أسابيع كان على بعد (٨٠) ميلا من العاصمة النمساوية فينا وعند هذه النقطة لم يشأ الطرفان الدخول في مغامرة ،لذا كانت المفاوضات هي الحل الأنسب والتي انتهت بتوقيع معاهدة كومبو فورمايو (Compoformio) في تشرين أول ١٧٩٧م ،والتي نصت على اعتراف النمسا بأن الضفة اليسرى المحاذية للحدود الفرنسية من الراين هي الحدود الطبيعية لفرنسا وتنازلها المطلق عن بلجيكا التي ضمتها فرنسا بالكامل(٣).

كانت المعاهدة مجرد كسب للوقت من جانب النمسا التي سعت إلى استغلال انشغال فرنسا في حملتها على مصر ١٧٩٨م بدخولها بتحالف ضم بريطانيا وروسيا ،وعملت على إقامة

---

(1) Sheehan, **German History**.p.224; Henriette, **History of Modern Europe**. pp.9-11.

(2) Georges, Lefebreve, **The French Revolution**, New York ,1962.p.11;Ramm ,Agatha, **Germany 1789 -1919**, London, 1967.pp.39-41; Baraclough, **The Origins of Modern Germany**. p.305.

(3) Sheehan, **German History**.p.225; Grab, **Napoleon and the transformation of Europe**.p.88;

قطان، نقولا ،**تاريخ أوروبا السياسي والثقافي ١٥٠٠-١٩٤٥**،المطبعة الوطنية،د.م ،١٩٥١م.ص١٢٧.

ما يسمى الرابطة الملكية (Imperial Kreise) والتي ضمت شفابين (Schwaben) وبافاريا (Bayern) وفرانكونيا ،سار التحالف في البداية بنجاح ولكن مع سير الأحداث بدأت الخلافات السياسية وعدم الثقة تظهران ،فالروس كانوا حلفاء صعبي المراس ،البريطانيون لم يكن لهم قوات على الأرض والنمساويون كانوا يعانون من مشاكل داخلية ونقص التموين ،وفي سنة ١٨٠٠م حصد الفرنسيون انتصارات عدة على النمساويين توجت بالانتصار عليهم انتصارا ساحقا في غابات هوهنليندن (Hohenlenden) بالقرب من ميونيخ (München) في ٣ كانون ثاني ١٨٠١م،ومع انحلال الحلف عاد نابليون من مصر ،حيث غيّر قدومه من مجرى الأحداث ،وأعطى دفعا قويا للحرب في أوروبا ،فقد أعلن نفسه القنصل الأول للجمهورية وأجبر النمسا على الاعتراف بالحكم الفرنسي على المناطق الواقعة غرب الراين في اتفاقية لونيفيل (Luneville)١٨٠١م .وهكذا أصبح الجزء الثري من الإمبراطورية الجرمانية المقدسة بما في ذلك مدن: شبير(Speyer) ،مانهايم (Mannheim) ،فورمز (Worms) ،ماينز(Mainz) ،بنجن (Bingen) ،ترير (Trier) كوبلنز (Koblenz)،وآخن (Aachen) وبون (Bonn) وكولونيا (Köln) تحت الحكم الفرنسي ،وأنهت نفوذ الهابسبورج من الراين[١].

١-١-٢:كونفدرالية الراين ١٨٠٦م.

خضعت منطقة الراين اليسرى المحاذية للحدود الفرنسية للحكم الفرنسي في فترة مبكرة مابين ١٧٩٣-١٧٩٥م والتي تعززت بتوقيع اتفاقيتي بازل ١٧٩٥م وكامبو فورميو ١٧٩٧م مع بروسيا ،حيث تم تطبيق القوانين الفرنسية على هذه المناطق ،ومن النتائج الهامة التي ترتبت على هذا الضم خسارة العديد من الأمراء الإقطاعيين لممتلكاتهم وسلطاتهم ،وأدى تذمرهم واعتراضهم إلى انعقاد مؤتمر بين فرنسا والنمسا في١٦أيلول ١٧٩٧م ،حيث اقترح بعض الأمراء مشروع قرار يقضي بتحويل الدول الاكليركية "الكنسية " إلى دول علمانية ،إلاّ أن المؤتمر أحال المشروع إلى اجتماع الرايخستاج "المجلس الإمبراطوري" (Reichstag) للإمبراطورية الجرمانية المقدسة في بادن لمناقشة السلام مابين فرنسا والإمبراطورية المقدسة ، وباتفاق سري اعترف الإمبراطور النمساوي فرانتس الثاني بالسيطرة الفرنسية على منطقة الراين اليسرى ،ووعد بأن يبذل أقصى جهوده في مؤتمر الرايخستاج لضمان موافقتهم في المعاهدة المنوي توقيعها مع فرنسا ،وإقناع الأمراء على الجهة اليمنى من الراين بالموافقة على عقد معاهدة سلام مع فرنسا ،وبعبارة

---

[1] Müller,Helmut,**Schlaglichter der deutschen Geschichte**,Bundestrade für politsche Bildung ,Leipzg – Mannheim, 2002.S.136;Sheehan, **German History**.p.22; ديورانت ،**قصة الحضارة**، الكتاب الأول، ص ١٠٦-١٠٧؛ جرانت،**أوروبا في القرنين**،ص١٠٦.

أخرى كان الإمبراطور النمساوي كمثيله البروسي يسعى لتأمين المصالح الوطنية على حساب المصالح القومية[١].

بناء على اتفاقية لونفيل سنة ١٨٠١م والتي أكدت على ما جاء في اتفاقية اتفاقية كومبو فورمايو أصدر الرايخستاج الإمبراطوري في ٢٥ شباط ١٨٠٣م مرسوما شاملا حدد خريطة غرب ألمانيا ونظم الحكم فيها (Reichsdeputationshauptschluss) كأهم قرار للوفود الممثلة الرايخ وبناء عليه تم عزل كافة الأساقفة تقريبا من حكم وحداتهم الدينية ،ووافقت بروسيا على تقليص الحكم الأسقفي[٢].

أثر هذا المرسوم تأثير مباشرا وجذريا على الخريطة الألمانية وفقا لمبدأين رئيسين: العلمانية والضم(الإلغاء) فقد أكد على تقوية الدول الألمانية الكبرى والمتوسطة وإلغاء السلطة الكنسية فيها ،وتضمن شطب (١١٢) دولة صغيرة معظمها من المدن الحرة والوحدات الكنسية فمن بين(٥١) مدينة حرة مستقلة بقي ست مدن مثل هامبورج وبريمن ،والدول البطريركية لم يبق منها سوى ثلاث أهمها فرانكفورت على الماين ،و أكثر من ثلاثة ملايين من السكان تغير حكامهم ،كانت بروسيا أكثر الدول استفادة من هذا النظام الجديد ،حيث حصلت في شمال وشمال غرب ألمانيا على خمسة أضعاف مما خسرته في منطقة الراين اليسرى ،كما استفاد عدد من الدول من ذات الحجم المتوسط والتي شكلت حوالي ثلث مساحة ألمانيا: بافاريا وفورتمبيرج وبادن وهسن- كاسل وهسن- دارمشتات وناساو (Nassau)[٣].

زاد نفوذ نابليون بشكل تلقائي في ألمانيا ،لأن تلك الدول تدين بما وصلت إليه إلى نابليون واستمرارها يعتمد عليه بشكل أساسي ،مقدما خدمة كبيرة للقضية الألمانية ،فقد أصبح هناك ستة ناخبين للإمبراطور من البروتستانت ثلاثة قدامى:هانوفر ،براندنبورج (Brandenburg)

---

(1)

Müller,Schlaglichter, **Der deutschen Geschichte** .S.139;Grab, **Napoleon and the transformation of Europe**.**p**.88; جرانت،**أوروبا في القرنين** ،ص١٧٨؛ ديورانت ،**قصة الحضارة**، الكتاب الأول ،ص١٠٧؛ قطان، **تاريخ أوروبا السياسي**،ص١٣٠.

(2) **Hauptschluß der ausserordentlichen Reichsdeputation, Reichsdeputationshauptschluß, Vom 25. Februar,1803.protokoll der außerordentlichen Reichsdeputation zu Regensburg 1803**.in: Huber, Ernst Rudolf, **Dokumente** zur **Deutschen Verfassungsgeschichte.** 3 Bände.W.Kohlhammer, Stuttgart, 1961. Band.1:**Deutsche Verfassungsdokumente 1803 – 1850**.S.1-28; Müller,Schlaglichter, **der deutschen Geschichte**.S.136;

ديورانت ،**قصة الحضارة** ،الكتاب الأول ، ص١٠٧-١٠٨؛ قطان،**تاريخ أوروبا السياسي**، ص١٣٢.

(3) Grab, **Napoleon and the transformation of Europe**.p.88; جرانت،**أوروبا في القرنين** ،ص١٧٨.

وساكسونيا وثلاثة جدد: بادن ،فورتمبيرج وهسن ،بينما بقي عدد الناخبين الكاثوليك أربعة: ماينز، بافاريا بوهيميا وسالزبورج .وأضحى للبروتستانت سبعون صوتا ضد أربعة وخمسون صوتا للأمراء الكاثوليك وكذلك أغلب المدن الحرة .النمسا من جانب آخر لم تحصل سوى على منطقتين صغيرتين بركسن (Brixen) و ترينت (Trent) مع الإشارة بشكل رئيس إلى أن الدول الكنسية التي تم شطبها من الخريطة ،كانت من أكبر الداعمين للتاج الإمبراطوري ،وأصبح الإمبراطور فعليا فقط يحكم على الداخل النمساوي ،كما أن الأمراء الألمان لم يعودوا راغبين في الاستمرار في دعم التاج الإمبراطوري ،ويفضلون التخلص من الضعف المستشري في الإمبراطورية[١].

استمر نابليون بعدائه لبريطانيا والتدخل في ألمانيا حيث قام في أيار سنة ١٨٠٣م باحتلال هانوفر التابعة للتاج البريطاني ،وقد استسلم جيشها له ونتيجة لذلك قام بحل ذلك الجيش، فنقلت أسلحة هانوفر وكنوزها وأموالها إلى فرنسا ،وأجبرت على قبول الاحتلال الفرنسي وإغلاق حدودها أمام التجارة البريطانية ،ولم تستطع بريطانيا أن تفعل شيئا ،ومن جانب آخر كانت الإمبراطورية الجرمانية المقدسة خلال السنوات الأخيرة من وجودها ١٨٠٣-١٨٠٦م ،في حالة اضطراب وغير قادرة على تغيير الواقع الذي قام به نابليون ،فالرايخستاج مؤسسة تحتضر وفي طورها النهائي مقسمة مابين دول كاثوليكية وبروتستانتية وإقطاعيات الفرسان كانت عرضة لهجوم الحكام الكبار الذين أرسلوا جنودهم إليها لضمها[٢] .

استمرت الإمبراطورية النمساوية دولة كبرى بالرغم من الهزائم المتكررة ولكن بموارد محدودة فقد بذلت جهودا كبيرة لتحسين قدراتها العسكرية ،وطرحت الهزائم المتكررة فكرة ضرورة الإصلاح ،وكان رائد هذه الفكرة الأمير كارل يوزف فون بريمور ١٧٧٩-١٨٧٣م (Graf Karl Joseph Anton Welsperg von Primör)،إلا أن هذه الإصلاحات لم تؤد إلى نتائج مباشرة ولم تؤد إلى حماية العاصمة النمساوية ،ففي سنة ١٨٠٥م انضمت النمسا إلى تحالف جديد ضد فرنسا ضم بداية النمسا وروسيا وبريطانيا بهدف تحرير الأراضي التي احتلها نابليون ،بالمقابل قام نابليون بعقد معاهدات تحالف مع بادن وبافاريا وفورتمبيرج وهسن- درامشتات ،النصر الفرنسي في معركة أولم (Ulm) ورغبة فرانتس الثاني(Franz II) بالاهتمام بالداخل حكمت علاقته بألمانيا ،ففي اتفاقية بريسبورج ١٨٠٥م (Pressburg) تنازل الإمبراطور عن تيرول (Tirol) ومدينة اوغسبيرج (Augsburg) لبفاريا ،وأعفى حلفائه في جنوب ألمانيا من الحلف معه

---

(1) Grab, **Napoleon and the transformation of Europ**e.p.88.

(2) Ibid.p.89; شكري،**الصراع بين البرجوازية والإقطاع**، مج٢، ص٣٩.

وكان على النمسا أيضا أن تدفع تعويضات حربية بمقدار أربعين مليون فرانك لنابليون ،وفي أعقاب هذه الاتفاقية أصبح حكام بافاريا وفورتمبيرج ملوكا، بينما صار حاكم بادن دوق أكبر ،وكان نابليون الضامن لهذه الألقاب[١].

كان نابليون يدرك تماما أن هزيمة العدو لا تعني سوى تدمير قدراته العسكرية ،وأنه سوف ينهض من جديد ،لذا عمل على تغيير الأوضاع في ألمانيا على نحو يسمح له بالاستمرار كحاكم جديد للرايخ ،وأن يكون هناك قبولا عاما بالأوضاع الجديدة ،فالإمبراطورية الجرمانية المقدسة أصبحت كما قال فولتير:"لاهي مقدسة ،ولا هي رومانية ،ولا هي إمبراطورية"[٢]، لذا كانت خطته بالنسبة لمستقبل ألمانيا بسيطة قائمة على محورين رئيسين، هما[٣]:

الأول: حل الإمبراطورية الجرمانية المقدسة وتعزيز الخلاف مابين النمسا وبروسيا.

الثاني: جعل الدول الألمانية كدول حاجزة معتمدة على فرنسا وتقويتها بحيث تكون قادرة على الوقوف أمام النمسا وبروسيا ،ولكن ليس لدرجة أن تصبح قادرة على رسم سياستها .

اتفقت بافاريا وفورتمبيرج وبادن وهسن- دارمشتادت وناساو ودالبيرج(Dalberg) ودول ألمانية أخرى بإيحاء من نابليون في ١٢ تموز ١٨٠٦م على إقامة اتحاد كونفدرالي فيما بينها "كونفدرالية الراين" (Rheinbund) أو رابطة الدول الألمانية ،وأعلن نابليون في الأول من آب الحماية الفرنسية على هذا الاتحاد الكونفدرالي ،واحتفظ الاتحاد باستقلاله في الأمور الداخلية والقضايا المحلية بينما تبقى الشؤون الخارجية بيد نابليون ،كما وافق الاتحاد على وضع قوة عسكرية كبيرة تحت أمره يطلبها متى شاء[٤].

كما أعلن الأعضاء في الكونفدرالية الجديدة في رسالة إلى الإمبراطور والرايخستاج الإمبراطوري انسحابهم من الإمبراطورية الجرمانية المقدسة، وفي صباح السادس من آب ١٨٠٦م وسط احتفال كبير بين جنوده في شوارع فينا ،أعلن فرانتس الثاني(Franz II) رسميا عن آخر إعلان له كإمبراطور للإمبراطورية الجرمانية المقدسة،في كنيسة اينن شورس (Kirche Innen Choirs Angels) في فينا ،ليحمل بعده فقط لقب فرانتس الأول ملك الامبراطورية النمساوية ،حيث قرأ الإعلان التالي:"كما اختار الرب الإمبراطور الروماني وحماه على مر

---

[1]Gunther,E, **Rothenberg Napoleon's Great Adversary:Archduke Charles and the Austrian Army 1792-1814**,Bloomington,1982.p.43;Grab,**Napoleon and the transformation of Europe**.pp.89-90; جرانت،**أوروبا في القرنين** ،ص١٧٨.

[٢] فولتير عند :ديورانت ،**قصة الحضارة**،الكتاب الاول، ص١٠٧.

[3] Baraclough, **The Origins of Modern Germany**, p.305; Sheehan, **German History**.p.22.

[4]Rheinbunds-Aktte 12-7-1806.in Huber, **Dokumente**.Band.1.S.28-34. Sorel, **Europe and the French Revolution**,Vol.1.p.120 ; Müller, **Schlaglichter der deutschen Geschichte** .S.137.

الزمان...فإنني صاحب الجلالة إمبراطور النمسا والملك على الألمان...أتخلى طوعا عن التاج الإمبراطوري...واعفي أعضاء الرايخ من التزاماتهم القانونية تجاه الرايخ..."[١] ،وقد علق غوته على هذا الإعلان قائلا إن:"إعلان نهاية الصراع ما بين العبد والسيد على مسرح الدمى كان أكثر إثارة من إعلان نهاية الإمبراطورية الجرمانية المقدسة..."[٢] ،دلالة على أنها كانت فارغة من أي محتوى عملي ،بل إنها لم تؤد إلى أي ردة فعل لدى الرأي العام الألماني ،باستثناء بعض الأصوات التي ارتفعت ضد هذا التغيير والتي أتت إما من منافع مسلوبة أو منافع لم تشبع بصورة كافية[٣].

كانت الإمارات الصغيرة في الغرب الألماني الأكثر رعبا من انهيار الإمبراطورية الجرمانية المقدسة، وكانت أقصى أماني الحكام الصغار البقاء كحكام وحفظ النظام داخل دولهم ، فرجال الحكم في الدول الألمانية بشكل عام أدركوا أنهم يعيشون عصرا جديدا فيه مخاطر كبيرة وفرصا جديدة ،فنابليون لم يترك أي دولة ألمانية صغيرة كانت أم كبيرة دون أن يحدث فيها تغيرا ،فكل دولة كان عليها أن تجد طريقها في التعامل مع الواقع الجديد الذي أحدثه نابليون ،فقد كتب كارل فون هاردنبيرج(Karl von Hardenberg) في سنة ١٨٠٧م:"الدولة التي لم تحتضنهم كان عليها أن تواجه الإخضاع أو التلاشي"[٤].

بالمقابل تباينت استجابات الدول الألمانية للتهديد الفرنسي في شكلها، ولكنها كانت متشابهة في مضمونها،فالتأثيرات الخارجية دفعت الدول الألمانية باتجاه التغييرات السياسية الدائمة فالهزيمة ولدت عدم ثقة لدى الشعوب بهؤلاء الحكام ،كما أنها ولدت مشكلات اقتصادية واجتماعية أدت إلى ظهور مجموعات من المصلحين والذين كانوا في أغلبهم من الموظفين الحكوميين[٥]. ومن ناحية أخرى سببت التغيرات السابقة خلطا ما بين المناطق الألمانية التي خضعت للحكم الفرنسي والتي يمكن إجمالها بالآتي[٦]:

---

[1] **Niederlegung der Kaiserkrone durch Kaiser Franz II 6 Augest 1806**, in:Huber,**Dokumente,** Band .1.S.35-36 .

[2] Goethe,J.W,**Zur Farbenlehre(1810)**,In: Gothe,J.W,**Gesamtausgabe der Werke und Schriften**, XI,1, Tagebücher, 1770-1810.Stuttgart,1956-60.S.686

[٣] حاطوم،**حركة القومية الألمانية**،ص٢٤.

[4] Karl von Hardenberg, in:Hölzle,Erwin,**Das Napoleonische Staatssystem in Deutschland.** Heidenheim Zeitung , Band. 148, 1933, S.277-293.S.282.

[5] Sheehan, **German History**. pp.252-253.

[6] Schmitt, Hans,**Germany without Prussia; A Closer look at the Confederation of the Rhine**. German Studies Review,4/1,1983.pp.9-39.pp.18-20;Hölzle,**Das Napoleonische Staatssystem in Deutschland**. S. 283-285; Sheehan,**German History**.pp.224-5;Berding,Helmut,**Napoleonische**

=

١. المنطقة التي احتلها الفرنسيون منذ ١٧٩٣م :الضفة اليسرى من نهر الراين ،حيث ألحقت بفرنسا وطبق عليها النظام والقانون الفرنسي.

٢. الدول الثلاث التي تم إنشاؤها بعد سنة ١٨٠٦م :مملكة فستفاليا التي حكمها أخو نابليون جيروم (Jerome) ودوقية فرانكفورت الكبرى (Großherzog von Frankfurt) برئاسة الأمير بريمتا (Primate) حليف نابليون المخلص ،حيث كانت الدوقية مركزا لكونفدرالية الراين ،ودوقية دالبيرج الكبرى (Großherzog von Baden und des Mainzer von Dalberg) التي حكمها نسيبه يوكهيم مورت (Joachim Murat) ثم من قبل نابليون نفسه.

٣.المنطقة التي احتلها نابليون بعد سنة ١٨١٠م في شمال ألمانيا ،حيث كانت طبيعة الحكم الفرنسي فيها مختلفة عن الاندفاع الأيدلوجي والوعود التي قطعت لأهل الراين في المنطقة الجنوبية ،فقد قام نابليون بضم عدد من الدول الممتدة على طول الحدود الشمالية بما فيها ممر لوبيك (Lübeck) في الشمال ،وصولا جنوبا إلى مونستر(Münster) ،أوزنابروك (Osnabrük) وهامبورج (Hamburg) حيث هدفت هذه العملية لتعزيز السيطرة الفرنسية على هذه المراكز التجارية المهمة،وتنويع الموارد المالية،وزيادة الرقابة الفرنسية على حركة التهريب البريطانية،ومنعها من الوصول إلى الموانئ الأوروبية إحكاما للحصار القاري،وبنفس الوقت التحضير للمعركة الحاسمة مع الروس.

بالتالي فأنه خلال السنوات مابين ١٨٠٦-١٨١٣م كانت البلاد مقسمة إلى أربعة أقسام رئيسية:١.مناطق تم ضمها إلى فرنسا.٢.كونفدرالية الراين.٣.بروسيا ٤.النمسا[(١)]، وعليه توسعت الدول ذات الحجم المتوسط في الجنوب والغرب والتي كان أهمها بافاريا ،فورتمبيرج ،بادن وهسن – درامشتات على حساب الإمارات الصغيرة والأملاك الكنسية وحكمها أحد حلفاء نابليون بالإضافة إلى عدد من الدول الصغيرة في المناطق الشمالية والتي لم يجر عليها تغيرات كبيرة بسبب إعادة تنظيم الخريطة الألمانية،ولكنها كانت مرتبطة بفرنسا من خلال كونفدرالية الراين، أما الدولتان الكبريان النمسا وبروسيا فقد تم تقليص مساحتهما لصالح الدول ذات الحجم المتوسط ولصالح كونفدرالية الراين[(٢)] .

تفحص الخريطة رقم(٢) ومقارنتها مع الخريطة رقم (١) يبين الحجم الكبير الذي أحدثه نابليون في الخريطة السياسية الأوروبية ،فقد نقل أوروبا بخاصة وسطها نقلة نوعية بحيث أنه

=

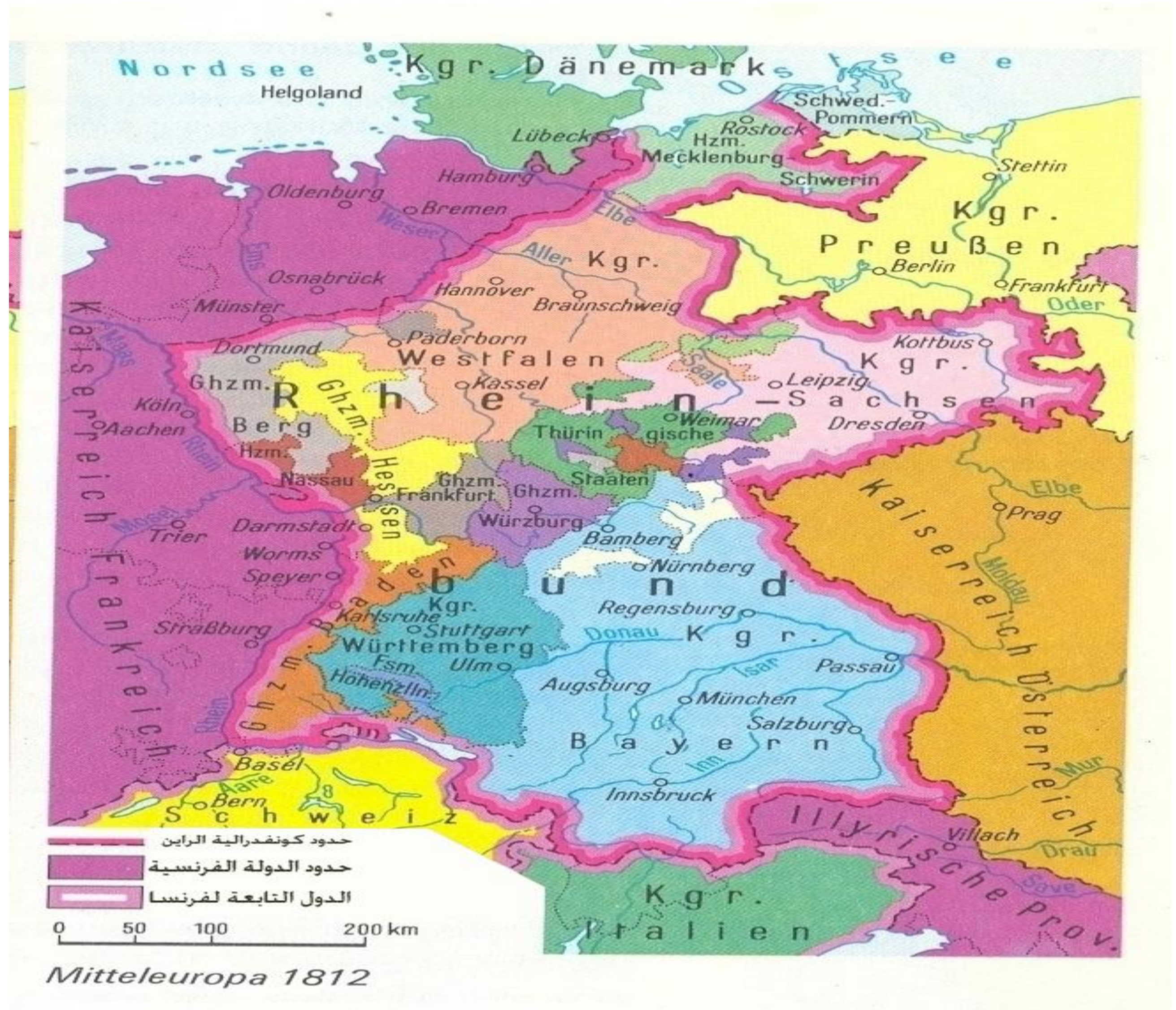
Herrschaftsund Gesellschaftspolitik im Königreich Westfalen (1807–1813), Göttingen, 1973.S.20.

(1) Grab, **Napoleon and the transformation of Europe**.p.91

(2) Schmitt, **Germany without Prussia**, pp. 26-27.

ألغى طابع الفسيفسائية التي سادت نهاية الإمبراطورية الرومانية المقدسة حيث أنك ترى دولا يمكن تميزها.

خريطة رقم (٢) كونفدرالية الراين سنة ١٨١٢م.



المصدر: Hug, vom Zeitalter der Entdeckungen bis zum Ende des 19.Jahrhunderts. 5 band.2,.S.139.

كانت كونفدرالية الراين وسيلة فرنسا في إحكام قبضتها على دول وسط أوروبا ،وترتب على الأعضاء في الكونفدرالية التزامات مالية وعسكرية يجب تقديمها للفرنسيين،بالإضافة إلى الدعم السياسي والدبلوماسي على الصعيد الدولي ،كما فرضوا على حلفائهم وشجعوهم على إحداث التغيرات السياسية على النمط الفرنسي ،بخاصة فيما يتعلق بمدونة نابليون١٨٠٤م (des Code Napoleon) التي أحدثت انقلابا في البنية الاجتماعية والاقتصادية فيما يتعلق بإلغاء الألقاب والامتيازات الخاصة ،وتم إعادة تنظيم الكنيسة بالاعتماد على القانون الفرنسي المدني وتم علمنة جميع أراضي الكنيسة وبيعها ،وألغيت الرسوم والضرائب على طول نهر الراين، وتم

تقسيم منطقة الراين إلى أربعة أقسام:دونرسبيرج (Donnersberg) الزار (Saar) والراين- موزل (Rhine-Mosel) والرور (Ruhr)[١].

فإذا أخذنا مملكة فستفاليا نموذجا لأثر نابليون على ألمانيا؛لوجدنا أن المملكة التي قام نابليون بإنشائها على حساب الأراضي البروسية وهانوفر- أعطاها رعاية خاصة بأن جعل أخاه جيروم ملكا عليها- فإن نابليون لم يكتف فقط بتطبيق نظام الحكم والأسلوب الفرنسي وتوسيع حدودها على حساب جيرانها بخاصة بعد هزيمة النمسا سنة ١٨٠٩م ،وإنما أرادها دولة نموذجا لدول وسط أوروبا ،فقد كانت دولة حديثة دون تاريخ، دولة تاريخها يعود إلى نابليون ،كان دستورها أول دستور ألماني مكتوب مثل مبادئ وأفكار عصر الثورة الفرنسية:المساواة المدنية والحرية الدينية ،وإلغاء نظام الطوائف الحرفية والإقطاع والامتيازات الارستقراطية ،وأدخل عليها النظام القضائي الفرنسي وعمل على إقامة المحاكم بهيئة محلفين ،وهو نظام لم تعرفه ألمانيا قبل نابليون[٢]،فقد شهدت فستفاليا في ظل إدارة فاعلة ومجتمع حر الاستقرار والتقدم ،وكان أهلها موالين لأسرة نابليون وأكبر الداعمين للتوسعات الفرنسية ،فقد كتب جيروم لنابليون:"أي امة ترغب في العودة إلى النظام التعسفي البروسي بعد أن أصبحت تنعم بالحكم الرشيد والإدارة الحرة"[٣].

كانت الإصلاحات الفرنسية شكلية ،فما دامت المساواة والليبرالية تخدم السياسة الفرنسية فقد سمحوا بها وبغير ذلك كانت المجالس التمثيلية اسمية ،فلم تجتمع سوى مرتين ولم يكن لها أي سلطة فعلية ،وبدلا من الرخاء الاقتصادي كان على أهالي فستفاليا أن يعانوا من قسوة جامعي الضرائب لدعم الآلة الحربية الفرنسية وكان عليهم تقديم المزيد من الجنود ،فطريقة توظيف الإصلاحات كانت سطحية ،والإعلان الملكي لسنة ١٨٠٨م والذي أزاح عن الفلاحين العديد من الالتزامات الثقيلة وأعطاهم الحق في ملكية الأرض وحق تعليم أبنائهم ،إلا أنه في الوقت نفسه أعطى السادة الحق المساوي في ذلك،إذ كان لهم القدرة على تحسين أوضاعهم

---

(1)Blanning,T.C.W, **The French Revolution in Germany; Occupation and Resistance in the Rhineland, 1792-1802** , Oxford University Press, Oxford, 1983.pp.64-67.

(2)Fehrenbach, Elisabeth, **Traditionale Gesellschaft und Revolutionares Recht;die Einführung des Code Napoleon in den Rheinbundstaaten** , Kohlhammer, Berlin ,1957.S.16.

(3)Jerome, in:Huber ,Ernst Rudolf, **Deutsche Verfassungsgeschichte seit 1789**.7 Bände, Band. I, **Reform und Restauration 1789 bis 1830.S.** 316-317; Fehrenbach,**Traditionale Gesellschaft**.S.16-17.

وامتيازاتهم من الذين استهدفهم المرسوم الملكي ،كما قام نابليون بخلق طبقة من داعميه وأغدق عليهم الأراضي وقام بإعفائهم من الضرائب ،ومنحهم العديد من الامتيازات(١).

١-١-٣: بروسيا تقود ألمانيا في حرب التحرير من حكم نابليون.

تشكلت المملكة البروسية الدولة على يد سلالة آل هوهونتسلورين بجمع أراضي مختلفة عن طريق الإرث والشراء والاستيلاء ،وأخذت شكلها السياسي بقيام الملكية بعد سنة ١٧٣٠م،بخاصة في عهد فريدرش الأكبر ،حيث عملت على جلب السكان إليها من عناصر غير متجانسة لتقوم بصهرهم داخل الدولة ،أيّ أن الدولة سبقت تشكّل الشعب ،فقد كانت مملكة بروسيا الكبيرة تتكوّن من ناخبية براندنبورج (Brandenburg)، ودوقيتي شليزيا (Silesia) وبوميرانيا القصوى (Pomerania)، وولايات بروسيا الشرقية – بما فيها كونيجسبيرج (Königsberg) وفريدلاند (Friedland) وممل (Memel) – وبروسيا الغربية التي تم الاستيلاء عليها من بولندا في سنة ١٧٧٢م ،ومقاطعات مختلفة من قلب غرب ألمانيا تشمل فريدلاند الشرقية ومنستر وإسن (Essen) ،وأضافت إليها منطقة ثورن (Thorn) ودانزيج (Danzig) في التقسيم الثاني لبولندا ١٧٩٢م، ووارسو وقلب بولندا في التقسيم الثالث في سنة ١٧٩٥م وأنسباخ (Ansbach) وبايرويت (Bayreuth) ومانسفيلد (Mansfeld) في سنة ١٧٩١م ونيوشاتل (Neuchatel) في سويسرا في سنة ١٧٩٧(٢).بعد توقيع بروسيا لاتفاقية بازل ١٧٩٥م ،وركون الملك البروسي إلى السلام فقد الجيش البروسي دافعيته وحماسته ،واستشرى الفساد في الإدارة ،وبسبب الحروب أصبحت ميزانية الدولة في حالة من العجز الدائم ،وكانت أي حرب من الحروب البسيطة كفيلة بإظهار مدى العجز الذي وصلت إليه الدولة البروسية(٣).

جاء القرن الجديد على بروسيا في ظل توسعات نابليون في القارة الأوروبية ،خاصة بعد قيام نابليون باحتلال هانوفر التي كانت في حلف مع بروسيا ،حيث عدت خطوة استفزازية للملك فريدرش فيلهلم الثاني ،الذي تعرض لضغوط كبيرة لقطع العلاقات مع فرنسا على أقل تقدير .إلاّ أن الملك فريدرش عقد مع نابليون سلاما أحكمت فيه القوات الفرنسية قبضتها على مصب نهر الالبه وفستر ،مما الحق أضرارا كبيرة في الاقتصاد البروسي .وفي سنة ١٨٠٥م

---

[1]Fehrenbach ,Elisabeth, **Vom Ancien Régime zum Wiener Kongress** ,Oldenburg Grundriß der Geschichte , Band. 12, Oldenburg Verlag, München – Wien, 1981.S.290-295.

(٢) ديورانت ،**قصة الحضارة**،الكتاب الأول، ص١١٤-١١٥؛ حاطوم،**حركة لقومية الألمانية**،ص٦٠.

[3] Treitschke, Heinrich von, **History of Germany in the 19^{th} Century**,Vol.1,Translated by Eden & Cedar Paul. McBride,Nast & Company, New York,1915. p.187; Gooch, G.P,**Germany and French Revolution**, Russell & Russell ,New York,1966.p.369.p.518.

وأثناء عبور القوات الفرنسية الأراضي البروسية دون أخذ الإذن من الملك البروسي ،شعر الملك بإهانة كبيرة فبدأ اتصالاته مع قيصر روسيا ،حيث أقسم كل منهما أمام قبر فريدرش الكبير على الوقوف جنبا إلى جنب لمواجهة نابليون ومساعدة النمسا .تلقى التحالف هزيمة نكراء وولى جيش اسكندر هاربا ومنح نابليون لفريدرش سلاما مشروطا تضمن تنازل بروسيا لفرنسا عن نيوشاتل وكليفه (Kleve) وأنسباخ ،مقابل أن تأخذ بروسيا هانوفر ،وأن تقوم بروسيا بإغلاق حدودها أمام التجارة البريطانية[١].

أثناء تحضير نابليون لتكوين كونفدرالية الراين وبعد هزيمة النمسا وروسيا ،وسيطرته على غرب ألمانيا،سرت إشاعات حول تفاهم سري ما بين نابليون وبريطانيا يعرض فيه هانوفر – التي قدمها نابليون لبروسيا – على بريطانيا ،لذا اتجه فريدرش إلى التحالف مع روسيا في ٩ آب ١٨٠٦م ،وفي ١٣أيلول أمر فريدرش قواته بالدخول إلى ساكسونيا فانضم له جيشها .نابليون من جانبه اعتبر ذلك خرقا لاتفاقية بازل واتفاقية السلام المشروطة والتحالف ،فأمر قواته في ألمانيا بتلقين بروسيا درسا قاسيا ،وأشرف على العمليات العسكرية بنفسه فهزمهم هزيمة نكراء في معركة ينا(Jena) في ١٤ تشرين أول سنة ١٨٠٦م ودخل على أثرها برلين بعد هروب الملك وحكومته إلى ممل (Memel) .بعدها توجه نابليون نحو الروس فهزمهم في معركة فريدلاند (Friedland) وفرض عليهم معاهدة السلام في تيلسيت (Tilsit) ٧–٩ تموز ١٨٠٧م ،حيث بقيت فيها بروسيا على الخريطة الأوروبية بناء على إصرار من القيصر الروسي ،وقد نصت الاتفاقية فيما يتعلق ببروسيا على ما يلي[٢]:

١.تنازل بروسيا لفرنسا عن كل الأراضي التي تقع إلى الغرب من نهر الراين،وبقاء بروسيا مكونة فقط من أربع مقاطعات:براندنبورج،وبوميرانيا وشيلزيا العليا والسفلى.

٢.تعيد بروسيا إلى بولندا كافة الأراضي التي ضمتها خلال التقسيمات الثلاث لبولندا (١٧٧٢م، ١٧٩٣م، ١٧٩٥م).

٣.تصبح مدينة دانزيج (Danzig) مدينة حرة تحت الحماية المشتركة من سكسونيا وروسيا.

٤.اعتراف بروسيا بكافة التغيرات التي أحدثها نابليون في الدول الألمانية،وتعمل بكل طاقتها على الاشتراك في الحصار القاري ضد بريطانيا ،وتسعى لإقناع الدول في حوض بحر البلطيق الدنمارك والسويد في الاشتراك في الحصار القاري.

٥.إقامة مملكة جديدة هي مملكة فستفاليا يجلس على عرشها أخوه جيروم (شقيق نابليون).

---

(1) Gooch, **Germany and French Revolution**.p.369; **Treitschke, History of Germany**.Vol.1, p.187.

(2)Treitschke, **History of Germany**,Vol.1, p.307, p.321. قطان ،**تاريخ أوروبا السياسي**، ص١٣٣.

٦.تدفع بروسيا تعويضات لفرنسا (وصلت إلى ١٦٥ مليون فرنك).

الهزيمة التي تعرضت لها بروسيا كانت مذلة فقد تقلص عدد سكانها إلى النصف تقريبا نتيجة خسارتها لمناطق واسعة من أراضيها ،وكانت التعويضات تستنزف واردات الدولة وميزانيتها الأمر الذي انعكس على الأوضاع المعيشية للسكان ،وأدى إلى زيادة الضرائب لتغطية العجز الكبير في الميزانية ،وزاد من الروح المناهضة لفرنسا لدى البروسيين ،وتم التعبيرعن مثل هذا الشعور في ملاحظات كتبها المؤرخ والسياسي هاينرش لودن (Heinrich Luden) ١٧٧٨–١٨٤٧م ،تحت عنوان:ملاحظات حول كونفدرالية الراين ١٨٠٩م حيث قال:"العناصر الحية في عقلي وقلبي دفنت مع هزيمة فكرة الأمة الألمانية "[١].

فريدرش شيلر (F. von Schiller)١٧٥٩–١٨٠٥م و بنفس الإحساس القومي كتب بأنه كان محظوظا لخسارته ألمانيا وربحه العالم ،وألف القصيدة الغنائية الشهيرة ألمانيا الكبرى (Deutsch Größ) ١٨٠١م .ونفس الإلهام القومي عبر عنه هيردر (Herder) في قصيدته الغنائية ألمانيا نشرت بعد وفاته سنة ١٨٠٣م،وعبر عن ذلك فيختة (Fichte) في سلسلة المحاضرات التي ألقاها في شتاء ١٨٠٧–١٨٠٨م نشرت فيما بعد تحت عنوان "رسائل إلى الأمة الألمانية" وهي موجهة بشكل واضح إلى كل الشعب الألماني داعيا إلى تناسي كل الخلافات في سبيل الأمة وبعث روح النشاط الدؤوب في قلوب وعقول الشعب الألماني[٢] .

كان الشعور بالإذلال على يد الفرنسيين دافعا قويا للبروسيين للنهوض من جديد ،وكان شعار المرحلة تعبئة كافة الطاقات من أجل التحرير والخلاص ،وهنا برزت شخصية هامة قادت هذه العملية وهو رئيس الوزراء هاينريش فون شتاين (Freiherr Heinrich von Stein) ١٧٥٧–١٨٣١م[٣] فقد كان ذا شخصية قوية دفعت بالملك أن يسأل في سنة ١٨٠٧م:"أين هو شتاين؟

---

[1]Luden,Heinrich(17781847),**Geschichte des Deutschen Volkesstand zwar unter dem Eindruckeines neuen deutschen Nationalgefühls,** 3 Bände, Band.1,Jena ,1842 .S.32 ff.

[٢] باومان،**عصور الأدب الألماني**، ص١٨٣–١٨٤؛ Baraclough, **The Origins of Modern Germany** p.408.

[٣] درس القانون وعمل في بداياته محاميا ،ثم عمل في إدارة أحد المصانع في فستفاليا وبعدها التحق بالعمل في الإدارة البروسية في القطاع الاقتصادي ليتولى منصب وزير التجارة ومن ثمّ وزارة المالية وقد لعب دورا هاما خلال أزمة ١٨٠٥–١٨٠٧ م ونجح في نقل ما استطاع نقله من الأموال بعد هرب الملك فريدريش فيلهلم الثالث إلى ممل بعد معركة ينا (Jena) .لمزيد من المعلومات حول حياة شتاين انظر :

Stein , Freiherr Vom , **Briefe Und Amtliche Schriften.**Erich Botzenhart Walther Hubatsch, Stuttgart,1974.S.206; Seeley,

J.F , **Life and Times of Stein**, 2 vols, Boston, 1889. Vol.1, p.203,205.

إنــه أملــي الأخير ...عقليــة فـذة ،أكيـد أنــه يعلـم أمـوراً نحـن فـي غفلـة عنهـا" [١]. عمـل شـتاين ومصلحون آخرون على استخدام كافة الوسائل المتاحة لإعادة بناء الجيش البروسي ،وهنا برز دور القائد العسكري شارنهورست (Gerhard Johann David von Scharnhorst) ١٧٥٥-١٨١٣م ،منظم الجيش البروسي الجديد والذي آمن أن عمله لن يتحقق إلاّ ببعث الشعب أخلاقيا .وتحول الجيش خلال هذه المرحلة إلى جيش قومي بعد إقصاء الأجانب(المرتزقة) وإلغاء نظام الامتيازات الطبقية ؛فلم يعد الضباط يختارون من بين طبقة اليانكرز (النبلاء) وحدها ،كما أن الخدمة العسكرية لم تعد علامة على الرق للطبقات الدنيا،فقد استدعى جميع أفراد الشعب القادرين لأداء الخدمة العسكرية ،كما أدخلت أنظمة جديدة في الشرف العسكري ولوائح جديدة للسلوك العسكري[٢] .

رأى شتاين أن الإصلاح العسكري ليس السبيل الوحيد لإعادة هيبة بروسيا والقيام بحركة التحرير بل لابد من الإصلاح الشامل ،والذي بدأه بإعلان مذكرة ناساو (Nassauer Denkschrift) وحرر فيها الفلاحين من كافة أشكال القنانة وسمح لهم بتملك الأرض ،كما سمح للبروسيين في الاستثمار في كافة القطاعات الاقتصادية بغض النظر عن طبقتهم الاجتماعية ،وبالتالي سمح للطبقة الوسطى بحرية العمل[٣] .

وسعى شتاين في سياسته إلى أن تكون بروسيا ملكية دستورية ،ولكنه فشل في ذلك فقد تحولت بروسيا إلى ملكية بيروقراطية مطلقة ،فإعادة تنظيم سلطة الحكومة كان الشرط المسبق لتحويل الدولة إلى بيئة صالحة للتغير الاجتماعي ،ومثلت شعارات الحرية والمساواة والتقدم والمجتمع المنتج بدايات التغير الاجتماعي الذي لم يصل إلى المرحلة المرجوة بعد خروج نابليون من ألمانيا ،فإعلان الملك البروسي في التاسع من تشرين ثاني ١٨٠٧م "قانون تسهيل انتقال الملكية وقانون حرية استغلال الأرض وقانون الأحوال الشخصية للفلاحين ".حيث أكدت على أن كل فرد حر في التملك، وخلال السنوات التالية تم تطبيق هذا الإعلان على المجالس الحرفية،والتسهيلات الجمركية لحركة التجارة داخل بروسيا[٤].

وقعت رسالة (مؤرخة في ١٥ آب سنة ١٨٠٨م) من شتاين إلى احد الضباط البروسيين في أيدي الفرنسيين حيث جاء فيها:"نقمة الألمان كل يوم تزداد ،يجب علينا أن نوفر الطعام والعمل...يجب على كل ألماني أن يعد نفسه ليوم الخلاص ،وهذا يحتم علينا الاتصال بكل

---

[1] Stein, **Briefe Und Amtliche**, S.206.

[٢] جرانت ،**أوروبا في القرنين** ،ص٢٢٩-٢٣٠.

[3]Seeley, **Life and Times**, Vol.1, pp.285-287.

[4] Huber, **Dokemente**, Band. I, S.41ff.

الرجال الأحرار الذين تتوافر فيهم الرغبة والنية والطاقة لكي يتحركوا ويلتقوا...إن ثورة الأسبان تثبت ما نسعى له، والمعركة القادمة سوف تحدد مصير أوروبا... فالحرب مابين النمسا وفرنسا حتمية..."[١] .

هدد نابليون الملك البروسي فريدرش الثالث أنه إذا لم يطرد شتاين من منصبه فسوف يتدخل عسكريا ،تلكأ الملك في الاستجابة لطلب نابليون ولكنه اضطر إلى عزله ،فأصدرت بعدها السلطات الفرنسية قرارا بحرمانه من حقوقه المدنية ومصادرة كافة أملاكه والقبض عليه،فهرب شتاين إلى بوهيميا .خلفه هاردنبيرج الذي سار على نهج شتاين في الإصلاح[٢] حيث شدد في الدفاع عن ذلك قائلا: "الثورة في معناها الإيجابي تقود إلى نبل الإنسان ،تلك الثورة التي لا تأتي من الأسفل أو من الخارج ،ولكن من خلال حكمة الحكومة...والمبادئ الديمقراطية في ظل الحكم الملكي الرشيد ،هذا ما يبدو لي الفرصة المتاحة للدخول في روح العصر "[٣].

كان الاصلاحيون على علم بأن الحرية والمساواة لا تكفي لبناء دولة المواطنين ،فكان لا بد من إتاحة الفرصة للشعب للمشاركة في الحكومة ،حتى يقوم المواطنون بالدفاع عن حكومتهم بقوة ،وهنا ظهر الخلاف حول مدى المشاركة الشعبية في الحكم ،ففي بروسيا كما هو الحال في سائر الدول الألمانية ،الصراع مابين المصلحين والمحافظين صراع طويل ما بين فكرة تعزيز دور الدولة ومابين مصالح السادة الإقطاعيين ،وكلاهما أدرك أن الفشل يعني ثمنا باهظا ،كانت حجة المحافظين أن مثل هذه الإصلاحات سوف تؤدي إلى حالة من عدم الاستقرار وانعدام الأمن واعتبروا أن الاستعدادات العسكرية هي وحدها الكفيلة بإخراج المحتل الفرنسي دون المساس ببنية المجتمع الأساسية ،ومثل هذه الإصلاحات سوف تمنح العدو الفرنسي الفرصة في إحكام قبضته على الأرض الألمانية[٤] .

---

(1) Stein, **Briefe Und Amtliche**, S.260; Seeley, **Life and Times**, vol.1, p.425.

(2) Seeley, **Life and Times**, vol. 1, pp.429-33.

(3) Hardenberg, in: Thielen, Peter G, **Karl August von Hardenberg, 1750-1822 - Eine Biographie**.
Köln und Berlin, 1967.S.207; Hausherr, Hans, **Hardenbergs Reformdenkschrift Riga 1807**, HZ 157 (1938), S. 267-307.

(4) Häusser, Ludwig, **Deutsche Geschichte vom Tode Friedrichs des Großen bis zur Gründung des Deutschen Bundes**.2 Bände, Berlin,1862, Band.1.S.195 ff ; Schissler, Hanna, **Preußische Agrargeselschaft im Wandel:Wirtschaftliche, gesellschaftliche und politische Transformations- prozesse von 1763 bis 1847**, Göttingen, 1978, S.116-118.

كانت حركة إعادة بناء بروسيا فيما بين عام ١٨٠٧ -١٨١٢م موحية بالقوة المختزنة في طيات الشخصية الألمانية، فبالرغم من الرقابة الفرنسية المحكمة على بروسيا ،وفي ظل حكم واحد من أضعف الملوك في بروسيا ،استطاع رجال أمثال شتاين وهاردنبيرج وشارنهورست أن يأخذوا على عاتقهم إعادة بناء أمة مهزومة ومحتلة ومفلسة، واستطاعوا في غضون ستة أعوام أن يسموا بها إلى سنام السلطة والفخار مما جعلها في سنة ١٨١٣م القائد الطليعي في حرب التحرير للتخلص من نظام نابليون ،ووصلت الروح القومية والتضحية والإخلاص أوجها ،وبنفس الوقت ازدادت الفجوة بين الأمراء وبين الأمة من جهة والمنظرين الإصلاحيين والراديكاليين من جهة أخرى ،فليس من المدهش أن تنتهي حرب التحرير دون التوصل إلى ردم هذه الهوة ،فقد تحررت ألمانيا من الحكم الفرنسي ولكنها لم تتحرر من إرث الماضي[١].

١-١-٤:نهاية حكم نابليون ١٨١٢-١٨١٤م.

مثّل قيام نابليون بإحكام سيطرته على شمال ألمانيا الخطوة الأولى نحو تحقيق أحلامه التوسعية بالسيطرة الكاملة على القارة الأوروبية ،ففي أيار ١٨١٢م بعد قيام نابليون بتجميع قواته لاحتلال روسيا ،دعا حلفاءه الألمان إلى دريسدن (Dresden) ،حيث حضر الجميع باستثناء الإمبراطور فرانتس الثاني بسبب منصبه الرفيع كـإمبراطور ،ولكن مترينخ وفريدرش الثالث وهاردنبيرج وباقي الملوك والأمراء الألمان شاهدوا تحرك القوات الفرنسية تجاه روسيا ،وبعد انقضاء المؤتمر عاد الحكام الألمان إلى عواصمهم فيما انضم نابليون لقواته[٢].

اتبع الروس إستراتجية قائمة على سحب القوات الفرنسية إلى عمق الأراضي الروسية واستثمار عنصر المناخ ،فقد عملوا على إطالة أمد الحملة دون مواجهة مباشرة ،بالإضافة إلى سياسة الأرض المحروقة ؛حيث وصل نابليون العاصمة موسكو بعد أن قام أهلها بحرقها فدخل الشتاء وأصيب جيش نابليون بالإعياء والأمراض بالإضافة إلى نقص المؤن بسبب طول خطوط الإمداد[٣].سعى الروس بكل قوتهم لاستمالة الجنود الألمان- كان من بين جنود نابليون الذين كان تعدادهم (٦٠٠) ألف (١٨٠) ألف جندي ألماني- مستغلين وجود شتاين في ضيافة القيصر الروسي ،فدخلوا في مفاوضات مع قائد القوات البروسية الجنرال الأمير يورك فون فارتنبيرج (Johann David Ludwig Graf Yorck von Wartenburg) ١٧٥٩-١٨٣٠م ليتحول من جانب

---

[1] Baraclough, **The Origins of Modern Germany,** pp.409-410;

ديورانت، **قصة الحضارة**،الكتاب الأول، ص١٢٥.

[2] Klessmann, **Napoleons Russland Feldzug**, S.35.

[3] Klessmann, **Napoleons Russland Feldzug**, S.35; Kraehe, Enno. E, **Metternich's German Policy**, Princeton University Press, Princeton, 1983.2 vols. Vol. 1, p.143.

نابليون إلى جانب الروس ،وفعلا دخل يورك إلى جانب الروس معتقدا أنه يقوم بدور وطني وأن مثل هذا العمل سوف يلقى تأييدا من جانب الملك ،إلا أن الملك أعلن عن عزل يورك واعتقاله فورا .تجاهل يورك القائد الميداني أمر الملك وقال:"الآن وليس في أي وقت آخر وقت الحرية والشرف..."[١] .

وصل شتاين إلى بروسيا حيث أخذ يحرض الناس لكي يلتحقوا بالجنرال يورك ،وهنا بدا أن الملك فريدرش الثالث ورئيس الحكومة قد أخذوا في تغيير موقفهم المعلن ،خاصة مع موجة المشاعر القومية التي التهبت ،حيث سبقت الجماهير الدول الألمانية في إعلان موقفها، فقد أصدر شتاين- الذي رافق القوات الروسية وسبقها إلى ألمانيا- بيانه المشهور سنة ١٨١٢م الذي سعى لتحريض الجماهير الألمانية ضد الاحتلال الفرنسي حيث قال:"لي أرض واحدة أرض الأجداد ألمانيا...لألمانيا وحدها وليس لجزء منها...أنا مخلص لها بكل روحي...ما أرغب به أن تأخذ ألمانيا مكانتها العظيمة ،وأن تستعيد استقلالها بين روسيا وفرنسا ،إنها أمل ورغبة كل أوروبا...مبدئي هو الوحدة"[٢].

عبر عن هذه الروح الشاعر والصحفي والكاتب الألماني ايرنست ارندت (Ernst Arndt) ١٧٦٩-١٨٦٠م الذي أصبح فيما بعد أحد أعضاء برلمان فرانكفورت، قال في قصيدة بعنوان "وطن الآباء الألماني"(Das Deutschen Vaterland) :ما هو وطن الآباء؟...هل هي بروسيا أم فستفاليا؟...أم إلى الشمال حيث تطير النوارس...أرض الآباء أوسع من ذلك...هذا الوطن وأهله يجعلونني سعيدا...هل هو الوطن الأرض التي اكتسبها صاحبها بالوراثة من الإمبراطور...لا هي أوسع من ذلك...هي الصدى الألماني القديم السيمفونية التي تعزف بالجنة... لتعود هذه المعزوفة إلى الأرض يجب طرد الفرنسي من كل شبر من وطن الآباء...[٣]".

بدأت المفاوضات البروسية –الروسية بقيادة هاردنبيرج والتي انتهت بالاتفاق على توحيد جهودهما من أجل تحرير أوروبا من السيطرة الفرنسية ،وفي ١٧ آذار ١٨١٣م أعلن الملك البروسي تحت عنوان "نداء إلى شعبي"والذي تم نشره بعد ثلاثة أيام في صحيفة شليزش (Schlesisch Privilegierten Zeitung) يوم٢٠ آذار١٨١٣م ،قال فيه:"ألمانيا في وضع حرج ، وهي تتوقع الخطر من أكثر من مصدر، والخروج من هذا الوضع الحرج لن يكون إلا من خلال اتحاد جميع الأمراء والشعب تحت قيادة واحدة...وأنا أخذت على عاتقي شرف هذه

---

(1) Genral Graf Yorck von Wartenburg , in: Klessmann,**Napoleons Russland Feldzug**.S.361.

(2) Stein, **Briefe Und Amtliche**, S.260; Seeley, Life **and Times**, vol. 1, p.460.

(3) Ernst Moritz Arndt, **Des Deutschen Vaterland,1813, in:Wadsworth, Henry, The Poets and Poetry of Europe**, Carey and Hart, Philadelphia, 1845. pp. 322-33.

المهمة...جنودي سوف يقاتلون اليوم من أجل استقلالنا وشرف شعبنا...وهذا لن يتحقق إلا إذا شارك كل أبناء الأمة الألمانية في هذه المعركة من أجل الشرف والحرية..."[١].

أخذ حلفاء نابليون بالتحول عنه بعد الإعلان الذي وجهه قيصر روسيا وملك بروسيا في ٢٥ آذار "إعلان إلى الشعب الألماني والأمراء الألمان "،حيث دعا كلاهما الشعب إلى الانضمام إلى معركة التحرير ،واعدين الشعب بالحرية والاستقلال،وتضمن النداء إشارة تهديد إلى الأمراء إذا لم يستجيبوا لندائهم[٢].بقيت النمسا في حالة من التردد ،ففي تشرين أول ١٨١٢م عندما بدت طلائع هزيمة نابليون واضحة كتب المستشار النمساوي الأمير ميترنيخ (Metternich) إلى هاردنبيرج يخبره "يجب علينا لمصلحة شعبينا ،ألاّ نقامر على ورقة واحدة...وإبقاء باب المفاوضات مفتوحا مع الجميع دون الالتزام مع أحد..."[٣].

بعد هزيمة نابليون بالقرب من دريسدن اضطر نابليون إلى الانسحاب ،فاجتمع حكام النمسا وبروسيا وروسيا للتحضير للمعركة النهائية مع نابليون في تبليتس (Teplitz) ،حيث وقعوا عددا من الاتفاقيات التزموا من خلالها بالاستمرار بالحرب ضد نابليون ،وإعادة بروسيا والنمسا إلى حدودهما قبل الاحتلال الفرنسي،وفيما يتعلق بمستقبل ألمانيا وافق الثلاثة على حل كونفدرالية الراين ،ولكنهم تعهدوا بضمان الاستقلال الكامل للدول الوسطى التي نشأت في ظل حكم نابليون[٤].

سعى هاردينبيرج وشتاين خلال هذه المرحلة لتأكيد الهوية الألمانية وتعزيز دور بروسيا في المنطقة ،إلاّ أن مترنيخ فاجأ بروسيا بتوقيع اتفاقية مع بافاريا ،انضمت فيها الأخيرة بجيشها إلى الحلفاء وتعهدت بعدم توقيع اتفاقية سلام منفردة مع فرنسا ،مقابل اعتراف كامل من

---

(1) Friedrich Wilhelm III,**An mein Volk, 17.März 1813**.in:Huber,**Dokemente**,Band. I,S.53ff;Corpus, Juris
,**Confoederationis Germanicae oder Staatsakten für Geschichte und öffentliches Recht des Deutschen Bundes**, hrsg.V.Philipp Anton Guido Meyer, Teil.1.Staatsverträge,3.Auflage Frankfurt a m Main 1858. S.147-149; Friedrich Wilhelm III,**An mein Volk, 20. März 1813 in**:Schlesisch privilegierten Zeitung. Lindemann, Margot, **Deutsche Presse bis 1815. Geschichte der deutschen Presse Teil. I,**
Abhandlungen und Materialien zur Publizistik, Band. 5, Berlin, 1969. S. 165-166.

(2) Proklamtion von Kalisch 25 März 1813,in:
Huber, **Dokemente**, Band. I.S.81 ; Spies, Hans Bernd , **Die Erhebung gegen Napoleon 1806-1814/15** ,Quellen zum politischen Denken der Deutschen im 19.
und 20. Jahrhundert Freiherr von Stein- Gedächtnisausgabe, Band. 2, Darmstadt 1981. S. 254.

(3)**Letter from Metternich to Hardenberg,** in: Kraehe, **Metternich's German Policy**, vol.I, p.148.

(4) Kraehe, **Metternich's German Policy**, vol. I, p.203.

الإمبراطور النمساوي فرانتس الثاني وحلفائه بضمان استقلال بافاريا .الوطنيون الألمان عدوا هذه الاتفاقية تحديا واضحا لحريتهم في بناء دولتهم القومية ،شتاين وهاردنبيرج عدوها خيانة للقضية الألمانية .لم يكتف مترنيخ بتوقيع هذه الاتفاقية وإنما وقع اتفاقيات مماثلة مع:فورتمبيرج، هسن-درامشتات بادن ،ناساو ،ساكسونيا- فايمر ،هسن- كاسل ،وساكسونيا-كوبورج -Sachsischen) (Koburg تضمنت الوعد بالاستقلال وضمان السيادة[١].

وعمل مترنيخ بعد هزيمة نابليون في لايبزيج (Leipzig) ١٨١٣م إلى جره إلى الاستسلام مع الحفاظ على قوة فرنسا كدولة عظمى ،بهدف إيجاد نوع من التوازن داخل القارة الأوروبية بالرغم من فشل قادة بريطانيا وروسيا والنمسا وبروسيا في التوصل إلى بيان ختامي نتيجة تضارب المصالح ،فقيصر روسيا يعتبر نفسه محرر أوروبا من حكم نابليون ويرغب في ضمان المصالح الروسية وسط وشرق أوروبا ،من جانب آخر سعى مندوب نابليون تاليران (Talleyrand) لعدم إلزام نفسه بأي تعهدات لأي دولة حيث تلاقى في ذلك مع ميترنيخ الذي أراد أن يبقي نابليون على عرش فرنسا لإيجاد توازن ما بين فرنسا وروسيا من جانب ،وضمان استمرار سيطرة النمسا في وسط أوروبا ،الأمر الذي يتضارب مع أطماع ومصالح الروس[٢] .

أما هاردنبيرج فقد رأى في ضعف الدول الألمانية قوة لبروسيا ونفوذها على الدول الألمانية الصغيرة ،لذا سعى لتوظيف المكاسب العسكرية التي حققها الجيش لتأكيد دور بروسيا فيما بين الدول الكبرى وإضافة مناطق نفوذ جديدة ،وفي ١٤آذار ١٨١٤م قبل قادة الحلفاء استسلام باريس ،وفي السادس من نيسان ١٨١٤م وافق الإمبراطور نابليون على الاستسلام للقوات البريطانية ،وتم توقيع اتفاقية باريس ٣٠ أيار ١٨١٤م على أن تعقد الاتفاقية النهائية في فينا ،وقد حددت الاتفاقية حدود فرنسا بما كانت عليه سنة ١٧٨٢م،فألغيت بذلك الفتوحات النابليونية وأعيدت أسرة البوربون إلى الحكم ،فقد أكد القيصر الروسي أن العدو هو نابليون وليست فرنسا[٣] .

---

(1) Sheehan, **German History**. p.321; Kraehe, **Metternich's German Policy**, vol. I, p.204.

(2) Kraehe, **Metternich's German Policy**, vol. II, p.115-17; Sheehan, **German History**. pp.396-97.

(3) Thielen, **Karl August von Hardenberg**.S.224-25; رسل،براترند ،**الحرية والتنظيم** ،ط١، ترجمة عبدالكريم أحمد،مكتبة الانجلو -المصرية القاهرة ، د.ت.ص٢٣.

١-٢:المسألة الألمانية في مؤتمر فينا ١٨١٥م.

كان الغرض الأساسي من مؤتمر فينا إعادة تنظيم شؤون أوروبا على قواعد جديدة ،على اعتبار أن النظام الأوروبي قد انهار بفعل الثورة الفرنسية وحروب نابليون ،لذا يجب إعادة النظر في هذا النظام ،إلاّ أن الذي حدث هو تجاهل الثورة والتغيرات التي أحدثتها،وإعادة النظام القديم القائم على احترام السلطات الحكومية وتمجيد التقاليد الملكية والمحافظة على التوازن داخل أوروبا والذي سيطر على مجمل الحياة السياسية الأوروبية طوال ثلاثين سنة ،من خلال حكم العالم باسلوب المؤتمرات ،حيث تم التوقيع على الحلف المقدس يوم ٢٩ أيلول ١٨١٥م- تحت تأثير القيصر الروسي الكسندر الأول (Alexander I) -ما بين إمبراطور النمسا وملك بروسيا على أن يتم توقيع باقي أمراء وملوك أوروبا عليه فيما بعد[١].

كانت المسألة الألمانية من أعقد المسائل المطروحة على طاولة المفاوضات في مؤتمر فينا ما مصير كونفدرالية الراين التي أوجدها نابليون ؟ما مصير الدول التي تم إنشاؤها أو توسيعها على يد نابليون ؟ما مصير من جردوا من أملاكهم وإماراتهم ؟هل ما قام به الألمان من تضحيات في سبيل حرب التحرير يذهب به القادة المجتمعون في فينا ؟ما هو شكل الدولة التي يريدها القوميون الألمان ؟ .أسئلة كان على مؤتمر فينا معالجتها ،فما بين الخلاف الذي ظهر في باريس أيار ١٨١٤م وعقد المؤتمر في فينا طرحت العديد من التصورات لمعالجة مثل هذه الأسئلة .

لم يكن أي من القادة يعتبر ألمانيا كدولة قومية، ففكرة دولة قومية ألمانية بدت لهم فكرة خطيرة وغير مرغوب بها ،وعلى حد قول فريدرش فون جينتز[٢](Friedrich von Gentz) مستشار مترنيخ الأقرب:"فقط رجل مجنون يمكن أن يلتزم بحلم توحيد كل الدول الألمانية".

---

(1)**Allianzvertrag zwischen dem Kaiser von Rußland Alexander I.und Kaiser von Österreich Franz II. und dem König von Preußen Friedrich Wilhelm III.**"Heilige Allianz" vom 26.September 1815. Beier.KA.Dobritzsch,**Tausend Jahre deutscher Vergangenheit in Quellen heimatlicher Geschichte insbesondere Leipzigs und des Leipziger Kreises**, Leipzig 1911, S. 363-364;

شكري،**الصراع ما بين البرجوازية والإقطاع**،مج٢،ص٣٨٠؛جرانت ،**أوروبا في القرنين**،ص٢٧٧-٢٧٨؛ رسل ،**الحرية والتنظيم** ، ص٤٤ -٤٥.

(٢) فريدريش فون جينتز (١٧٦٤-١٨٣٢م) وهو من المع السياسيين الألمان ،بدأ حياته سياسيا ليبراليا وكان في شبابه قد رحب بالثورة الفرنسية ،إلاّ انه انقلب ليكون من ألد أعداء الفكر الثوري ،وكان من اشد المعجبين بالأسلوب البريطاني في الحكم ،وقد انتقل من بروسيا إلى النمسا ليعمل مستشارا لمترنيخ.

Legge,J.G, **Rhyme and Revolution in Germany: A study in German History and Character 1813-1850**. Brentanos, U.K ,1919.Book.I.p.105.

فالخوف من الثورة سيطر على ميترنيخ والقيصر الروسي الكسندر الأول ووزير خارجية بريطانيا اللورد كاستلر(Viscount Castlereagh) وحتى على مندوب فرنسا تاليران (Talleyrand) عندما سمعوا الحديث عن دولة قومية ألمانية ،فقد كانوا متفقين على أنه بعد سقوط نابليون يجب إلاّ يسمح بحدوث الثورة في أوروبا ،وفيما يتعلق بقيام دولة قومية تحل محل الملكيات القائمة هو طرح ثوري يجب منعه ،فالدول القومية المعترف بها هي الدول القومية الموجودة: فرنسا بريطانيا ،اسبانيا، البرتغال،هولندا والسويد .وفي جميع الحالات السابقة الدولة استقرت وتوحدت قبل فترة طويلة على المستوى السياسي والثقافي واستقرار الطبقة الحاكمة ،فقد رأوا أنفسهم كأمم مستقرة لها عدة قرون[١].

لعل أبرز المشروعات المقدمة لحل المسألة الألمانية كان مشروع فيلهلم فون همبولدت ١٧٦٩-١٨٣٥م[٢](Wilhelm von Humboldt)،الذي عمل سفيرا لبروسيا في النمسا منذ العام ١٨١٢م ،حيث دعا إلى إقامة الكونفدرالية الرينينية الثانية بشكل منفصل ومستقل ولكن بارتباط وثيق مع النمسا وبروسيا ،وإنشاء مؤسسة طوعية تنفيذية تعمل على تحقيق الدفاع المشترك وترتيب الأمن الداخلي من خلال قوانين يتم الاتفاق عليها لاحقا ،اعتمد مشروع همبولدت على فكرة التعاون ما بين بروسيا والنمسا ،لأنه كان على علم أن مثل هذه المؤسسة لن تنجح إلا من خلال تعاون الدولتين[٣].

المشروع الآخر هو مشروع هاردنبيرج والذي عمل على تقديم مذكرة من واحد وأربعين بندا بعد التشاور مع شتاين وآخرين،حيث أكد على ما جاء في مشروع همبولدت،ولعل أهم ما جاءت به مذكرة هاردنبيرج[٤]:

---

[1] Stefan Zauner, **The Growth of the Modern Nation-State: the Case of Germany 1815-1945**. University of Tübingen,Tübingen,2003,.pp.149-150.

[٢] فيلهلم فون همبولدت ١٧٦٩-١٨٣٥م احد أبرز رجال الدولة ،كان فيلسوفا ومؤرخا وأحد المدافعين عن الحريات ،وعمل وزيرا للتعليم ،وعمل سفيرا لبروسيا في فينا ما بين ١٨١٢١٨١٥م ،وهو الذي صاغ الاتفاقية ما بين ساكسونيا وبروسيا سنة ١٨١٥م.وانسحب من الحياة السياسية بعد سنة ١٨١٩م . وتكريما له فقد سميت جامعة في برلين باسمه ،وتم تأسيس مؤسسة أكاديمية باسمه مؤسسة همبولدت الشهيرة .لمزيد من المعلومات انظر :

Humboldt, Wilhelm von**, Werke**,fünf Bände,Darmstadt,1963; Borsche ,Tilman.S**prachanansichten der Begriff dermenschlichen Rede in der Sprachphilosophie Wilhelm von Humboldts** ,Klett Cotta, Stuttgart ,1981.

[3] Humboldt, **Werke** ,Band. IV, S.302-04.

[4] Thielen,**von Hardenberg** S.304-305.

١.قيام وحدة جديدة للرايخ القديم ،بإنشاء كونفدرالية داخلية تقسم إلى سبع دوائر (Kreise) تكون كل دائرة تحت قيادة أمير واحد وفي بعض الحالات تحت قيادة أميرين.

٢.تتألف الكونفدرالية من مجلسين:مجلس الدوائر "الأمراء" تحت قيادة كل من النمسا وبروسيا. ومجلس الرايخستاج والذي يضم ممثلين لجميع الدول الأعضاء وأصحاب الملكيات الإقطاعية المتوسطة.

٣.عضوية النمسا وبروسيا في الكونفدرالية هي فقط من خلال الأراضي التي يملكونها داخل الكونفدرالية ،أي أن الكونفدرالية ليس لها أي سلطة على كل منهما وبنفس الوقت تمنح كلاهما سلطات واسعة على الكونفدرالية.

كان مشروع هاردنبيرج بمثابة عرض على ميترنيخ في تقاسم النفوذ على الدول المتوسطة والصغرى مقابل المساواة ما بين بروسيا والنمسا في الشؤون الألمانية ،إلاّ أن مثل هذا المشروع لم يكن مقبولا من الدول المتوسطة والصغرى التي كانت تخشى تفرد برلين وفينا بالتحكم بمصيرها ،كما أنها كانت تخشى بعضها البعض،إذ يؤكد النظام الجديد لأوروبا (Neuordung Europas) الاعتماد بالدرجة الأولى على تعاون النمسا وبروسيا واتحادهما[١].

تسلم ميترنيخ مشروع هاردنبيرج في أيلول ١٨١٤م ،حيث علق على الموضوع بتركه إلى اجتماعات الدول الست الكبرى:بريطانيا ،روسيا ،فرنسا ،النمسا ،بروسيا واسبانيا .على أن تقودهم بهذه الاجتماعات لجنة ألمانية تضم: النمسا وبروسيا وبافاريا في الاجتماعات التحضيرية لمؤتمر فينا. وافق أعضاء اللجنة الألمانية الثلاثية دون استشارة الدول الصغرى على الخطوط العامة لمشروع هاردنبيرج حيث تم إقرار ١٢ مادة من أصل إحدى وأربعين مادة،حيث قام ميترنيخ بالتعديلات التالية[٢]:

١.جميع الأراضي البروسية والنمساوية هي جزء من النظام الكونفيدرالي.

٢.تكون رئاسة الاتحاد الكونفدرالي بيد النمسا.

٣.زيادة صلاحيات رؤساء الدوائر.

استمرت المفاوضات حول الكونفدرالية حتى آذار حين هرب نابليون من جزيرة البا (Elba) –تقع بين جزيرة كروسيكا وتوسكاننيا في ايطاليا –التي نفي إليها بعد استسلامه

---

(1) Sheehan, **German History**. pp.399-400.

(2) **Deutsche Bundesakte,8 Juni 1815**.in: Huber,**Dokemente**,Band. I,S.84;und in: Binding, Karl, **Deutsche Staatsgrundgesetze**,Leipzg, 1893, Heft III, S. 19;Klüber, J. Ludwig, **Akten des Wiener Kongresses in 1814-1815**.Osnbrück,1996. S.97-98; Nicolson, Harold, **The Congress of Vienna: A Study in Allied Unity: 1812-1822**, Harcourt, Brace and Company, New York, 1946. pp.174-175.

مهددا عملية السلام في فينا ،مما أدخل المفاوضات في تسارع كبير بعقد لقاءات مكثفة حيث تم التوصل إلى اتفاق على إنشاء منظمة إقليمية ونظام كونفدرالي للدول الألمانية ،وتم الموافقة عليه في ٨ حزيران ١٨١٥م ووقعت عليه القوى الأوروبية الرئيسية في ٩ حزيران أي قبل عشرة أيام من معركة واترلو (Waterloo)[١].

أعيد رسم الخريطة الألمانية سنة ١٨١٥م والتي استمرت تقريبا على حالها حتى سنة ١٨٦٦م،فمن بين الدول الألمانية كانت بروسيا الرابح الأكبر إذ سيطرت على خمسي أراضي النصف الشمالي من مملكة ساكسونيا ،وزاد عدد سكانها حوالي (٨٥٠) ألف نسمة،وحصلت على جزء من الأراضي البولندية حول ممر دانزيج وفوربومرن (Vorpommern) من السويد أيّ معظم الأراضي التي خسرتها في معاهدة تيلسيت ١٨٠٧م ،ومساحات واسعة في منطقة الراين وفيستفاليا. حصلت بافاريا على بريشتسقادن (Berchtesgaden) انسباخ ،وبايروث (Bayreuth) وفورتسبورج (Würzburg) واشافينبيرج (Aschaffenburg) وتم الاعتراف بهانوفر كمملكة –بقيت مرتبطة اسريا مع بريطانيا– وتم تقليص مساحة ساكسونيا لصالح بروسيا مع استمرارها كمملكة، بادن وفورتمبيرج استمرت كدول[٢].

الشكل النهائي لما عرف برابطة الدول الألمانية (Der Deutsche Bund) والذي اقر من قبل ٣٥ دولة ،والذي انضمت له فيما بعد بادن وفورتمبيرج وهسن–هامبورج ليكون عدد الدول الأعضاء ٣٨ دولة ،حيث اعتبرت وثيقته (Deutsche Bundesakte vom 8. Juni 1815) جزء من وثيقة مؤتمر فينا الموقعة يوم ٩ تموز ١٨١٥م ،وجاء في مقدمتها أنها مؤسسة اعتبارية تعمل تحت مظلة القانون الدولي حيث "يعبر أصحاب الجلالة والسيادة الأمراء وحكام المدن الحرة عن رغبتهم في المصادقة على الفقرات الست الواردة في معاهدة السلام الباريسية الموقعة يوم ٣٠ أيار ١٨١٤م...ويؤكدون التزامهم الدائم بأمن واستقلال رابطة الدول الألمانية ،والتزامهم الكامل بالسلام والتوازن الأوروبي ووافقوا بالإجماع على توحيد أنفسهم في رابطة قابلة للاستمرار"[٣].ولعل أهم ما جاء في التعليمات العامة لرابطة الدول الألمانية "الكونفدرالية" ما يأتي[٤]:

---

[1]**Marriott**, **J.C**, and **Grant Robertson**, The Evolution of Prussia, the Making of an Empire. Claredon Press Oxford, Oxford, 1917.pp.266-267; Sheehan, German History. p.401.

[2] Huber, **Verfassungsgeschichte seit 1789**.Band. I, S.576-582.

[3]**Deutsche Bundesakte vom 8. Juni 1815, in**: Binding,**Deutsche Staatsgrundgesetze**, Heft III, S. 19-24; und in: Huber,**Dokemente**,Band. I,S.84-90.

[4] **Ibid, in**: Binding,**Deutsche Staatsgrundgesetze**, Heft III, S.19-24; und in: Huber ,**Dokemente**, Band . I,S.84-90

١.يكون اسم المنظمة الجديدة "رابطة الدول الألمانية (Deutscher Bund) أوالكونفدرالية الألمانية وتكون اجتماعاتها برئاسة النمسا ،ومقرها الدائم في فرانكفورت ،وتجتمع بشكل دوري في الأول من كانون الأول من كل سنة.

٢.هدف الرابطة ضمان الأمن الدائم داخليا وخارجيا لألمانيا واستقلال وسيادة الدول الألمانية.

٣.تتمتع كافة الدول الأعضاء بحقوق متساوية وجميعهم ملتزمون بالقوانين الفيدرالية وتطبيقها.

٤.تشكيل المجلس الاتحادي (Bundesversammlung) من كافة الدول الأعضاء ،لكل دولة عضو واحد تعينه دولته، وتشكيل مجلس مصغر من سبعة عشر عضوا لكل عضو صوت واحد على النحوالأتي:

١). الإمبراطوريةالنمساوية ٢).بروسيا (كلاهما نيابة عن الأملاك العائدة لهما في الكونفدرالية) ٣).بافاريا ٤).ساكسونيا ٥).هانوفر ٦).فورتمبيرج ٧).بادن ٨).ناخبية هسن وهسن- كاسل ٩).دوقية هسن الكبرى (Großherzogtum-Hessen) و هسن- دارمشتات (Hessen-Darmstadt) ١٠).الدنمارك(نيابة عن هولشتاين) ١١).هولندا نيابة عن دوقية لوكسمبيرج (Luxemburg) ١٢).دوقية هورتسوغ الكبرى (Großherzogliche) ودوقية ساكسونيا (Ducal Sächsischen Häuser) ١٣).براونشفايج (Braunschweig) وناساو ١٤).ماكيلنبورج شفيرن (Meklenburg Schwerin) و ماكيلنبورج شتريلتس(Meklenburg Strelitz) ١٥).هولشتاين- اولدينبورج (Holstein-Oldenburg) وانهالت (Anhalt) وشفارتستبورج(Schwarzburg) ١٦).هوهن تسوليرن(Hohenzollern) وليشتنشتاين(Lichtenstein) وريوس (Reuss) وشاومبورج ليبه(Schaumburg Lippe) وليبه (Lippe) ١٧).المدن الحرة لوبيك وفرانكفورت وبريمن (Bremen)وهامبورج.

٥.آلية التصويت داخل المجلس المصغر تكون بأغلبية الثلثين، أما المجلس الموسع الرايخستاج فيكون بأغلبية الثلثين في المسائل العادية والإجماع العام في المسائل الهامة.

٦.إنشاء مؤسسات اقتصادية وثقافية مشتركة و ضرورة إقامة كل دولة عضو مجلس الطبقات (Landständische Verfassung).

وقعت معظم الدول الألمانية على الكونفدرالية دون اقتناع منها بذلك ،وشعر ممثلو الدول الصغرى بالتجاهل والتهميش وأنهم تكملة عدد .مجمل هذه الدول كانت صغيرة المساحة قليلة السكان ؛فلم يكن هناك سوى سبع دول سكانها أكثر من مليون نسمة ،وواحدة وعشرون دولة لا

يزيد عدد سكانها على (١٠٠) ألف نسمة ،وإحدى عشرة لا يزيد عدد سكانها عن (٥٠) ألف نسمة أصغر هذه الدول كانت ليشتنشتاين حيث كان سكانها خمسة آلاف نسمة[١] .

كان مخطط ميترنيخ في المحافظة على الدول الصغيرة والمتوسطة لضمان الهيمنة والنفوذ النمساوي على وسط ألمانيا ،وكبح جماح بروسيا والسيطرة عليها من خلال التعاون مع هذه الدول التي كان كل أملها خلال المؤتمر استمرارها كدول ،واستغل ميترنيخ حاجة أوروبا إلى السلام والهدوء بعد سنوات من الحرب ليفرض سيطرة النمسا على وسط أوروبا وألمانيا تحديدا ،وكانت تسوية فينا مخيبة للآمال القومية الألمانية التي أعاقتها العديد من المعيقات والضغوط والمتمثلة بـ[٢]:

١. القوى الأجنبية التي لها مصالح ونفوذ داخل ألمانيا: ملك بريطانيا كونه حاكما على هانوفر.ملك الدنمارك بصفته ملكا على هولشتاين.ملك هولندا بصفته ملكا على لوكسمبيرج. فوجود الدولة الألمانية الواحدة يعني خروج هذه القوى من الساحة الألمانية، وتحقيق الوحدة الألمانية كان يعني ظهور قوة جديدة منافسة على المسرح الدولي،مما يعني الإخلال في موازين القوى العالمية.

٢. عامل داخلي تمثل في رغبة الدول الصغيرة بالاحتفاظ باستقلالها وسرورها بالاعتراف الدولي بهذا الاستقلال ،وخشيتها من تعدي الدول الألمانية الكبرى من خلال عضويتها بالكونفدرالية ،من جانب آخر لم تكن بروسيا جادة في تشكيل الدولة القومية الواحدة فقد ضحت بالمشروع القومي في سبيل مصالحها الإقليمية الضيقة.

٣. قوانين ومؤسسات الكونفدرالية التي أكدت على استقلالية الدول الأعضاء دون أن يلتفت أحد إلى المصلحة القومية ،بل بالعكس فقد وازنت بين مصالح القوى الرئيسية في الاستقلال مع حاجة الدول الصغيرة في الحماية والأمن.

شهدت السنوات التي أعقبت مؤتمر فينا تصفية للروح الوطنية التي استنهضها الحكام الألمان لتحقيق مصالحهم ،وشعر أولئك الذين شاركوا بحرب التحرير يدفعهم الأمل بوحدة ألمانيا بخيبة أمل كبيرة ،فكتب ارندت قبل أن ينتهي مؤتمر فينا أعماله:"ما نريده ألمانيا الموحدة ،وذلك ما هو ضروري لأمنها الخارجي ولرخائها الداخلي ،ويا لسوء طالع السياسيين في المؤتمر إذا هم لم يفهموا ذلك..."[٣].والخريطة التالية تبين حجم خيبة الأمل للقوميين الألمان.

---

(1) Sheehan, **German History**.p.403; Huber, **Verfassungsgeschichte seit 1789**, Band. I, S.582-84.

(2)Klüber, **Akten des Wiener Kongresses**, S.100-101; Schroeder, W, **The 19th Century International System: Changes in Structure**. World Politics, 39, 1986. pp.22-23.

(٣) ارندت عند :شكري ،**الصراع بين البرجوازية والإقطاع**،مج٣،ص٤٠٣.

خريطـــة رقـــم (٣) :الكونفدراليـــة الألمانيـــة (رابطـــة الـــدول الألمانيـــة ١٨١٥-١٨٦٦م).



Jehle,**Atlas Weltgeschichte**.S.76-77.und: http://de.wikipedia.org/wiki/.

١-٣: تطور الحركة السياسية والدستورية والبرلمانية من مؤتمر فينا١٨١٥ إلى ثورة آذار١٨٤٨م.

كانت أبرز القضايا في التاريخ الألماني خلال القرن التاسع عشر ضعف انتشار الأفكار السياسية الحديثة والحكم الذاتي بين الألمان ،ففي حين حققت الحركة الليبرالية دورها في القضاء على النظام القديم ونجح الثوريون في كل مكان ،إلاّ أن الحركة الليبرالية في ألمانيا والنمسا تلقت الهزيمة تلو الهزيمة ،فبينما بلغت معظم دول أوروبا و أمريكا الشمالية عصر التحرر في الدساتير والسياسات الاقتصادية، فإن ألمانيا والنمسا كانتا خارج ذلك الإطار، فدويلات الإمارات لم تحقق التطور المطلوب لتصبح ملكية نيابية على النمط الانجليزي أو جمهوريات على النمط الفرنسي على الرغم من التحول الذي جرى في أوروبا في نهاية القرن الثامن عشر ،تلك التي عارضتها السلطات الاستبدادية في ألمانيا والنمسا بخاصة بعد هزيمة فرنسا وتسوية مؤتمر فينا[١].

كانت ألمانيا في الفترة التي تلت الثورة الفرنسية على حد تعبير المؤرخ الألماني ترايتشكه (Treitschke):" لم يحدث أبداً منذ أيام لوثر (Luther) أن أصبحت ألمانيا في هذه المكانة العظيمة في أوروبا كما هي عليه الآن ،حيث أصبح أعظم أبطال العصر وأعظم شعرائه من أمتنا.."[٢]،فهيجل الذي كان من مناصري الثورة الفرنسية أصبح من مناصري الحكم البروسي فقد كتب سنة ١٨١٩م:"أنا الآن في الخمسين من العمر وعشت معظم حياتي في تعب دائم ما بين الخوف والأمل ،ولقد أملت أن يأتي يوم تختفي فيه المخاوف...وها قد جاء هذا الوقت...في ظل حكم الملك المستنير العادل"[٣].ووفقا لهيجل فكل ما هو واقع معقول وكل ما هو معقول هو واقع فالدولة البروسية معقولة وتناسب العقل بالتالي فهي ضرورية، فقد رفعت فلسفة هيجل إلى حد أنها غدت الفلسفة الرسمية للدولة البروسية ،فقد وصلت ألمانيا في النظرية السياسية إلى مرحلة متقدمة ،ولكنها من الناحية العملية كانت متخلفة عن اللحاق بروح العصر، وفي هذا يذكر فريدرش انجلز(F.Engels):"هذه الموضوعية(لهيجل) بتبرير كل ما هو موجود ،كانت بركة فلسفية للاستبداد والدولة البوليسية والقضاء الملكي والرقابة...".[٤]

---

[1] Meinecke, Friedrich, **Weltbürgertum und Nationalstaat.**S.127-128.

[2] Treitschke, **History of Germany**, Vol .I, p.119.

[3] Hegel, in: Ritter, **Hegel und die Französische Revolution**, S.15-16.

[٤] فردريك انجلز ،**لودفيغ فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية** ، مختارات من ماركس وانجلز،٤ أجزاء ، ج٤ ،دار التقدم ،موسكو،د.ت.ص٨-٩ .Ritter, **Hegel und die Französische Revolution**, S.15-16

لقد تم إقرار التغيرات التي أحدثها نابليون في مؤتمر فينا سنة ١٨١٥م ،فلا الإمبراطورية الجرمانية المقدسة تم إحياؤها ولا القوى الكاثوليكية تم استعادتها ،فالليبرالية تم محاربتها بشكل متفاوت من قبل الدول الألمانية ،إلاَ أن دولاً مثل بادن وفورتمبورج بتجربتهما الطويلة في ظل الإدارة والقوانين الفرنسية استمرت فيها التوجهات الليبرالية ،فلا توجد قوة كانت قادرة على إعادة الأوضاع في ألمانيا كما كانت قبل مدونة نابليون(القانون المدني الفرنسي) .فالآمال القومية التي دفعت الألمان للمشاركة في حرب التحرير ضد نابليون لم تحصل من مؤتمر فينا على المطلب الأساس الذي قامت من أجله وهو الوحدة ،فألمانيا لم تصبح دولة موحدة ودستورية .وبالمقابل تم إقرار نظام خيب الآمال القومية بتشكيل الكونفدرالية الألمانية من (٣٨) دولة تحت سيطرة الأمير ميترنيخ وسياسته البوليسية ،حيث عمل على قمع الحركات القومية والليبرالية ،فعدم وجود دولة قومية ومركز سياسي يرعى الآمال القومية ،جعل الأمر بغاية الصعوبة بالنسبة للقوميين والليبراليين لتطوير منظمات سياسية قادرة على قيادة الشعوب الألمانية لمقاومة سياسة ميترنيخ البوليسية(١).

كان مترنيخ يدرك تماما أن أوروبا تمر في مرحلة تغيير جذري فهو يذكر:"أتمنى لو أنني ولدت مبكرا أو متأخرا: مبكرا لكان بإمكاني أن أستمتع بحياتي بعيدا عن الحرب والثورة... أو متأخرا لكان بإمكاني أن أسهم في بناء مجتمع جديد... (٢)"،هذا الإدراك أساسه أن أوروبا القديمة انتهت:"ما اعتقده في قرار نفسي أن أوروبا القديمة في بداية النهاية...وأنا مصمم على السقوط معها...أوروبا الجديدة تسير قدما في كل مكان... "(٣).

١-٣-١:الحركة الدستورية.

كانت الدساتير في الدول المحافظة عبارة عن هبة أو منحة من الحاكم وليست اتفاقاً طوعياً ما بين الأمير وشعبه ،فقد منح الشعب نوعا من التمثيل المحدود للمجالس ،وفي جميع الحالات ما عدا بادن كانت الانتخابات قائمة على التمثيل الطبقي "مجلس الطبقات" ،والتي منحت الإقطاعيين والطبقات الارستقراطية كافة السلطات ،وبالرغم من ذلك فقد شكلت فورتمبيرج

---

(1) Langewiesche, Dieter, **Liberalismus im 19. Jahrhundert** . Deutschland im Europäischen Vergleich. Göttingen, 1988. S. 223 – 227.

(2) **Metternich, in**:Schnabel ,Franz,**Deutsche Geschichte im 19 Jahrhundert**,4Bänd,Band. 2, Monarchie und Volkssouveränität, München, 1933.S.64 ;Kraehe, **Metternich's German Policy**, vol. II, p.135.

(3) Ibid, vol. II, p.135;Schnabel**, Deutsche Geschichte im 19 Jahrhundert** S.64 .

وبافاريا وبادن ملاذا للحركات الليبرالية و نواة أساسية لقاعدة سياسية مغايرة لما هو موجود في بروسيا والنمسا التي استمرت بدون دساتير مكتوبة حتى ثورة ١٨٤٨.(١)

أصبح النموذج البروسي في إصلاح الدولة بعد الهزيمة القاسية أمام نابليون ١٨٠٦م نموذجا يحتذي به الليبراليون في الداخل والخارج ،فهذا النموذج استند إلى الحكم المطلق المستنير وعلى فكرة الإصلاح من الأعلى أي الثورة الفوقية،والتي تسمح بالتعاون مابين الدولة والمجتمع وردم الهوة القائمة بينهما لتجنب الثورة من القاعدة والعنف كما حدث في فرنسا، وفي هذا ذكر شتروينسه(J.Struensee) أحد الوزراء في الحكومة البروسية:"لقد تمت الثورة الفرنسية من الأسفل...في بروسيا سوف تتم من الأعلى...الملك ديمقراطي بطريقته ،إنه يعمل بجد و ببطء لتقليص نفوذ النبلاء...خلال عدة سنوات لن يكون هناك طبقة مميزة في بروسيا... "(٢).

واجه الليبراليون تحديات مختلفة بعد سنة ١٨١٥م نتيجة لقيام تقاليد سياسية محددة في كل دولة ،فطوروا استراتجيات مختلفة تتناسب مع حجم هذه التحديات،لذا فأنه من المنطق الحديث عن الاختلاف والتنوع قبل عام ١٨٤٨م، ومن غير المنطق اعتبار الحركة الليبرالية الألمانية والدستورية وحدة واحدة ،فالحركة الليبرالية في الشمال كانت مختلفة بدرجة كبيرة عن نظيرتها الليبرالية الجنوبية ،فقد نظروا إلى النموذج الفرنسي نظرة عداء وكانوا معجبين بدرجة كبيرة بالنموذج الانجليزي القائم على احترام الملكية الدستورية والتعدد الطبقي، بحيث تقوم كل طبقة بدورها الدستوري في خدمة الأمة ،فالليبراليون الشماليون سعوا إلى أن تحكم العلاقة مابين الملك والشعب علاقة دستورية يكون فيها الملك محدد السلطات(٣)،كما عبر عن ذلك دالمان (Dahlmann)عندما قال:"الملك يجب أن لا يفعل ما يريد ،ولكن يجب ألاّ يجبر على فعل ما لا

---

(1) **Verfassungsurkunde für das Königreich Bayern vom 26** , Bayerisches Gesetzblatt 1818 , S.101 ff ; Lee, Lloyd E, **Liberal Constitutionalism as Administrative Reform:The Baden Constitution of 1818**,CEH 8 , 1975.p. 91-112; John Breuilly, **Labor and liberalism in 19th Century in Europe**. Manchester, 1992 , p. 238.

(2)J.Struensee,in:Häusser, Ludwig,**Geschichte der Rheinischen Pfalz nach ihren politisc**. Band. 2, S.117.

(3)Brandt,Peter , **Liberalismus:in Lutz Niethammer, Bürgerliche Gesellschaft in Deutschland**. Frankfurt am Main, 1990, S. 143 -165, S.150 -153; Hintze, Otto, **Die Hohenzollern und ihr Werk Fünfhundert Jahre Vaterländische Geschichte**, 6te Auflage. Paul Parey, Berlin, 1915.S.423-425.

يريد"[١]،وفيلهلم هومبولدت كان يعتقد أن نظاماً تمثيلياً مناسباً سوف يزيد من استقلالية الأفراد ولكنه سوف يزيد من ارتباطهم بالدول.[٢]

أما الليبرالية الجنوبية في منطقة الراين فقد اعتبرت الدستور الفرنسي لسنة ١٧٩١م نموذجا للحكمة السياسية ،وكانت هذه المنطقة خلال الفترة الواقعة ١٨١٤-١٨٢٠م محكومة بطريقة دستورية ،فقد نظر حكامها إلى الدستور كوسيلة مهمة في الحفاظ على الاستقرار السياسي وربط الشعب بشكل أكبر بالنظام السياسي القائم ،بالرغم من أن بعض الدول استمرت على نفس الدساتير القديمة القائمة على التمثيل الطبقي مثل ناساو وساكسونيا- فايمر،أما في دول مثل بادن وفورتمبيرج وبافاريا فقد طبقت فيها الدساتير على النمط الفرنسي ،وتمتع فيها المواطنون بكامل الحقوق الدستورية الليبرالية مثل:الصحافة الحرة ،حرية التجمع ،حرية الدين "الاعتقاد"،والمساواة أمام القانون[٣].

عامل آخر قوي أثّر في بدايات الحركة الدستورية الليبرالية ،فقد ظهرت في منطقة الراين وساكسونيا البرجوازية الليبرالية التي كان لها أجندة اقتصادية ،كما كانت اليعقوبية في شرق بروسيا قد شكلت لها مركزا قويا حيث نادت بالديمقراطية ،وتقليص سلطات الحكام مقابل توسيع قاعدة المشاركة الشعبية في الحكم ،فعلى سبيل المثال قدمت بادن في منطقة الراين والمتأثرة إلى حد كبير بالفكر الليبرالي بخاصة سويسرا وفرنسا لباقي الدول الألمانية نموذجا للعمل البرلماني – حتى وإن كان التأثير محدودا – ففي دستورها الذي أقر سنة ١٨١٩م والذي نص على تشكيل مجلس تشريعي للطبقات بانتخابات حرة ،جرى في اللقاء الأول للمجلس الأدنى صدام حاد مع الحكومة على خلفية رفض المجلس إقرار الميزانية العسكرية ،لأنها تمنح الارستقراطية امتيازات مالية وقانونية[٤].

ومن الجدير بالذكر أن المجالس الدنيا المنتخبة في بادن على أساس قاعدة عريضة من الناخبين كانت أعرض بكثير مما هو موجود في المملكة المتحدة أو فرنسا ،بالرغم من أن عدد

---

(1) Dahlmann, F.C, **Kleiener Schriften und Reden, Ein Wort über Verfassung. Stuttgart**, 1886.S.19.

(2) Humboldt, **Werke**, Band. IV, S.316.

(3) William Carr, **A History of Germany 1815-1945**. Edward Arnold, London, 1974.p.14.

(4) Hörner, Manfred, **Die Wahlen zur badischen zweiten Kammer im Vormärz (1819-1847)** .Verlag Vandenhoeck & Ruprecht ,Göttingen, 1987.S.133-134; Best.Heinrich, **Die Manner von Bildung und Besitz: Struktur und Handeln parlamentarischer** .Beiträge zur Geschichte des Parlamentarismus und der politischen Parteien ,Band.90.Dusseldorf, Droste Verlag,1990.S.247 – 248;Carr, **A History of Germany** .p.15.

سكانها لم يتجاوز المليون ،فعدد الناخبين سنة ١٨٣٠م كان أكثر من عدد الناخبين في كل فرنسا والتي كانت فيها الانتخابات لا تزال محصورة في الرجال البالغين سن(٢٥) سنة والمسجلين فقط في لوائح الانتخابات [١].

استمرت قوة العرش في معظم الدول الألمانية، واستمر منظور أن الدستور ما هو إلا منحة من الحاكم للشعب ،والملك هو رأس كل السلطات في الدولة، وزاد الاهتمام بإنشاء مجلس معين يسيطر عليه الارستقراطيون ،ويكون بمثابة كابح لمجلس الطبقات الأدنى،لذا كانت الدول الألمانية جنوب نهر الراين في هذه المسألة غير مختلفة عن باقي الدول الألمانية ،كما كانت خطة ميترنيخ التحديثية في النمسا تقضي بإنشاء مجلس إمبراطوري تعينه الطبقات تكون مهمته استشارية ،إلا أنه لم يدخل حيز التنفيذ بسبب رفض الإمبراطور فرانتس الثاني،لذا سيطرت الطبقات التقليدية على الحياة السياسية، وسرعان ما انتقلت تلك النظرة المحافظة في السيطرة الكاملة على الشؤون العامة، فمن الخطأ الاعتقاد بأن الألمان كانوا مهتمين بالحريات الدستورية خلال حروب التحرير ،فهؤلاء الذين شكلوا أقليات صغيرة حتى في الطبقة الوسطى كانوا معزولين بشكل تام عن الجماهير [٢] .

أكدت المادة الثالثة عشرة من الدستور الكونفدرالي الألماني (Bundesakte) بأنه يتوجب على كل دولة إقامة مجلس طبقي "مجلس الطبقات" (Landständishe Verfassung)[٣]، وبنظرة عامة إلى الجدول الملحق حول تبني الدول الألمانية للدستور نستطيع أن نتبين أن هذه الدساتير قد جاءت في أغلبها على مرحلتين: المرحلة الأولى استجابة للمادة الثالثة عشرة من الدستور الكونفدرالي ،والثانية جاءت بعد الثورة الفرنسية في تموز ١٨٣٠م.

جدول رقم (١):تبني الدول الألمانية للدستور.

الرقم	الدولة	سنة إقرار الدستور	ملاحظات
١-	**لوبيك Lübeck**	**١٨١٣م**	**تم تحديث الدستور .**
٢-	**هامبورج Hamburg**	**١٨١٤م**	**تم إعادة العمل بالدستور القديم .**
٣-	**بريمن Bremen**	**١٨١٦م**	**تم تحديث الدستور .**
٤-	**فرانكفورت على الماين Frankfurt.am.Main**	**١٨١٦م**	**تم تحديث الدستور.**
٥-	**ماكلنبيرج شفيرين Mecklenburg Schwerin**	**١٨١٦-١٨١٨م**	**الدستور القديم .**

---

[١] سيغمان،**الثورات الكبرى** ،ص١١٥.

[2] Carr, **A History of Germany**.p.16; سيغمان،**الثورات الكبرى** ،ص١١٥.

[3] **Deutsche Bundesakte vom 8. Juni 1815**, in:Binding, Nummer III, S. 19 ff.

٦-	ماكلنبيرج شتيلتس Mecklenburg Strelits	١٧٧٥م	الدستور القديم .
٧-	هوهنتسولرن- هايشنجن Hohenzollern-Heichingen	١٧٩٦م	الدستور القديم .
٨-	انهالت Anhalt Staat	١٦٢٥م	الدستور القديم .
٩-	رويس Reuss Staat	١٦٢٥م	الدستور القديم .
١٠-	ناساو Nassau	١٨١٤م	تم تحديث الدستور .
١١-	شفارتسبورج رودل شتات Schwarzburg Rudel Staat	١٨١٦م	استحداث دستور جديد.
١٢-	شـــاومبيرج ليبـــه Schaumburg-Lippe	١٨١٦م	استحداث دستور جديد.
١٣-	فالديكه Waldecke	١٨١٦م	استحداث دستور جديد.
١٤-	ساكســونيا- فـايمر Sachsen-Weimar	١٨١٦م	استحداث دستور جديد.
١٥-	ساكسونيا- هايدلبيرج هاوزن Sachsen-Hidelburg Hausen	١٨١٨م	استحداث دستور جديد.
١٦-	بافاريا Bayern	١٨١٨م	استحداث دستور جديد.
١٧-	بادن Baden	١٨١٨م	استحداث دستور جديد.
١٨-	ليشتنشتاين Liechtenstein	١٨١٨م	استحداث دستور جديد.
١٩-	فورتمبيرج Würtemberg	١٨١٩م	استحداث دستور جديد.
٢٠-	هانوفر Hannover	١٨١٩م	التحديث ٣٣-١٨٣٦م و١٨٤٠م
٢٠-	برونسفيك Brunswick	١٨٢٠م	التحديث ١٨٣٢م
٢١-	هسن- درامشتات Hessen – Darmstadt	١٨٢٠م	استحداث دستور جديد.
٢٢-	وساكسونيا- مايننجن Sachen-Meiningen	١٨٢٤م	تطبيق دستور بالاتحاد مع ساكسونيا هايلدبيرج هاوزن ١٨٢٩م.
٢٣-	ناخبية هيسا Hesse	١٨٣١م	استحداث دستور جديد.
٢٤-	وساكسونيا التينبيرج Sachen-Altenburg	١٨٣١م	استحداث دستور جديد.
٢٥-	هولشتاين Holstein	١٨٣١م	استحداث دستور جديد.
٢٦-	ساكسونيا Sachen	١٨٣١م	استحداث دستور جديد.
٢٧-	هوهن تسولرين تسجمارنجن Hohenzollern-Sigmaringen	١٨٣٣م	استحداث دستور جديد.
٢٨-	ليبه Lippe	١٨٣٦م	استحداث دستور جديد.
٢٩-	شفارنسبيرج سوندرهاوزن	١٨٣٠-١٨٣١م	استحداث دستور جديد.

	Schwarzburg Sondershausen		
٣٠-	لوكسمبيرج Luxemburg	١٨٤١م	استحداث دستور جديد.
٣١-	النمسا Österreich	–	استمرت بدون دستور مكتوب
٣٢-	بروسيا Preußen	–	استمرت بدون دستور مكتوب
٣٣-	اولدنبيرج Oldenburg	–	استمرت بدون دستور مكتوب
٣٤-	هسن- هومبورج -Hesse Homburg	–	استمرت بدون دستور مكتوب
٣٥-	ليمبروج Limburg	–	كانت تنتمي للكونفدرالية ولكنها كانت خاضعة للدستور الهولندي .

Huber,Deutsche Verfassungsgeschichte seit 1789,Band. 1, S.655-657.

نماذج الدساتير هذه غلب عليها اتجاهان(١):

أولا:الاتجاه المحافظ الذي رأى في الحكومات الدستورية والمجالس التمثيلية وسيلة للحفاظ على المكتسبات والامتيازات من أن تمس من قبل الحكومات البيروقراطية،وعبر عن هؤلاء الأمراء الإقطاعيين (Standesherren) والارستقراطيات الألمانية خاصة في وسط وشمال ألمانيا.

ثانيا: الداعمين لسيادة الدولة الذين رأوا في الدستور طريقة للمشاركة في النظام السياسي،حيث غلب عليهم الطابع البيروقراطي، أي أنهم موظفون موزعون داخل دول الفيدرالية الألمانية،والعديد منهم كانوا من المشاركين في الحركة الإصلاحية البروسية، كانت المجالس التمثيلية لهؤلاء هي نوع من الوقاية أكثر منها وسيلة للدفاع عن الحقوق الاجتماعية والمشاركة الشعبية في الحكم.

فقد كانت هذه الدساتير غير ديمقراطية ،إذ أكدت بشكل خاص على امتيازات التاج ومنحت القوى الإقطاعية والكنيسة نفوذا كبيرا ،وعملت بصورة رئيسية على محاربة الأفكار الليبرالية وبالرغم من ذلك فقد أرست بقدر متواضع قواعد دستورية وبرلمانية سمحت بنوع من الحوار والنقد البناء والاهتمام بالأمور العامة ،فالحياة الدستورية عملت على ربط المكونات المختلفة للشعب الألماني وجعلتهم أكثر وعيا بمفهوم الدولة الحديثة وبمفهوم التغيير الثوري الذي استمر في الحياة العامة بالرغم من الاعتقال والملاحقة والسلطة البوليسية(٢).

---

(1) Sheehan,**German History**. pp.411-412;Huber,**Deutsche Verfassungsgeschichte seit 1789**,Band.1,S.656 -657.

(٢) فالنتين ،**تاريخ الألمان**،ص٢٢٧.

سيطر الأكاديميون وكبار الموظفين على حركة الإصلاح في فترة التحرر من حكم نابليون ورافق ذلك إصلاح القطاع التعليمي ،الأمر الذي كان عاملا قويا في زيادة الوعي السياسي فرعاية الدولة للفكر الإصلاحي في مرحلة ما كان ضروريا ،فلم يكن أمام الدول الألمانية إلا الإصلاح ومماشاة روح العصر أو التلاشي ،فكان التحالف حتمي بين رواد الحركة الليبرالية أمثال شتاين وهاردنبيرج وطبقة البيروقراطيين والمتعلمين مع طبقة الحكام التي كان كل همها الاستمرار في عصر عاصف بالتغيير ،فالحاكم يضمن لهم وضعا خاصا في الدولة بحرية التصرف مقابل الولاء والطاعة ،وأكثر من ذلك حصول الموظفين المدنيين على راتب شهري ثابت ومنتظم،بينما كان العديد من رجال الأعمال غير مبالين بالبرلمان لأن ذلك يعرض تجارتهم للخطر فعلى سبيل المثال تم انتخاب (٢٥) موظفا مدنيا في الانتخابات العامة لدولة بادن لسنة ١٨٢٥م و كانت نسبتهم (٣٩.٧%) من أعضاء المجلس التشريعي،لذا فالعديد من أوائل الليبراليين في البرلمانات المحلية كانوا ليبراليين بيروقراطيين على استعداد للتعاون مع الانظمة الحاكمة الرجعية لأجل العودة إلى الحكومة[١].

وفي المجلس التشريعي الثاني لدولة بادن في سنة ١٨٣١م ،كان(٦٠%) من أعضائه حاصلين على شهادة أكاديمية ،بينما كان (٤٠%) منهم من التجار الصناعيين والزراعيين،وكان من بينهم ثمانية فقط من الحرفيين ،أربعة من الصناعيين واثنين من أصحاب الفنادق"النزل". بالمقابل من بين (١٨) عضوا ليبراليا في برلمان هسن-درامشتات١٨٢٦-١٨٢٧م وجد ثمانية من الموظفين الحكوميين المحليين والذين يقومون ببعض الأعمال الزراعية،ثلاثة مزارعين،اثنان من أصحاب المصانع ، صاحب متجر ،وعمدة قرية ،واحد الموظفين المحليين في أحد المستشفيات، وفي بافاريا احتل الموظفون (٥٤) مقعدا من مجلس الطبقات الدنيا من أصل (١٢٤) في انتخابات عام ١٨٣٠[٢].

كانت الضريبة الانتخابية تقلص وإن لم نقل تلغي وجود العناصر التي تمثل المجتمع حق الفلاحين والحرفين و التجار ،لكن ليبرالية المثقفين هذه تبدو ضربا من المفارقة الغريبة نظرا لتركيبة الجسد الانتخابي ،فعدم قدرة الفئات الاجتماعية الدنيا على دفع المستحقات المالية اللازمة للتسجيل منتخبين أو مرشحين جعل الارستقراطية والأغنياء والموظفين هم فقط القادرين

---

(1)Geerth, Hans, **Bürgerliche Intelligenz um 1800**.Neuauflage.Göttingen,1976.S.72–79; Langewiesche , **Liberalismus**. S. 239; Hörner, **Die Wahlen zur Badischen**.S.187–88;

فالنتين ،**تاريخ الألمان**،ص٢٢٨.

(2) Hörner, **Die Wahlen zur Badischen**, S.189;Wehler, Hans-Ulrich, **Gesellschaftsgeschichte**.2 Bände, Münichen,1989.Band.1,S. 430; Langewiesche, **Liberalismus**. ,S.241-242.

على المشاركة في الانتخابات[١].برغم من ذلك فقد كانت هذه تجارب وخبرات انعكست بشكل كبير على برلمان فرانكفورت ،إذ أسست لتقاليد برلمانية صبغت المرحلة التالية بأهمية استمرارية فكرة الإصلاح كبرنامج عمل وليس انقلاباً ثورياً أطاح بالنظام القديم وشكّل نظاماً جديداً على النمط الفرنسي ،ولم يصل في أي مرحلة من مراحله إلى النموذج البريطاني ،وظلت المسيرة ألمانية خاصة غير قادرة على خلق نموذجها الخاص بالرغم من غنى المخزون النظري والفلسفي للشعب الألماني.ولعل ذلك عائد إلى طبيعة الشخصية الثقافية الألمانية وسيطرة الاتجاه الليبرالي المعتدل على مجمل الساحة السياسية المحدودة أصلا بتغول النظام القديم وقوته.

١-٣-٢:الحركة الطلابية.

كانت المشاركة السياسية بالنسبة للعديد من الليبراليين مرتبطة بقدر من التعليم ،مما أدى إلى سيطرة الطبقة الوسطى المتعلمة على الكثير من المنظمات الليبرالية،بالرغم من أن الليبرالية بمفرداتها الاجتماعية أكثر من مجرد حركة للأساتذة الليبراليين،فقد استمرت النزعة الإنسانية مسيطرة (Weltanschauung) ،التعليم كمفهوم أساسي ربط ما بين تكوين الشخصية والثقافة الأخلاقية ،وكثير من مفكري الطبقة الوسطى اعتبروا أنفسهم ارستقراطية فكرية ،وكان تفسيرهم للأحداث السياسية ذا طابع مثالي [٢].ظل التعليم هو النموذج الاجتماعي الذي شكل لمعظم الليبراليين الإلهام للتنوير والتقدم ،وبالنسبة لدالمان يبقى"التعليم جوهر الأمة الذي يربط ما بين حكمة النظام القديم لطبقات الاكليروس الدينية مع الثروة والسلطة التقليدية للنبلاء" [٣].

نشأت أول منظمة طلابية (Burschenschaft) في جامعة ينا (Jena) في سنة ١٨١٥م بتأثير كبير من الأساتذة الجامعيين أكثر المجموعات تأثيرا في الحركة الليبرالية،كما أنهم أكثر المجموعات قبولا نتيجة الاحترام الكبير الذي يكنه المجتمع لهم، فالأساتذة السياسيون كما كانوا يسمون زودوا الحركة الليبرالية بالأفكار والقادة مابين ١٨١٥-١٨٤٨م ، كان أول من فكر في إنشاء منظمة طلابية احد طلبة جامعة برلين ويدعى يان تورنفاتر[٤] (Jahn Turrnvater)،حيث اقترح على إدارة الجامعة سنة ١٨١١م إنشاء منظمة طلابية واحدة تقوم على إعادة إحياء تراث

---

[١] سيغمان ،**الثورات الكبرى** ،ص١١٥.

[2]Wehler, **Gesellschaftsgeschichte**, Band.1, S. 430-31.

[3]Dahelmann,in:Obermann,Karl,**Die deutschen Arbeiter in der Revolution von 1848**,Berlin, 1953.S.106.

[٤] يذ كر محمد عبد الرحيم مصطفى:أن يان هو فلاح حارب ضد نابليون أنشا في برلين مدرسة يعلم الشبان فيها الرياضة لتقوى أجسامهم فيكونوا أداة للدفاع عن وطنهم.مصطفى ،محمد عبد الرحيم ،عباس الخرادلي ، **أوروبا في القرن التاسع عشر**. ط١ ،المكتبة الاهلية الجديدة ،القاهرة ،١٩٣٦. ص٢٥.

الآباء القديم إلاّ أن الإدارة رفضت ذلك ،وقد رفع هؤلاء الطلبة العلم الذي رفعه القائد فون لوتزوف (von Lützow) سنة ١٨١٣م عندما شكل فرق المتطوعين(المجموعات الحرة) الذين لبسوا الزي الموحد بالألوان: الأسود والأحمر والذهبي في الحرب ضد نابليون ،على أساس أنه يمثل العلم القديم لألمانيا ،وسرعان ما أصبح عدد المنتسبين لهذه المنظمة ما بين (٥٠٠-٦٥٠) عضوا وانتشرت الفكرة في جامعات أخرى في وسط وشمال ألمانيا والتي سارت على نفس نهج جامعة ينا ،إلا أن التقدم كان بطيئاً في شمال ألمانيا وفي الدول الكاثوليكية مثل بافاريا والنمسا حيث كان التأثير لا يكاد يظهر للحركة الطلابية[١].

أنتجت المنظمات الطلابية أسلوبا جديدا مغايرا لما كانت المنتخبات الوطنية القديمة (Landmannschaften) في الجامعات تقوم به ،فقد كان الطلبة يمضون وقتهم في اللهو واللعب والشرب ،وكانت جامعة ينا في نهاية القرن الثامن عشر مشهورة بالانحراف الأخلاقي ،ولكن بتأثير الروح الوطنية والمسؤولية الأخلاقية أخذت المنظمة الطلابية (Burschenschaft) في جامعة ينا على عاتقها محاربة مثل هذا الفساد تحت شعار: الشرف ،الحرية ،ووطن الآباء .وعملت على نشر الأخلاق بين الطلبة وإعداد الطالب النموذجي في لغته وثقافته و مظهره وهندامه.كانوا معتدين بأنفسهم وادّعوا أنهم يمثلون أفضل ما في الماضي والأمل بالمستقبل[٢].

كان أفضل تعبير عن روح المنظمة الطلابية الاحتفال الذي أقيم في فارتبورج (Wartburg) من ساكسونيا- فايمر في تشرين أول ١٨١٧م بمناسبة الذكرى الرابعة لمعركة لايبزيج والتحرر من السيطرة الأجنبية ،وتحت شعار إحياء فكرة الجندية ما بين الطلبة وحرية الفكر من السيطرة الدكتاتورية ،اجتمع (٤٦٨) طالباً من مختلف إنحاء ألمانيا في القلعة التي قام فيها لوثر بترجمة الكتاب المقدس ،والتي شهدت انطلاقة اللغة الألمانية ،حيث وجهوا نداء إلى الشباب والأمة الألمانية دعوهم فيها إلى تمثل الروح القومية ووحدة الدول الألمانية ،"يجب أن تعلموا أنه بمجرد التحاقكم بالجامعة...كل ألمانيا تعتمد عليكم...يجب أن تنقلوا ما تعلمتموه لتكوين مجتمع متحضر...تكونوا لهم نماذج يقتدى بها...".وفي نهاية الاحتفال الرسمي قام عدد من الطلاب بإحراق عدد من المؤلفات التي تعود إلى من اعتبروهم أعداء الليبرالية أمثال فون

---

(1) Gagern, Heinrich von, **Deutscher Liberalismus im Vormärz: Briefe und Reden 1815-1848** Musterschmidt, Gottingen, 1959. S.57 ; Carr, **A History of Germany**, p.17; **Sheehan, German History**. p.403; شكري،**الصراع بين البرجوازية والإقطاع**،مج٣،ص٤١٠-٤١٢؛ فالنتين،**تاريخ ألمانيا**، ص٢٧٢-٢٧٣.

(2) Gagern, **Deutscher Liberalismusm**.S.58; Carr, **A History of Germany**.p.17; Sheehan, **German History**.p.406; Robertson, **The Evolution of Prussia**.pp.283-284.

هالر(von Haller) ، الذي نشر في سنة ١٨١٦م كتابا نقد فيه نظريات العقد الاجتماعي والحقوق الطبيعية وسيادة الشعب[(١)].

أثار هذا الاجتماع القلق في الدوائر الحاكمة ،فقد حمّلت بروسيا والنمسا الدوق الأكبر كارل (Karl) دوق ساكسونيا- فايمر المسؤولية الكاملة عن هذا الاجتماع ،الدوق من جانبه قاوم هذه الضغوط وسمح للقاء الثاني (Allgemeiner Burschentag) في ينا سنة ١٨١٨م ،وفي هذا اللقاء اجتمع ممثلون عن أربعة عشر جامعة وشكلوا الاتحاد العام لطلبة ألمانيا (Allgemene Deutsche Burschenschaften) .وفي آذار ١٨١٩ قام احد الطلبة ويدعى كارل زاند (Karl Ludwig Sand) - من اتحاد جامعة ينا من قسم اللاهوت واحد المشاركين في الحرب ضد نابليون- باغتيال الأديب اوقست فون كوتسيبوا (August von Kotzebue) الذي كان مقربا من القيصر النمساوي ويعمل في خدمة القيصر الروسي ،والمتهم من قبل الطلبة بالعداء للحركة الليبرالية ،فعندما أطلق كارل طلقته الثانية باتجاه كوتسيبوا صاح:"أشكرك يا رب لأنك نصرتني"[(٢)].

وعلى إثر هذه الحادثة منعت المنظمات الطلابية وصدرت قوانين كارلزباد(Karlsbad) التي عنونت هذه المرحلة مرحلة تغير في الحركة الليبرالية ليس على مستوى ألمانيا بل على مستوى القارة الأوروبية ككل، فالسنوات ١٨١٩-١٨٢١م سنوات زلزلت أوروبا وهددت النظام الأوروبي وتسوية فينا ؛ففي بريطانيا وفرنسا وايطاليا وغيرها من الدول الأوروبية اجتاحتها مظاهرات وحركات طلابية ليبرالية كبرى[(٣)].

١-٣-٣:قوانين كارلزباد آب ١٨١٩:

حادثة الاغتيال جرّت ألمانيا إلى أحضان رد الفعل السياسي المضاد ،فقد كانت هذه فرصة ذهبية لميترنيخ لإحكام قبضته على ألمانيا والقضاء على الروح الثورية قبل خروجها عن السيطرة معتمدا على دعم الأمراء المرعوبين من الأفكار الليبرالية والثورية التي كانوا يشعرون

---

(1) Keil, Robert und Richard Keil, **Die Burschenschaftlichen Wartburgfeste von 1817 bis 1867**. Jena, 1868.S.14-18;Gagern, **Deutscher Liberalismusm**.S.59-62;Carr,**A History of Germany**.p.17; Sheehan, **German History**. pp.406-407; شكري، **الصراع بين البرجوازية والإقطاع**،مج٣،ص٤١٣ .

(2) Karl Sand, in:Keil,Die **Burschenschaftlichen Wartburgfeste**.S.18 Legge, **Rhyme and Revolution in Germany**.Book.I, Chapter II,The Murder of Kotzebue.pp.13-27.

(3) Keil, **Die Burschenschaftlichen Wartburgfeste**.S.18-20; Müller,**Schlaglichter der deutschen Geschichte** , S.151. Legge, **Rhyme and Revolution in Germany**.Book.I.pp105-106.

أنها تهدد عروشهم ،عمل ميترنيخ على التفاهم مع بروسيا والضغط على مجلس الكونفدرالية "الرايخستاج" ففي لقاء تيبليتس (Teplitz)بين ميترنيخ وفريدرش الثالث أكد الأخير على ضرورة اتخاذ إجراءات صارمة بحق الطلبة ،وفي الفترة مابين ٦-١٣ آب ١٨١٩ عقد لقاء بدعوة من ميترنيخ في مدينة كارلزباد ضم: النمسا،بروسيا ، بافاريا ،ساكسونيا ،ميكلنبورج ،هانوفر،وناساو ،بادن ،ساكسونيا – فايمر،انسباخ وهسن ،وهي أهم الدول الألمانية التي يمكن الاعتماد عليها في تطبيق الإجراءات الصارمة التي عزم ميترنيخ على اتخاذها[١].

خلص المؤتمر إلى إقرار قوانين جديدة هدفت إلى مكافحة التوجهات الليبرالية والأفكار القومية المحرضة للشعوب وأهمها: قانون الصحافة (Bundes–Pressgesetz) ،قانون التحقيقات (Bundes–Untersuchungsgesetz)وقانون الجامعات (Bundes–Universitätsgesetz) والتي دخلت حيز التنفيذ اعتبارا من ٢٠ أيلول ١٨١٩م بعد المصادقة عليها من قبل الدول الأعضاء في الكونفدرالية ،ففي ما يتعلق بقانون الصحافة فقد اشترط القانون الموافقة المسبقة للسلطات قبل النشر،ولا يسمح بنشر أي منشور لا يحمل اسم الجهة الناشرة والتي تتحمل المسؤولية القانونية المترتبة على ذلك ،كما حوى القانون تخويل مجلس الكونفدرالية الحق في الإشراف على جميع المطبوعات والمنشورات والدوريات، و حمّل كل حكومة عضو في الفيدرالية المسؤولية الكاملة عن الكتابة المنشورة والتي تخرج تحت إشرافها في حالة أنها تمّس بأعضاء آخرين داخل الكونفدرالية ،و في حالة نشر أي مطبوعة لا تحمل اسم الناشر والمحرر سيتم مصادرتها،وإذا تم تداولها بشكل سري فجميع المخالفين سوف يتم تجريمهم وحتى سجنهم[٢].

تضمنت قوانين كارلزباد ملحقا سريا تضمن وضع المدارس الثانوية والجامعات تحت الرقابة المشددة ،وتم إنشاء لجنة تحقيق مركزية خاصة مقرها ماينز للتحقيق في الأنشطة الثورية للطلبة والأساتذة ،وإرسال تقريرها إلى مجلس الكونفدرالية"الرايخستاج"،حيث أوكل إليه مهمة اتخاذ الوسائل الكفيلة بمنع حدوث الأعمال الثورية وأن على الدول اتخاذ الإجراءات الدستورية اللازمة لإقرارها[٣].

---

[1]**Beschluß betreffend die Bestellung einer Centralbehörde zur nähern Untersuchung der in mehreren Bundesstaaten entdeckten revolutionären Umtriebe,Untersuchungsgesetz,vom August 6-31, 1819 (Bundes–Preßgesetz, Bundes–Universitätsgesetz ,Bundes–Untersuchungsges– etz). Landesarchiv in Koblenz**35 Sitzung, Artikel. 220 .S.1.

[2]**Bundes–Preßgesetz, Bundes–Universitätsgesetz ,Bundes–Untersuchungsgesetz). Landesarchiv in Koblenz**35 Sitzung, Artikel. 220 .

[3] Ibid,**Bundes–Universitätsgesetz**, 35. Sitzung. Artikel. 220 .

رحبت معظم الدول الألمانية بهذه القرارات وكانت نتيجة ذلك فصل العديد من المعلمين وأساتذة الجامعات وإغلاق العديد من الصحف والرقابة المشددة على الصحف ،وقامت اللجنة الخاصة التي نصت عليها قوانين كارلزباد في ماينز بحل الاتحاد الطلابي ،و إعدام الطالب كارل زاند في ٢٠ أيار ١٨٢٠م ،و تم إلقاء القبض على عدد كبير من الطلبة الذين أوقعت بهم عقوبة السجن مدة تتراوح مابين ١٢-١٥سنة،وفصلت اللجنة العديد من الأساتذة وعلى رأسهم أرندت، وبالرغم من كل هذه الإجراءات فقد استمر العديد من الطلبة بالعمل السري[١].

بقيت قوانين كارلزباد والملاحق التي أعقبتها لعدة عقود مسيطرة على الحياة السياسية في ألمانيا ،وأصبح ميترنيخ هو المتحكم في السياسات الألمانية من خلال مجلس الكونفدرالية الرايخستاج الذي كان عبارة عن أداة في يده لتحقيق أهدافه .ولم يتم إقرار دساتير جديدة في وسط وشمال ألمانيا وحاول ميترنيخ إقناع دول جنوب الراين بتغيير دساتيرها لتكون أكثر محافظة واستبدال المجالس التمثيلية بمجالس الطبقات ،إلا أن محاولاته فشلت فقد أعلنت فورتمبيرج وهسن – درامشتات عدم التزامها بقوانين كارلزباد .وحقيقة الأمر أن العديد من دول جنوب ألمانيا كانت غير قادرة على وضع هذه القوانين موضع التنفيذ لأنها تجعل منها رهينة للنفوذ البروسي – النمساوي ،كما أن مثل هذه الدول كانت غير قادرة على الرجوع عن سياساتها الليبرالية التي أصبحت جزء من تقاليدها السياسية[٢] .

جرى في٦ حزيران ١٨٢٠م لقاء موسع لدول الكونفدرالية في فرانكفورت حيث تم إقرار (٦٥) مادة لقانون الفيدرالية الألمانية حيث وافقت الدول الألمانية بالإجماع عليها،و تم التأكيد على أن الكونفدرالية هي اتحاد يعمل في مظلة القانون الدولي باسم الإمارات الألمانية ذات السيادة والمدن الحرة،من أجل حماية استقلال الدول وتأكيدا على خصوصيتها داخل الكونفدرالية ومن أجل ضمان أمنها الخارجي الدائم ،كما أن الاتحاد يتألف من الدول المستقلة لا يهدد بعضه بعضاً،ويتمتع فيه جميع الأعضاء بحقوق وواجبات متساوية،وفي حالة تعرض أحد الأعضاء لخطر أو أي اعتداء خارجي تقوم الدول الكونفدرالية باتخاذ كافة الإجراءات من اجل رد الاعتداء ودرء الخطر[٣].

---

[1] **Karlsbader Beschlüsse**, , 35. Sitzung. Artikel. 220 . ; Carr, **A History of Germany**, p.19;

شكري، **الصراع بين البرجوازية والإقطاع**، مج٣،ص٤١٥-٤١٦.

[2] Carr, **A History of Germany**, p.19; Robertson, **The Evolution of Prussia**, pp.286-289.

[3] Karl Binding,**Deutsche Staatsgrundgesetze**. Leipzig,Verlag Felix Meiner, 1913.Nummer III, S.37ff.

١-٣-٤: تطور الحركة الليبرالية والسياسية ١٨٣٠- ١٨٤٨م:

كانـت المشـاريع الوحدويـة لليبـراليين فـي معظـم الـدول الألمانيـة خـلال الثلاثينـات والأربعينات من القرن التاسع عشر ،قد انصبت في الوصول إلى حكومة دستورية والى حد من التمثيل الشعبي.وطورت الليبرالية الألمانية نفسها لتكون حركة مد قومي برغم افتقادها للتنظيم فـالفكر القـومي أصـبح أساسـيا لأي مشـروع ليبرالـي حقيقـي للمسـتقبل[١] ،فمصـطلح "الحـزب الليبرالي"مصطلح عام يمثل أفكارا وقيما ليبرالية عامة قبل سنة ١٨٤٨م،ولا يعني حركة سياسية لها برامج سياسية ولها أطر تنظيمية وأهداف محددة تسعى لتحقيقها ،فالليبراليون الأوائل لم يلزموا أنفسهم بأي تنظيم حفاظا على استقلاليتهم الفردية من جانب وطبيعة النظام السياسي البوليسي من جانـب آخر،والتـي كانـت أحد الأسباب الرئيسة فـي غمـوض مفهوم الليبرالية بالإضـافة إلـى ضعف انتشار الأفكار السياسية على مستوى واسع بين فئات الشعب الألماني [٢].

كتب لاوبه (Laube) في سنة ١٨٣٣م أحد القادة الممثلين لـ"ألمانيا الفتاة " وهي حركة أدبية تسعى إلى جمع المؤلفين الألمان الذين لديهم توجهات سياسية ليبرالية ،ويؤمنون بالوحدة القومية والتضامن مابين شباب الشعوب الأوروبية:"أنا ليبرالي ولكني لا أرغب في الانضمام إلى أولئك الذين يسمون أنفسهم ليبراليين"[٣] ،وبهذا الخصوص قال الليبرالي هاينرش فون جاجرن (Heinrich von Gagern) [٤] :"أنا لا أنكر إنني حزبي ،فماذا يعني هذا ! إلاّ أن أكون رجلا عندي رأي أسعى لإنجاحه؟" [٥].

كانـت الحركـة الليبرالية حركـة عامـة وأثرت بكل مفاصـل الحيـاة ،فكـان هنـاك ليبراليـون عقليـون وليبراليـون طبقيـون وليبراليـون عـاميون وليبراليـة الأمـراء وليبراليـة المـوظفين ،وبـرزت

---

[1] Best, **Die Männer von Bildung**, S.285 – 289.

[2] Leonhard, Jörn, **Liberalismus**

zur Historischen Semantik eines Europäischen Deutungsmusters. München, 2001. S.5-6.

[3] Laube in: Ladendorf, Otto, **Historisches Schlagwörterbuch**. Strassburg, 1906. S. 194.

[٤] هو هاينرش فون جاجرن أحد أبرز السياسيين الليبراليين من أسرة نبيلة ،وأحد أبرز الطلبة المشاركين في تأسيس الاتحاد العام لطلبة ألمانيا في جامعة ينا،عمل موظفا في هسن- دارمشتات وعضوا في مجلس الطبقات فيها ،ونتيجة نشاطه السياسي استبعد من الخدمة العامة سنة ١٨٣٢م.كان أحد ابرز المشاركين في ثورة آذار ١٨٤٨م ،وعضوا في البرلمان التمهيدي ورئيسا لبرلمان فرانكفورت ،وأحد رؤساء الحكومات التي نتجت عن برلمان فرانكفورت ،وأبرز القادة تأثيرا في سير أعمال البرلمان.لمزيد من المعلومات انظر:

Gagern, **Briefe und Reden**; G. Kaufmann **Heinrich Wilhelm August Freiherr von Gagern.in**: Die **Allgemeine Deutsche Biographie (ADB)** 56 Bände, Duncker & Humblot, Leipzig,1875–1912, Band. 49. 1904, S. 654 – 676.

[5] Gagern, **Briefe und Reden**.S. 133

الليبرالية خلال الثلاثينات والأربعينات كموقف يدل على السمو والنبل ،وتأصلت جذورها من خلال النظريات الفلسفية الليبرالية وبتأثير من المهاجرين الألمان الملاحقين سياسيا خاصة في سويسرا والولايات المتحدة الأمريكية والذين عملوا على نشر الأفكار الديمقراطية وفكرة الولايات المتحدة الألمانية على النمط الأمريكي ذا الطابع الفيدرالي والدستوري،والصق خلال هذه المرحلة بالليبرالية تهم التطرف والأفكار الدخيلة والنزعة الانقلابية المدمرة من قبل القوى السياسية القديمة[١].

كان لانطلاقة ثورة تموز ١٨٣٠م في باريس والتي أطاحت بأسرة البوربون في فرنسا والتي كان سببها المباشر قيام الحكومة الفرنسية بإصدار مراسيم خاصة بالأوراق المالية لمعالجة الأزمة المالية مما دفع المصانع إلى تسريح العمال الذين خرجوا إلى الشوارع ،لتبدأ ثورة تموز باستيلاء الثوار على السلطة والذين كانوا عبارة عن تحالف ما بين الجمهوريين والعمال والجنود القدامى .استمرت أحداث الثورة ثلاثة أيام عرفت في فرنسا باسم الأيام المجيدة الثلاثة ،وتم تتويج لويس فيليب ملكا جديدا لفرنسا بإرادة شعبية وبتحالف ما بين الطبقة البرجوازية والعمال[٢].

عملت ثورة تموز ١٨٣٠م الفرنسية على شق أوروبا إلى شقين رئيسين ،ورفعت قبضة القوى المحافظة عن أهل المنطقة الواقعة غربي الراين ،فالتحالف المقدس–تحالف دول تسوية فينا– لم يستطع الاستمرار في تدخله في هذه المناطق على النحو الذي كان قبل سنة ١٨٣٠م، وبرزت تحولات حادة داخل أوروبا ما بين الراديكاليين والمعتدلين والمحافظين ،فقد أصيب المعتدلون والراديكاليون بخيبة أمل كبيرة نتيجة إخفاق الفرنسيين في تأدية دور المحررين الأمميين الذي أوكلته لهم الثورة الكبرى والنظرية الثورية ،فقد برزت ردة فعل قومية ضد النزعة الأممية المنطلقة من فرنسا ،وظلت الحركات الراديكالية خلال هذه المرحلة معزولة إلى حد بعيد وتضم أفرادا من الطبقة الوسطى والمثقفين الذين يعيشون في المنفى أو في عالم المتعلمين الضيق نسبيا[٣].

هزت ثورة تموز ١٨٣٠م القارة الأوروبية وعاد الانتصار القومي إلى الواجهة ،وبدا أن ما سعى له مؤتمر فينا في المحافظة على الملكيات داخل أوروبا ومقاومة التوجهات الثورية قد انكسر على صخرة إرادة الشعب ،فقد انسلخت بلجيكا عن هولندا وشكلت دولتها ذات الدستور

---

[١] فالنتين ،**تاريخ الألمان**،ص٢٨٢؛ شكري، **الصراع بين البرجوازية والإقطاع**،مج٣،ص٣٣-٤٠.

[٢] لمزيد من المعلومات عن ثورة باريس انظر :باوم،**عصر الثورة ،الفصل السادس**،ص٢١٩-٢٤٨ ؛شكري ، **الصراع بين البرجوازية والإقطاع** ،مج٣،ص ٥٠١-٥٠٣ ؛وحول الثورة في بلجيكا وهولندا:مج٢،ص٣٣-٤١؛ فالنتين ،**تاريخ الألمان** ،ص٢٨٢.

[٣] باوم ،**عصر الثورة ،الفصل السادس** ،ص٢٣٦-٢٣٧،ص٢٤٨.

الليبرالي الحر ،ليزيد عدد الجيران الليبراليين لألمانيا ،وترتب على ذلك انسلاخ القسم البلجيكي من الوكسمبورج عن اتحاد الدويلات الألمانية ،وثار البولنديون على الحكم التعسفي الروسي ،ودعمت كل من بروسيا والنمسا روسيا وساهمتا بقمع الثورة البولندية ،مما عمق الهوة بين الشعب الألماني الذي نظر نظرة احتقار وازدراء لكل من دعم البربرية الروسية، بخاصة الدولتين الألمانيتين:النمسا وبروسيا[١] .

أحدثت ثورة تموز ١٨٣٠م اضطرابات عنيفة في ألمانيا لكنها لم تصل إلى مرحلة الثورة الشاملة لكل الأراضي الألمانية ،ولعل أبرزها فرار الطاغية كارل فون براونشفايج (Karl von Braunschweig)،وفي ساكسونيا أعلن بعد حدوث اضطرابات كبيرة عن قيام نظام دستوري عصري على أساس التمثيل الطبقي وكذلك حدث في هانوفر ،ومن جانب آخر انتشرت الكتابات الليبرالية لمؤلفين كان لهم شعبية كبيرة أمثال الأستاذ الجامعي فيلكر[٢] (K.Welcker) الذي كان أول من دعا إلى إنشاء برلمان لاتحاد الكونفدرالية الألمانية ،والذي عد من أهم المطالب الشعبية خلال تلك المرحلة ،وبقي السؤال الذي أثارته موجة الاستياء العام بعد الثورة مطروحا حتى آذار ١٨٤٨م:هل ينبغي تحطيم النظام المتبلد بالثورة أم من خلال الإصلاح[٣] .

اصطبغت فترة الثلاثينات من القرن التاسع عشر في ألمانيا بثورة تموز الفرنسية ومهرجان همباخ (Hambach Festival) في أيار ١٨٣٢م،التي صبت في المسيرة الطويلة لبلورة الأهداف الليبرالية في التحول السلمي للدولة والمجتمع بطريقة أمكن من خلالها التعاون ما بين الليبراليين والإصلاحيين ،فقد مثلت هذه الأحداث فرصة جديدة لمترنيخ لإعادة سيطرته وفرضها على دول الكونفدرالية الألمانية ،والتي استكملت النواقص من قوانين كارلزباد من خلال ما يعرف بالفقرات الستة في٢٨ أيار ١٨٣٢م ،والمواد العشر في الخامس من حزيران ١٨٣٢م ،وحددت هذه المواد الجديدة حقوق مجلس الكونفدرالية "الرايخستاج" في الدول الدستورية ،والتي كانت أكثر تحديدا لسلطات هذه الدول في ممارسة إرادتها السياسية ،حيث حظر على كافة الدول الألمانية السماح بإنشاء التنظيمات السياسية ،والاجتماعات العامة والاحتفالات والمهرجانات ،كما أكدت

---

[١] شكري ،**الصراع بين البرجوازية والإقطاع** ، مج٣،ص٣٣-٤٥؛ فالنتين ،**تاريخ الألمان**،ص٢٨٢.

[٢] كارل ثيودور جورج فيلكر (Karl Theodor Georg Philipp Welcker ١٧٩٠-١٨٦٩م ،كاتب وسياسي ليبرالي درس القانون والعلوم السياسية له العديد من المؤلفات، وكان أبرز المعارضين لأفكار الثورة الفرنسية ومن المحرضين الرئيسيين لمقاومة الاحتلال الفرنسي ،وكان أستاذا في جامعة كيل (Kiel) وبعد أحداث ثورة آذار ١٨٤٨م ، كان عضوا في البرلمان التحضيري و برلمان فرانكفورت.لمزيد من المعلومات انظر:

Friedrich von Weech ,**Karl Theodor Georg Philipp Welcker**. (ADB). Band. 41.1896, S. 660–665.

[٣] فالنتين ،**تاريخ الألمان**،ص٢٨٢؛ Brandt, **Liberalismus**, S. 146–147.

هـذه القـوانين علـى إلـزام كافـة الـدول فـي الكونفدراليـة بالخضـوع التـام للقـوانين والاتفاقـات الموقعـة،ودعم الحكـام الألمـان فـي حـل مجـالس الطبقـات كحـق أساسـي مكفـول مـن مجلـس الكونفدرالية في حالة الاضطرابات السياسية(١) .

كـان اجتمـاع مهرجـان همبـاخ تجمـع شـعبي كبيـر،والمنظم للمهرجـان القـادة الراديكـاليون المحليون أمثال يوهان اوجست فيرت(٢) (Johann August Wirth) ١٧٩٨-١٨٤٨م الصحفي الراديكالي الديمقراطي ،وعدّ أحد أبرز الداعمين لأفكار الاتحاد الطلابي ،والجمهوري زيبنبفايفر(٣) (Siebenpfeiffer) ١٧٨٩-١٨٤٥م وبـاول اكتيـوس بفيتسـر(٤) (P.A.Pfizer) ١٨٠١-١٨٦٧م، وحضر الاجتماع حوالي (٢٥) ألف شخص من ضمنهم بعض الفرنسيين ، وبعض المهاجرين البولنديين بعد أحداث شتاء ١٨٣١م والذين حظوا بترحيب الألمان أثناء مرورهم عبر البلاد ،كما حضـره بعض الطلبـة مـن الاتحـاد الطلابـي المحظـور والـذين شـجعتهم ثـورة تمـوز ١٨٣٠م علـى تنظيم أنفسهم من جديد والذين أكدوا في اجتماعات فروع فرانكفورت وشتوتغارت(Stuttgart) بمناسـبة العيـد السـنوي لظهـور الحركـة١٨٣١م ، -أكـدوا- علـى أهميـة المشـاركة فـي الحركـات الشعبية ،المهرجان كان مختلفا عن مهرجان الطلبة في فارتبيرج (Wartburg)،فبدلا من الحديث عن الماضـي المسيحي الألمـاني طـالبوا بدولـة ألمانيـة حرة علـى نمط الدولـة الفرنسية والبلجيكية

---

(1) **Protokolle der Bundesversammlung1832**, Die Sechs Artikel (28. Juni 1832) und die zehn Artikel (5. Juli 1832). 24 Sitzung.

(٢) اوجست فيرت :من ابرز اليساريين الألمان أكد دائما في كتاباته على الحقوق الأساسية للشعب الألماني وناقد لاذع للسلطات المطلقة وأنظمة الحكم الرجعية ،وقد عرضته مثل هذه الأفكار إلى السجن أكثر من مرة وخاصة قي أعقاب مهرجان همباخ ١٨٣٢م.كان عضوا في البرلمان التمهيدي وعضوا في برلمان فرانكفورت حيث توفي أثناء انعقاد البرلمان في تموز ١٨٤٨م.لمزيد من المعلومات انظر:

Max Mentheim, **Johann Georg August Wirth**, (ADB). Band. 43 , 1898, S. 531-533.

(٣) هو فيليب يعقوب زيبنبفايفير(**Philipp Jakob Siebenpfeiffer**) من عائلة فقيرة نشأ يتيما ،درس القانون في جامعة فرايبورج (Frieburg) ليبرالي يساري جمهوري ،نظم مع فيرت مهرجان همباخ ،ومن مؤسسي جمعية الدفاع عن الصحفيين الألمان (**Deutscher Press und Vaterlandsverein**) التي وصل أعضائها خلال الأربعينات إلى خمسة آلاف عضو ،وكان دائما رافعا لشعار حرية الصحافة وضد السلطات الاستبدادية .

Warth,Johan August **Das National fest deutschen zu Hambach** .Neustadt ,Phiipp Christmann,1832 , Reprent:Meininger,1981;Theodor JuliusNey**, Philipp Jakob Siebenpfeiffer**.in: (ADB). Band 34. 1892, S. 176 ff.

(٤) سياسي راديكالي فيلسوف وصحفي وقانوني من فورتمبيرج ،كان عضوا في البرلمان التمهيدي وعضوا في برلمان فرانكفورت.وعمل وزيرا للثقافة في الحكومة التي نتجت عن برلمان فرانكفورت،وما بين ١٨٥١-١٨٥٨م عمل مستشارا في محكمة فورتمبورج.

Theodor Schott,**Paul Achatius Pfizer**(ADB). Band 25. 1887, S. 668–677.

،البعض الآخر من المتحدثين طالب بقيام جمهورية ألمانية تستند إلى الإرادة الشعبية وطرحت أفكارا أكدت على الدعم الكامل للمسألة البولندية ،وفكرة إقامة اتحاد الولايات الأوروبية(١).

ولعل ابرز المتحدثين كان فيرت والذي دعا في خطابه في المهرجان إلى الإطاحة بالأنظمة الملكية ،والى إنشاء المؤسسات الديمقراطية والتقارب بين الأمم الديمقراطية ،وأضاف :" ألمانيا غنية وعظيمة...يجب أن تأخذ دورها الطليعي لتصبح مصدرا للإشعاع والحرية...وفقر شعوبنا نتيجة إقرار الحلف المقدس بعد تسوية فينا...التي عززت الرجعية والارستقراطية..."(٢)، من جانب آخر أضاف زيبنبفايفر :"سيأتي يوم تقف فيه ألمانيا بكل مهابتها على المنصة البرونزية التي تمثل الحرية والعدالة ،وهي تحمل في إحدى يديها شعلة التنوير وتحمل في الأخرى ميزان العدل بين الناس ،وسيأتي إليها الناس لتسوية ما بينهم من خلاف ،وهم أنفسهم الناس الذين يؤكدون لنا الآن أن القوة هي الحق ،وهم الذين يركلوننا بأحذية الاحتقار والازدراء..."(٣)، وقال بفيتسر :"للدخول في روح العصر ولتغيير البيئة التي تجعل من كونفدرالية الأمراء فيدرالية الشعب والى دولة فيدرالية واحدة...يجب أن يكون هناك برلمان تمثيلي واحد للأمة الألمانية...وعندما تدرك بروسيا منافعها الألمانية...وتعود إلى النور والحق والى مبادئ شتاين وهاردنبيرج...يكون الرايخستاج تحت العرش البروسي...هل بناء بيتنا كبيت الرجال الأحرار جريمة ،سيأتي اليوم الذي يكون فيه الألمان من الالبه إلى بحر الشمال ومن الراين والدانوب ،يلتقون فيه كإخوان...عندما تلغى الحدود والجمارك...".(٤)

تقدمت الرجعية من جديد بفرض قوانين أيار وتموز ١٨٣٢م، وملاحقة الطلبة وسياسة الاعتقال الجماعي ومراقبة الأساتذة الجامعيين ،وجاءت الفرصة بحادث نيسان في فرانكفورت حيث قام عدد من الطلبة بالاستيلاء على مبنى البرلمان في فرانكفورت على أمل حله ،إلاّ أن المحاولة فشلت وتشكلت محكمة لملاحقة الطلبة وملاحقة المشبوهين سياسيا ،وعمل مترينخ على استخدام كافة الوسائل لقمع أي حركة أو تنظيم سياسي يحاول أن يستغل الكيانات الدستورية للتعبير عن نفسه ،وأكدت القوانين السابقة على أن أي مجلس من مجالس الطبقات يعارض هذه القوانين يصبح معرّضا للحل ،فاشتدت الرقابة على الصحف والمجلات وتقلص عدد الصحف بشكل كبير ،وخضع التسجيل بالجامعات للرقابة وخضعت ممارسة مهنة التدريس في الجامعات

---

(1) Keil,**Die Burschenschaftlichen Wartburgfeste**.S.22-23; Carr, **A History of Germany**.p.28.

(2)Warth,Johan August **Das National fest deutschen zu Hambach** ,Neustadt ,Phiipp Christmann, 1832, Reprent : Meininger,1981, S.41-43.

(٣) Siebenpfeiffer عند :هوبزباوم،**عصر الثورة**،ص٢٥٧.

(4) P.A.Pfizer,in:Legee, **Rhyme and Revolution in Germany**.pp.108-109.

إلى الموافقة المسبقة من مجلس الرايخستاج الألماني ،وقد بقيت هذه القوانين مسيطرة على الحياة العامة في ألمانيا حتى ثورة ١٨٤٨م[١].

وخلاصة القول بدأت الأفكار الليبرالية تتبلور في العديد من المؤسسات التمثيلية بخاصة في جنوب ألمانيا وبعض المقاطعات البروسية ،فبعد سنة ١٨٤٠م بدأ الليبراليون ينظمون أنفسهم على صعيد البرلمانات المحلية ،والتي تشكلت بداية من الأكاديميين وأساتذة الجامعات والمحامين والموظفين الحكوميين المدنيين ،والذين لعبوا دورا مسيطرا في هذه التجمعات ،يضاف لهم المهنيون في أكثر المناطق الصناعية تطورا مثل منطقة الراين وساكسونيا، حيث كانت مثل هذه الصبغة طاغية حتى قيل أن برلمان فرانكفورت هو برلمان الأساتذة والمحامين[٢].

ومن الجدير بالذكر أنه خلال هذه المرحلة ظهرت بعض التنظيمات السياسية والتي كانت أقرب ما تكون إلى الحراك الثقافي منها إلى التنظيم السياسي ولعل أبرزها الهيغليون اليساريون أو بعض الجماعات الاشتراكية المثالية أو التعاونية ،دون أن يكون لمثل هذه الأحزاب أي اثر على مجرى الاحداث أو في فعاليات ونشاط برلمان فرانكفورت .

---

(1) Keil,**Die Burschenschaftlichen Wartburgfeste**.S.23;Carr,**A History of Germany**.p.28;

فالنتين ،**تاريخ الألمان**،ص٢٨٤-٢٨٥.

(2) Brandt, **Liberalismus**. S. 148.

الفصل الثاني:

التحولات الاقتصادية والاجتماعية من الثورة الصناعية إلى ثورة ١٨٤٨م.

الفصل الثاني: التحولات الاقتصادية والاجتماعية من الثورة الصناعية إلى ثورة ١٨٤٨م.

٢-١. الثورة الصناعية:

تعد الثورة الصناعية[١] نقطة تحول كبرى على مستوى التاريخ العالمي والأوروبي بشكل خاص ،فقد دخل الاقتصاد في مرحلة ما يطلق عليه علماء الاقتصاد "الانطلاق في نمو مستدام ذاتيا ". كانت عملية الانطلاق والتسارع واضحة للعيان بحيث يمكن اعتبار الثلث الأخير من القرن الثامن عشر نقطة الانطلاق للتحول في عناصر الإنتاج وبنيته ،والتي بدأت في بريطانيا كثورة تقنية لبعض الحرفيين الأذكياء الذين كانوا يجرون التجارب في مشاغلهم الخاصة[٢].

وقد شجعت حاجات الأسواق العالمية "ما وراء البحار" على النمو الواسع للصناعة وزادت من التخصص وعمليات تقسيم العمل ،كما ظهرت العديد من الموانئ الكبرى في القارة الأوروبية نتيجة السيطرة على التجارة البحرية ونمو التجارة مع المستعمرات ،حيث تطورت في هذه الموانئ صناعات السفن وصناعة السكر والتبغ والصناعات الزجاجية وصناعة الحبال وصناعة الغزل والمنسوجات وتجارة العبيد للعمل في هذه المصانع[٣].

التوسع الصناعي في القرن الثامن عشر لم يؤد مباشرة إلى ثورة صناعية ؛أي خلق نظام تصنيع يعتمد على الآلة ذو إنتاج كبير بكلفة متناقصة قادر على خلق السوق الخاصة به ، فقد انطلقت الثورة الصناعية في المقام الأول من صناعة القطن ،إذ كانت الصناعة البريطانية الوحيدة التي ساد فيها استخدام نظام المصنع حتى ثلاثينيات القرن التاسع عشر ،ولم تبلغ

---

[١] أول من استخدم مصطلح الثورة الصناعية أدولف بلاوكي (Adolph Blauqui) سنة١٨٣٩م. البرعي، احمد ، **الثورة الصناعية وآثارها الاجتماعية والقانونية.** دار الفكر العربي،القاهرة ، ١٩٨٢.ص٩.كما استخدم كارل ماركس(Karl Marx) المصطلح في كتابه رأس المال فهو يذكر:"وهذه الآلة التي أحدثت هذه الضجة... كانت إيذانا بالثورة الصناعية التي حدثت في القرن الثامن عشر". ماركس، كارل،**رأس المال** ،مج١، ط٣، ترجمة راشد البرواي، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،١٩٧٠.ص ٤٠٠.وعمم المصطلح على يد الاقتصادي الانجليزي أرنولد توينبي(Arnold Toynbee) الأب بعد نشر كتابه محاضرات في الثورة الصناعية ،١٨٨٤م. لمزيد من المعلومات انظر:

Toynbee, Arnold , **Lectures on the Industrial Revolution in England**. London ,1884.

[٢] هوبز باوم ،**عصر الثورة** ،**ص**٨٠-٨١؛ بيرريو، جان ، **الثورة الصناعية ١٧٨٠-١٨٨٠**،ترجمة إبراهيم خوري، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ،١٩٧٥.ص ٧-٨.

[3] Wars,Crouzet Francois, **Blockade and Economic Change in Europe 1792-1815**, The Journal of Economic History ,Vol. 24,Nr 4.Economic History Association , Cambridge University Press, 1964, pp. 567-588, p. 568.

الصناعات الأخرى مستوى العمالة المباشرة في صناعة القطن التي كان عدد العاملين بها عام ١٨٣٣م مليونا ونصفا من العمال في بريطانيا[١].

تمثلت الثورة الصناعية في عدة صور بدءا بتحرر قوى الإنتاج البشري ،إذ تطور النظام الاقتصادي على نحو سمح بتعدد الوظائف والبضائع والخدمات بشكل لم يسبق له مثيل،وبدأ الإنسان يهاجر من القرى إلى المدن الكبرى،ومن المصانع المنزلية والصناعات العائلية إلى المراكز الصناعية ،وبدأت تتضح معالم اجتماعية رافقت عملية التحول الصناعي بظهور طبقة عمالية وطبقة برجوازية ،وبرز معها مشكلات اجتماعية جديدة نظرا للانتقال إلى الاقتصاد الجديد مما أدى إلى حالة من البؤس والسخط وهما عنصر الثورة الاجتماعية ،فلم يقتصر التذمر على الفقراء الكادحين من العمال بل شمل صغار رجال الأعمال ،وصغار البرجوازيين ،وقطاعا كبيرا من المزارعين .فقد شعر هؤلاء بأنهم مستغلين من قبل أصحاب المصانع والإقطاعيين[٢].

كانت ألمانيا بعيدة كل البعد عن هذه التطورات الصناعية ،فكما رأينا في الفصل الأول كانت الإمبراطورية الرومانية المقدسة قد فقدت سيطرتها وقوتها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ،وظهرت على حسابها مجموعة من الإمارات الإقطاعية المستقلة القائمة بالدرجة الأولى على الاقتصاد الزراعي ،دون أن يكون للثورة الصناعية تأثير واضح في تغيير أساليب الإنتاج الزراعي التقليدي ،فألمانيا كانت بلدا متأخرا من الناحية الاقتصادية ،فلم تكن بها سوى صناعات تقليدية بدائية تحكمها التنظيمات التي كانت تسير عليها النقابات الطائفية في العصور الوسطى في ظل وجود النظم المعوقة للاتجار والتجارة ،وسارت كل دولة من الدول الألمانية مفردة في سلسلة من التوجهات الاقتصادية الأحادية البعيدة كل البعد عن الأخرى[٣].

ولعل هذا التأخر الاقتصادي يعود بصورة بنيوية إلى التوزيع والتركيب السكاني في ألمانيا ،إذ بلغ عدد سكان ألمانيا عام ١٨٠٠م حوالي (٢٤)مليون نسمة،(٨٠%) منهم كان يعيش في المجتمعات الريفية حيث ساد النظام الإقطاعي (Feudalismus) – والكلمة من أصل لاتيني (Feudum) يدل على إقطاعية أو منطقة نفوذ– حيث اقترن امتلاك الأرض والتسلط على

---

[١]هوبز باوم ، **عصر الثورة** ، ص٨٦,٩٤-٩٦.

[2] Rainer Koch, **Industriesystem oder bürgerliche Gesellschaft** , Geschichte in Wissenschaft und Unterricht, 39, Sonderdrucke aus der Albert-Ludwigs-Universität Freiburg ,1978.S. 605 – 628.S.606; هوبز باوم ،**عصر الثورة** ، ص ٩٧-٩٨؛ البرعي، **الثورة الصناعية** ،ص٩-١٠.

[3] Koch, **Industriesystem oder bürgerliche Gesellschaft,** S.607; رول، اريك ،**تاريخ الفكر الاقتصادي** ،ترجمة راشد البرادي ،القاهرة ،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٨م.ص٢٠٥.

من يكون بتلك الأرض من الناس ،وبتوريث الإقطاعية للابن البكر ،ووجود علاقة ثابتة بين السيد والتابع قوامها تعاهد مشترك والتزامات متبادلة،وللمجتمع الإقطاعي بنية هرمية خلال عصر الإمبراطورية الرومانية المقدسة رأسها الإمبراطور أو الملك تليه طبقة النبلاء التي تشمل الأمراء و اللوردات أو الأمير (Reichsgraf) وكبار الملاكين (Junkers) ثم الأساقفة وقاعدتها الفلاحون الاقنان[١].

كان النبلاء والكنيسة يملكون المساحات الكبرى على شكل إمارات مستقلة إلى ملكيات متواضعة وتمتع هؤلاء بامتيازات هامة ،حيث احتكروا المناصب الرفيعة في الحكومة والجيش . وفي القرن التاسع عشر توسعت دائرة النبلاء بانضمام بعض أبناء الطبقة العليا من البرجوازية الذين ملكوا مساحات واسعة من الأرض ،وشغلوا وظائف كبرى وحصلوا على الألقاب.بينما كان الفلاحون يملكون الأراضي غير الصالحة للزراعة ويعيشون على خط الفقر،وكانت ظروفهم المعيشية تعيسة وخاصة في منطقة شرق نهر الالبه حيث كانت القنانة منتشرة ،ولكن حتى في المناطق الغربية حيث تم إلغاء نظام القنانة وصار الفلاحون أحرار ،إلا أنهم كانوا مرتبطين بملاك الأراضي بصورة الرعايا الملتزمين بدفع رسوم المقاسمة والالتزام بالعمل لديهم بالإضافة إلى التزامهم بدفع الضرائب ودعم الابراشيات والمجالس القروية[٢].

كان التقسيم الطبقي هو النسق الاجتماعي المقبول اجتماعيا في ألمانيا ،فقلما يحصل الشخص على لقب من ألقاب النبالة إلاّ بالميراث ،فالطبقة الارستقراطية الألمانية احتفظت بكل المكتسبات الاقتصادية في حين عانت طبقة عامة الناس من أوضاع اقتصادية مروعة .وظهرت بوادر انفراج للطبقات المسحوقة بظهور بعض النخب الجديدة ،نتيجة إصلاح النظام التعليمي حيث وجد المتعلمون فرصا جيدة للعمل داخل الإدارات الحكومية في مختلف الدول الألمانية وأخذت بالبحث عن دور لها في نظام طبقي صارم ،وقد عزز دورها الحاجة الملحة إلى الإصلاح وخاصة في ظل انتصار الفكر الثوري في فرنسا[٣].

---

(١) لمزيد من المعلومات حول النظام الإقطاعي في أوروبا في العصور الوسطى انظر :الموسوعة العربية، مج ١٣:التاريخ والجغرافيا والآثار،تحت عنوان:"**الإقطاعية**" دار الفكر دمشق،١٩٨١م ؛ ديفز، هـ.و،**أوروبا في العصور الوسطى**، ترجمة عبد الحميد حمدي محمود، الإسكندرية،١٩٨٥.؛ كوبلاند ج.و. ، ب.؛ فينوجرادوف ،**الإقطاع والعصور الوسطى في غرب أوروبا**، ترجمة محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٨٥.

Wandruszka, Adam, **The House of Habsburg: Six Hundred Years of a European Dynasty**. Doubleday, 1964 ,re: Greenwood Press ,New York 1975.

(2) Grab, **Napoleon and the transformation of Europe**,pp.85-86; Wandruszka, **The House of Habsburg** ,pp.122-123.

(3) Fehrenbach, **Rheinischer Liberalismus** .S. 272 – 273.

فقد كان واضحا أن استمرار النظام الإقطاعي وسلطة الأمراء الإقطاعيين في الدول الألمانية الوسطى والشرقية أبطأ من نهوض طبقة رجال الأعمال والمستثمرين الصناعيين التي كان يمكن لها أن تزدهر في ظل الحوافز المتاحة في الاقتصاد الحر ،وبخاصة في ظل ضعف الاستثمار بالموارد الطبيعية ،مما كان يمكن أن يتيح للصناعة الاستفادة من الفحم والمعادن المتوفرة بكثرة في الأرض الألمانية ،والتي كانت لا تزال أرضا بكرا .فبرغم وجود انهار الراين (Rhine) الالبه (Elbe) ،أودر (Oder) والفستولا (Vistula) والتي استخدمت في التجارة على نطاق واسع ،إلاّ أن حالها حال الطرق البرية التي كانت تربط الإمارات الألمانية فهي قصيرة قليلة غير معتنى بها ،وفرض على استخدامها ضريبة مرور ،وقطعها اللصوص وقطاع الطرق. وكانت معوقات التجارة تتمثل أيضا بالقيود التي فرضتها الروابط (التكتلات) التجارية والصناعية، والضرائب الباهظة واختلاف المقاييس والمكاييل والموازين والعملة والقوانين من دولة إلى أخرى[١].

دخل الألمان في معارك أيديولوجية كانت قد حسمت في مواقع أخرى من أوروبا في فترة مبكرة حول أسباب التخلف والضعف الذي وصلت إليه بلادهم وخاصة خلال مرحلة الاحتلال الفرنسي،فبالرغم من الأثر الفلسفي الألماني الكبير على أوروبا بظهور فلاسفة أمثال: كانت ،فيخته ،شيلنج وهيجل ،حيث عملوا على معالجة القضايا الرئيسة في الفكر الاجتماعي المقارن وعلاقة الفرد مع المجتمع ودور الدولة في الاقتصاد،الذين أكدوا على أن تدخل الدولة وسيطرتها على الاقتصاد لصالح المنفعة العامة ضرورة من أجل معالجة المشكلات الاجتماعية . مثل هذه الكتابات كانت تعالج المشكلات نظريا "فكريا "،دون أن يكون لها اتصال بالواقع الحقيقي المتعلق بالدور الكامل لتطور المجتمع البرجوازي[٢].

كان الخطأ الذي وقعوا فيه عدم قدرتهم عن الانسلاخ من نظرتهم البرجوازية كما يرى ماركس ،فقد لامس الحقيقة عندما قال بأن فلسفة هيجل وصلت إلى نهايتها ،وأكد بأن ظهور البروليتاريا الألمانية بظروفها واطر الصراع الجديدة التي أنتجتها الطبيعة الاقتصادية هي وريث الفلسفة الكلاسيكية الألمانية وهي نتاج لتطورها ،فالفلسفة الحقيقية هي فلسفة البروليتاريا أيّ الصراع القادم هو الصراع ما بين البرجوازية والبرولتاريا ،وأن حقيقة البروليتاريا هي بالفلسفة[٣].

---

[١] ديورنت ،**قصة الحضارة** ،ص١٢٦-١٢٧؛ فالنتين،**تاريخ الألمان**،ص١٣-١٤.

[2] James, C, **Germany and European Civilization, The New International Contents by Issue**, (April 1940 – December 1946) Volume VI, Number 3, November 1944.New International Publishing Company. New York. pp .357-361;. رول ،**تاريخ الفكر الاقتصادي**، ص٢٠٥.

[٣] انجلز،**لودفيغ فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية** .ج٤، ص٧-٩.

تحولت أنظار هؤلاء المفكرين صوب منافسيهم الناجحين البريطانيين والفرنسيين وأساليبهم ،على أمل إيجاد حلول يمكن محاكاتها بنجاح .وبتأثير من النظريات الاقتصادية الانجليزية والسياسية الفرنسية بدأت الطبقة الناشئة من رجال الأعمال الألمان التعبير عن مصالحها بادعائها أنها تمثل مصالح المجتمع بكليته،وظهرت حركة إصلاحية تحالفت مع الحركة الليبرالية ووجدت عونا قويا في الفكرة القومية التي من خلالها كانت قادرة على تنفيذ برامجها في الإصلاح السياسي و تنفيذ ليبرالية اقتصادية تعبر عن مصالح الطبقة البرجوازية،فمحاولة رفع ألمانيا إلى مستوى جيرانها كان عاملا أساسيا في تطور الفكرة القومية لدى الألمان[١].

أحدثت البدايات الأولى لعمليات التصنيع مواقف متباينة من الآلة ،فالارستقراطية الألمانية رأت في التصنيع فرصة في سبيل التقدم ولكنها في نفس الوقت لا ترغب في إحداث التغيرات التي من شأنها أن تعمل على إقامة تصنيع حقيقي ،وأعلن ابرز الاقتصاديين السياسيين في الفترة الرومانسية آدم مولر (Adam Heinrich Müller) ١٧٧٩-١٨٢٩م أنه لا يوجد أي ضرر من التصنيع إذا كانت البلاد سوف تلحق ببريطانيا ،إلا انه ناقش الطرق الكفيلة بإبعاد التغيرات التي أحدثتها الثورة الصناعية على المجتمع وضرورة معالجتها وربط ما بين ضرورة إحداث التغيرات السياسية والدستورية مع التغيرات الاقتصادية [٢].

من جانب آخر فرانتس فون بادر (Franz von Baader) ١٧٦٠-١٨٤١م،أحد ابرز رجالات الدولة في بافاريا وصاحب مصنع للزجاج ،وأحد المفكرين المحافظين الذين دافعوا عن النظام الاجتماعي القديم بتقسيماته الارستقراطية ،كان قد لاحظ أثر الصناعة على المجتمع خلال رحلته إلى انجلترا ما بين ١٧٩١-١٧٩٦م ،ولكنه على عكس مولر اعتقد بأهمية التكنولوجيا لتطوير المجتمع بشكل عام ،فكل أداة تكنولوجية جديدة تجلب معها تحول اجتماعي وتوترات جديدة ،ولكنها استنادا لبادر يجب أن لا تترك للأفراد ليديروها بطريقتهم الخاصة ولكنها يجب أن تنظم من قبل الدولة.لقد دعا إلى إنشاء وكالات تجارية حكومية لتمنع الآثار المحتملة للتصنيع والمخترعات الجديدة على المجتمع ،ليس فقط من جانب اقتصادي بل من الجانب الاجتماعي لها ،وعدم استخدامها عند عرضها أو إنتاجها ،بل يجب رؤية الأضرار الاجتماعية الناتجة عنها في حالة استخدامها ،وأنه على الدولة أن تقوم بالمشاريع الاقتصادية الكبرى مثل شق الطرق وبناء المناجم والتي تعود فائدتها على الأمة .بشكل عام يجب على الدولة أن تحول

---

[١] رول ، **تاريخ الفكر الاقتصادي** ، ص٢٠٥.

[2] Lente, Dick van, **The Critique Of Industrial Technology in the Netherlands and other Western Countries in the Nineteenth Century.** Erasmus University, Rotterdam, 2003.p.57; Fehrenbach, **Rheinischer Liberalismus**, S. 274.

دون أن تؤثر بعض المكاسب الاقتصادية لهذه المخترعات على المجتمع بشكل سلبي ،وأن هذه المصنوعات ذات آثار ايجابية[١].

لم يكن المحافظون أو الكتاب الرومانسيون أو الحرفيون أو العمال ضد التكنولوجيا الجديدة ،فقد كانت هناك استجابات متباينة لكل هذه الجماعات ،فالكتاب الرومانسيون خارج بريطانيا لم يبدوا أي اهتمام يذكر في التكنولوجيا الجديدة أو الصناعة ،والسبب يعود إلى أن تأثيرات الثورة الصناعية الرومانسية التي وقعت في انجلترا ولم تصل إلى تلك المناطق في تلك الفترة ،بالمقابل كتب بعض الكتاب الرومانسيين بإعجاب عن الصناعة والآلات ،فالكاتب الألماني شلايرماخر (Schleiermacher)على سبيل المثال تنبأ بأن الآلة سوف تنقذ الإنسان من الأعمال الشاقة ، ليكرس نفسه لمهام أكبر .البعض الآخر كان مسحورا بالمشهد ، فأصبحت صور صهر المعادن و القوى البخارية:التحدي والإعجاب بالقوة ،الدخان والنار في حركة الآلات –أصبحت– من الأفكار الرائجة في الكتابات الأدبية[٢].

إنتاج الآلات ولد مشاعر الخوف والاستياء في العديد من الأوقات والأماكن ،ولكن هذه المشاعر يمكن أن تتطور إلى قوى سياسية فاعلة ،إذ ارتكزت إلى نوع من النظريات أو الأيديولوجية ،والتي تظهر الآثار الاجتماعية الواسعة للمخترعات التكنولوجية ،وجعل الانتقادات الموجهة إليها تستند على قاعدة اجتماعية واسعة ،وليس على المخاوف الوقتية .فقوة مقاومة النساجين على سبيل المثال جاءت من اصطدام مصالحهم مع الارستقراطية ،ومن حقيقة كونهم يدافعون عن النظام الاجتماعي الجديد ضد القوى المحافظة[٣].

في الواقع لقد أخرت تلك المخاوف والتباينات الآثار الايجابية للتطور البرجوازي الحديث ،ففي مطلع الأزمنة الحديثة انتظمت الشعوب الأوروبية قي دول حلت محل دول التجزؤ الإقطاعي ،فقد تشكّل في كل منها اقتصاد ذو طابع قومي وحّد وحصّن الشعب بأسره،رغم الفروق الطبقية بينها،فتخلف الدول الإقليمية في ألمانيا هو نتيجة محافظتها على كل ما هو بائس في أشكال الانتقال بين العصر الوسيط والأزمنة الحديثة ،فقد تحولت الدول الإقطاعية القديمة إلى دول مطلقة ،ليس لها الوجه التقدمي للحكم المطلق ،الذي يساعد البرجوازية على التوطن؛ فاستغلال الفلاحين ازداد قسوة بحيث شكل جيشا من المتشردين وعناصر كبيرة من

---

[1] Lente, **The Critique Of Industrial Technollogy**,pp.57-58.

[2] Mommsen, Wolfgang. J, **Der deutsche Liberalismus zwischen klassenloser Bürgergesell schaft und organisiertem Kapitalismus,** Geschichte und Gesellschaft 4, Stuttgart ,1978. S. 77-90.S.81

[3] Mommsen, **Der deutsche Liberalismus**.S.84-85

العناصر المقتلعة الجذور اجتماعيا،فإذا كانت الكالفينية[١](John Calvin) قد أدت إلى صعود الأيديولوجيا الرأسمالية في هولندا وانجلترا،فإن اللوثرية ما إن انتصرت حتى سعت إلى تبرير الخضوع لاستبدادية الدول والى إعارتها لباسها الديني ،مانحة خلفية فلسفية وأساسا خلقيا لتأخر البلاد الاقتصادي والاجتماعي[٢].

٢-٢: أثر الحكم الفرنسي اقتصاديا على ألمانيا ١٧٩٣-١٨١٥م.

اعتبرت الثورة الفرنسية وحكم نابليون - لاحقا- عاملا حاسما في التاريخ الألماني،ففي منطقة الراين التي ألحقت اقتصاديا وسياسيا بفرنسا وطبقت عليها القوانين الاقتصادية الفرنسية، حيث قاموا بإلغاء نظام الإقطاع بعد الثورة مباشرة ، كما رافقها إلغاء إقطاعيات كبيرة لبعض الارستقراطيين الألمان داخل فرنسا وكامل الإقطاع في منطقة الراين[٣].وخلال الحكم الفرنسي لألمانيا (٦٠%) تقريبا من سكانها غيروا حكامهم،ولامس التغيير ليس فقط النظام السياسي وإنما النظام الاقتصادي والاجتماعي ،وكان على الألمان خلال الحكم الفرنسي أن يقدموا الدعم الكامل ماديا ومعنويا للفرنسيين ،فبعد هزيمة النمسا في معركة مارينجو (Marengo) ١٨٠١م، أصدرت الإمبراطورية الرومانية المقدسة مرسوما في ٢٥ شباط ١٨٠٣م أهم ما تضمنه من الناحية الاقتصادية عزل كل الأساقفة تقريبا من حكم وحداتهم ،وعلمنة أراضي الكنيسة .وبعد حل الإمبراطورية الرومانية المقدسة وإقرار نظام كونفدرالية الراين ١٨٠٦م تم تطبيق مدونة نابليون القانونية بما تضمنته من إلغاء للعوائد أو الرسوم الإقطاعية والأعشار الكنسية ،وتوحيد الضرائب ،ونظام المراجعة المحاسبية الدورية لكل الأنشطة الحكومية[٤].

اشتملت مدونة نابليون التي تعد من أقوى الأسانيد التي اعتمد عليها القائلون بأن لنابليون أياد بيضاء على البشرية ،خمس مجموعات تشريعية هي:القانون المدني ،قانون المرافعات المدني ،وقانون الإجراءات الجنائية وقانون العقوبات والقانون التجاري .وقد انحازت هذه القوانين إلى جانب تعزيز السلطة في الأسرة والدولة ،ومن جانب آخر قام نابليون بالإصلاحات الاقتصادية الأساسية فقد عمل على زعزعة النظام الإقطاعي ،وفتح مجال الحريات

---

[١] نسبة إلى جون كالفن ١٥٠٩-١٥٦٤م المصلح الديني الفرنسي، وأحد أتباع مارتن لوثر ،انتشر مذهبه بشكل رئيسي في هولندا وبريطانيا .لمزيد من المعلومات انظر :الكيالي،**الموسوعة السياسية**،ج٥،ص٥٠.

[٢] لوكاش، جورج ،**تحطم العقل** ،٣ أجزاء، ج١: **الظاهرة الدولية** ،**تاريخ ألمانيا** ،.ت:الياس مرقص،ط٢. دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت ،١٩٨٣م.ص٣٥.

[3] Biro, Sydney Seymour, **The German policy of revolutionary France: A study in French diplomacy during the war of the first coalition, 1792-1797**.MassU.P,Cambridge,1957.pp.39-40.

[4] Sorel ,**Europe and the French Revolution**,V1,p .121.

الاقتصادية أمام طبقة البرجوازيين ،وعمل على صيانة المجاري المائية والطرق وتحسينها ،و إلغاء تعرفة النقل ما بين مناطق الكونفدرالية ،وعمل على توحيد الموازين والمقاييس.ففي فيستفاليا صدر مرسوم في ٢٤ آذار ١٨٠٩م يحّمل كل وحدة إدارية مسئولية الفقراء في نطاقها سواء بتوظيفهم أو تقديم مساعدات الإعاشة لهم .وكان النظام الإقطاعي فيها قد غدا أثراً بعد عين إذ تطورت التجارة والصناعة حتى أصبحت الدوقية مركزا مزدهرا لاستخراج المعادن وصناعتها(١).

بالمقابل كتب شتاين مستشار الملك البروسي موضحا الحالة السيئة التي كانت عليها بروسيا والعديد من الدول الألمانية ،والتي يظهر فيه واضحا مدى تأثر الفكر الإصلاحي بنتائج الثورة الفرنسية: "الملايين من الأقنان لا أمل لهم في ظل عبوديتهم وسيطرة النبلاء"اليانكر".كم من الطاقات يمكن تفجيرها لتصب في خدمة الأمة ؟كم هو النشاط الذي سيشعرون به لو أنهم تحرروا من قيودهم ليعملوا في مشروعاتهم الحرة في الريف أو المدن ؟هذه المدن الغارقة في الكسل والخمول في ظل حكم اليانكرز الذين ينظرون نظرة احتقار واستعلاء إلى التجارة ويحكمون بنظرة بعيدة عن واقع الأمة من العاصمة .كيف يمكن لمثل هؤلاء أن يقوموا بتطوير الأعمال الصناعية والمالية، ويسمحوا بالتجريب والحرية؟ فرنسا في عهد الثورة حررت أقنان الأرض ووصلت إلى مرحلة الازدهار والقوة والسيطرة، فلم لا نحرر المدن والأقنان!" (٢).

كان قانون تمثيل الرايخ الرئيس (Reichsdeputationshauptschluss) ٢٥شباط ١٨٠٣ ،في مادته (٦٣) قد أكد على علمنة الأراضي الكنسية ،فوسعت جميع الدول الألمانية حدودها على حساب الأراضي الكنسية ،وقام موظفون حكوميون بإدارة أملاك الكنائس والأديرة والرهبان تم فصلهم وتحويلهم إلى مهن دينية أخرى .ومن جانب آخر توجهت إدارة نابليون والدول الألمانية الكبيرة والمتوسطة إلى المدن الحرة (Hansastädt) بهدف فرض ضرائب عليها مما تطلب إخضاعها سياسيا .لقد عنى ذلك تحطيم مؤسسات كانت منذ قرون مستقلة ،ففي حالة مدينة أوقسبيرج (Augesburg) على سبيل المثال وهي مدينة مستقلة ذات ماض اكليركي (ديني) وجدت نفسها بعد عام ١٨٠٣ م في حالة صراع مرير مع بافاريا ،حيث قامت بالسيطرة على الأراضي الخصبة التابعة لبيشوب أوقسبيرج ،وبعد ١٨٠٦م قامت باحتلال المدينة حيث قام الجيش بالعبث بالمدينة لعدة أيام وأخضعت للسيطرة البافارية(٣).

---

(1) Treitschke, **History of Germany**,p.55;. جرانت ،**أوروبا في القرنين**،ص١٨٩-١٩١.

(2) Stein in: Seeley, **Life and Times of Stein**, vol. 1,p.288.

(3) Hölzle,**Das Napoleonische Staatssystem** .S.285-286;Walker, **German Home Towns**,pp.210-211.

برزت أثناء تطبيق القوانين الفرنسية مشكلة التعامل مع أراضي الارستقراطية القديمة فقد عجزت الإدارة الفرنسية أو أنها لم ترغب بفرض الحل الذي قامت به بالتعامل مع أراضي الكنيسة ،فقد ذهبت أملاك الكونتات والفرسان والإقطاعيات المستقلة وشبه المستقلة بالكامل لحلفاء نابليون ،ولكن بقي هؤلاء كمجموعات لهم وضعهم الخاص وامتيازاتهم وحقوقهم التي تم تضمينها في اتفاقية كونفدرالية الراين ،بالتالي حافظوا على وضعهم الاجتماعي،فطبقة النبلاء "اليانكرز" استطاعت الاستمرار بعيدا عن الرقابة البيروقراطية وعدم دفع الضرائب .ومن جانب آخر تدبر النبلاء المحليّون أمرهم باستخدام نفوذهم في المحاكم ونفوذهم في الريف في مقاومتهم للسيطرة المركزية والإصلاح .وبقيت مدونة نابليون في بعض المناطق الألمانية حبرا على ورق فملك فورتمبرق على سبيل المثال ألغى الإقطاع ولكنه لم يلغ الحقوق الإقطاعية ؛فطبقة النبلاء خرجت من عهد الثورة والإصلاح خاسرة لاستقلالها الذاتي ولكنها احتفظت بمعظم ثروتها وبعض امتيازاتها ،حيث كانت على حساب الفلاحين ،فعند تطبيق مدونة نابليون على دوقية بادن لم يغير هذا الإعلان الوضع كثيرا بالنسبة للفلاحين ؛فقد عدّ الفلاحون قانونيا حائزين على الأرض دون أن يمس أو يحسن الأوضاع الحقيقية لهم(١).

وسعت البرجوازية في منطقة الراين ممتلكاتها بشراء نصف أملاك النبلاء والأراضي الكنسية التي عرضت للبيع بعد سنة ١٨٠٣م تقريبا .كما توسعت الصناعات التعدينية والنسيجية بشكل مطرد مع استفادة أصحابها من حرية وصول تجارتهم إلى السوق الفرنسية الكبيرة والحماية من البضائع البريطانية .استفاد الفلاحون من نظام الفصل ،وإلغاء العشور الكنسية واشترى بعضهم أرضا خاصة .وبالرغم من هذه المكتسبات،فقد دفع أهل الراين الثمن بضمهم إلى فرنسا،فالتعريفات الجديدة ربطتهم بباقي الاقتصاد الألماني القديم ،والشرطة السرية التي تم إنشاؤها فرضت عليهم الرقابة ومنعوا من حرية التعبير والحديث .وتم تجنيد أكثر من (٨٠) ألف من أهل الراين بالجيش الفرنسي ،أكثر من نصفهم لم يعودوا إلى بلادهم .وحلت اللغة الفرنسية محل اللغة الألمانية كلغة رسمية للدوائر الحكومية والتعليم .هذه المساوئ لم تواجه بمعارضة قوية في منطقة الراين ،فإلغاء الألقاب النبيلة ونظام الإدارة المركزية ومدونة نابليون وفر الاستقرار والرخاء لمنطقة الراين ،وجعل من حكم نابليون مقبولا من أغلبية السكان(٢).

بدأت تظهر مساوئ الحكم الفرنسي بطول المدة بتسخير الاقتصاد الألماني وزيادة المطالب الفرنسية خدمة للآلة الحربية الفرنسية التي استنزفت الموارد الألمانية سواء أكانوا حلفاء لنابليون أم لا ؛فالحلفاء كان عليهم تقديم المساعدة والطاعة والولاء،والأعداء الذين تم إخضاعهم

---

(1) Sheehan, **German History**,pp.269-271;Fehrenbach, **Traditionale Gesellschaft**.S.296.

(2) Grab, **Napoleon and the transformation of Europe**,p.91.

كان عليهم دفع التعويضات والإتاوات. فطريقة توظيف الإصلاحات في الدول الألمانية كانت شكلية بعيدة عن الواقع المرير الذي عاشه الفلاح ،ففي حين كانت الدول خارج المحيط الألماني تسير بخطوات كبيرة في الانتقال السياسي نحو مسؤولية الوزراء أمام أغلبية برلمانية ،وتزيح البناء الطبقي الموروث ليحل محله بناء طبقي آخر رأسمالي ،فالإعلان الملكي البروسي لسنة ١٨٠٨م والذي أزاح عن الفلاحين العديد من الالتزامات الثقيلة وأعطاهم الحق في ملكية الأرض وحق تعليم أبنائهم ،إلاّ أنه في الوقت نفسه أعطى السادة الحق المساوي في ذلك إذ كان لهم القدرة على تحسين أوضاعهم وامتيازاتهم بشكل أكبر من الذين استهدفهم المرسوم الملكي.كما قام نابليون بخلق طبقة من داعميه وأغدق عليهم الأراضي وقام بإعفائهم من الضرائب،ومنحهم العديد من الامتيازات[١].

حركة الإصلاح البروسية قدمت للفلاح ما يعادل الثلثين أو النصف من الأراضي التي كان يحرثها وتم تحريره من العمل القسري ،إلّا أنه رسميا سلبه الكثير من الميزات ومنها : مطالبته سيد الأرض بالمساعدة في الأوقات التي تقل فيها الغلال أو يتفشى فيها الوباء بين القطعان،وحقه في شراء أو جمع الحطب للوقود من غابات السيد ،وحقه في حالات الفقر المدقع في أن يطلب معونة السيد لدفع الضريبة ،وحقه في رعي ماشيته في غابات السيد، ويعتبر فقدانه هذه الحقوق بالضرورة سببا وجيها لبيع أرضه أو أن يتعرض للاستغلال من الجشعين والمرابين بدلا من السادة الإقطاعيين أو بالإضافة لهم .لقد تحول خوف الفلاحين من فقدانهم الأرض أو قناعتهم بما لديهم إلى إصابتهم بالخمول والكسل،إلى اعتقاد راسخ بان الأرض هي منحة من الملك أو السيد،ومعارضة ذالك هو مخالف لتعاليم المسيح ،وبالتالي تسبب ذلك بأن أصبحوا حلفاء للرجعية وخاصة في المناطق التي انتشر بها الرق والإقطاعيات الواسعة[٢].

٢-٢-٢.الحصار القارّي.

بعد فشل الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨-١٨٠١م ،وفشل معاهدة أميان تجددت الحرب بين بريطانيا وفرنسا ،وبدأ نابليون يعد نفسه لغزو بريطانيا ،ولكنه عدل عن ذلك نتيجة قيام تحالف بريطاني نمساوي روسي ،فتوجه بجيشه نحو النمساويين وهزمهم هزيمة نكراء في معركة اولم(Ulm) ١٨٠٥م ولكنه تلقى ضربة قوية في معركة الطرف الأغر في تشرين الثاني ١٨٠٥م ،حيث تم تدمير معظم الأسطول الفرنسي والاسباني في تلك المعركة ،وبعد هزيمة

---

[١] بروان ،جيفري ،**المدنية الأوروبية في القرن التاسع عشر ١٨١٥-١٩١٤م**.ترجمة محمد أحمد علي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ،١٩٦٦م.ص٢٣-٢٤؛

Fehrenbach, **Vom Ancien Régime zum Wiener Kongress**.S.290-295.

[٢]هوبز باوم،**عصر الثورة** ،ص٣٠١-٣٠٤.

بروسيا في معركة(ينا) أعلن نابليون بعد دخوله برلين في ٢١ تشرين أول ١٨٠٦م ما سمي بالحصار أو النظام القاري (Continental system) وهو عبارة عن مجموعة من المراسيم التي أصدرها نابليون ،والتي اتبعها بمراسيم ميلانو ١٨٠٧م ،والتي جاءت بهدف فرض حصار اقتصادي على بريطانيا ،والتي تضمنت الآتي[١]:

١.موافقة الدول في القارة الأوروبية سواء بالرضى أو الإكراه على وقف كافة أشكال التبادل التجاري مع بريطانيا وإغلاق جميع الموانئ في وجه البضائع والسفن البريطانية.

٢.استبدال البضائع المستوردة من بريطانيا بسلع وبضائع منتجة داخل القارة الأوروبية.

٣.تحقيق السلام البحري وضمان حرية البحار ؛بإجبار بريطانيا على القبول بذلك بهدم اقتصادهم وتحطيم بحريتهم من خلال تحالف كافة القوى البحرية الأوروبية.

ردت الحكومة البريطانية على ذلك بمراسيمها الملكية الصادرة ١٨٠٧م ،حيث اتهمت فيه فرنسا بالخروج على التقاليد الحربية ،وفرضت حصارا على الأراضي الفرنسية والأراضي التابعة لها وتمكنت البحرية البريطانية من عزل أوروبا الفرنسية عن التجارة مع بقية العالم؛وبالرغم من ذلك فقد أدت السياسة الفرنسية إلى تفشي البطالة وتعددت حالات الإفلاس . إلاّ أن تفوق البحرية البريطانية والآلات الحديثة والصناعات قد مكن بريطانيا من الاستمرار والتفوق ،لأن باقي الأسواق العالمية استمرت مفتوحة لها .وبالرغم من ذلك فقد سبب لها الحصار ضيقا كبيرا وتعرضت للخسارة والسلب،وكانت بريطانيا مجبرة على المشاركة في دعم الأطراف الوطنية وتمويل جهد كبير من الحرب ،وأعلنت أنها سوف تمول أي جهد ثوري ضد فرنسا ،فقامت على سبيل المثال بدعم الثورة الاسبانية بإرسال حملة قوامها (١٨) ألف جندي بريطاني سنة ١٨٠٨م[٢].

تطلب تحقيق هذه الأهداف تفهما كبيرا من الشعوب الخاضعة للسيطرة الفرنسية وتضحية كبيرة منهم ،وحرمان القارة الأوروبية من سلع أساسية تأتي من المستعمرات ،مما أدى إلى ارتفاع

---

[١] شكري ،**الصراع مابين البرجوازية والإقطاع** ،ص٩١؛قطان ،**تاريخ أوروبا السياسي والثقافي**،ص١٣٢-١٣٣ ؛فيشر ،هـ.أ.ل،**تاريخ أوروبا في العصر الحديث ١٧٨٩-١٩٥٠م**.دار المعارف ،القاهرة ،١٩٧٦. ص ٨٤-٨٥ ؛ قاسمية،خيرية ،**تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر**. مطبعة خالد بن الوليد ،دمشق ، ١٩٨٢.ص٤٦-٤٧؛ Blanning, **German, Jacobins and the French Revolution**, p.64.

[٢] دريفوس، فرانسوا جورج ،رولان ماركس ،ريمون بودافان ،**أوروبا من عام ١٧٨٩م وحتى أيامنا**، موسوعة تاريخ أوروبا العام، الجزء الثالث،ط١ ،منشورات عويدات،بيروت،١٩٩٥م.الكتاب الأول، ص٤٢؛ جرانت ،**أوروبا في القرنيين** ،ص٢٢٥-٢٢٦؛ قطان،**تاريخ أوروبا السياسي والثقافي**،**ص**١٣٥؛فيشر، **تاريخ أوروبا في العصر الحديث**،ص٨٥-٨٦؛ قاسمية، **تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر**،ص٤٧-٤٨.

هائل في الأسعار وانتشار الكساد في الموانئ الأوروبية ،كما أدى إلى حالة من السخط على السلطات الفرنسية التي فشلت في إقناعهم بالفوائد التي سوف يجنونها على المدى البعيد من هذه الإجراءات ،بالاعتماد على النفس وأثر ذلك على تطوير الصناعات المحلية في مواجهة الصناعات البريطانية الرخيصة والمتطورة .ومن جانب آخر كانت خطة نابليون تقوم على إيصال الشعب البريطاني إلى حالة من التململ على حكومته ليحملها على الرضوخ لمطالبه(١).

الاقتصاد الألماني كان مرتبطا بشكل كبير بالحصار القاري الذي فرضه نابليون على البضائع البريطانية. المهربون الألمان نجحوا في تهريب البضائع البريطانية ،لذا قامت فرنسا باحتلال هولندا لمنع التهريب ووصل إلى لوبيك (Lübeck) سنة ١٨١٠م ،لكن ذلك لم يمنع عمليات التهريب التي كانت تجد طريقها إلى ألمانيا .وكان ذلك قد دفع المقاومة الألمانية للاحتلال الفرنسي وعزز ذلك الشعور القومي ،والذي توسع بفعل النظام القاري والذي سخر الاقتصاد الألماني خدمة للمصالح الفرنسية .الصادرات التقليدية من الأخشاب ،والصوف ، الحبوب والكتان إلى بريطانيا ،أصبحت الآن مستحيلة بسب الحصار القاري على بريطانيا ،فكل الألمان تأثروا بالارتفاع الحاد للأسعار ،وبالضرائب الثقيلة والسيطرة القوية للسلطات الفرنسية(٢).

وكان على الصناعة الألمانية أن تواجه حتى سنة ١٨٠٧م منافسة البضائع الإنجليزية التي أنتجتها أحدث الآلات .لقد نعمت إنجلترا بجيل الريادة في الثورة الصناعية ومنعت تصدير التكنولوجيا الجديدة كما منعت فنييها المهرة من العمل في الدول الأخرى ،فتضاعفت تجارة بريطانيا بفضل سيطرتها البحرية وسيطرتها على المواد الأولية الخام والأسواق وطرق النقل في حين عانت فرنسا من سنوات الحصار البحري المضاد من قبل بريطانيا(٣).

وبعد سنة ١٨٠٧م أدى الحصار القاري الذي فرضه نابليون إلى منع البضائع البريطانية من دخول القارة على نحو قلّ أم كثر ،فكان على الصناعات داخل القارة النمو لمواجهة نقص البضائع الواردة .لقد تطورت صناعة استخراج المعادن وتصنيعها في غرب ألمانيا خاصة في دوسلدورف (Düsseldorf) وإسن (Essen) وما حولهما ،ففي سنة ١٨٠١ بدأ فريدريش كروب (Friedrich Krupp)١٧٨٧- ١٨٢٦م في إسن مجمع صناعات معدنية ظلت تسلح ألمانيا لقرن(٤).

---

(١) شكري ،**الصراع مابين الإقطاع والبرجوازية** ،ص.٩١-٩٢؛ رزق، يونان لبيب،عبد العظيم رمضان،رؤف عباس حامد،**أوروبا في عصر الرأسمالية** .دار الثقافة العربية ،القاهرة،١٩٨٣.ص٢٦٣.

(2) Lente,**The Critique Of Industrial Technollogy**.pp.57-58.

(٣) بروان،**المدنية الأوروبية** ، ص٢٦-٢٧.

(٤) ديورنت ،**قصة الحضارة** ،الكتاب الأول ،ص١٢٧-١٢٨.

أثر الحكم الفرنسي في ألمانيا بشكل كبير بإزالة العوائق التجارية وبقايا الإقطاع وتحقيق المساواة الدينية وتحسين طرق المواصلات ،والتي كان لها أثر مباشر في توفير بنية تحتية للتحول الصناعي في ألمانيا وخاصة في منطقة الراين .وشغل الألمان خلال هذه الفترة بالواقع المعيشي الصعب فقد كانت بلادهم خلال الحكم الفرنسي ساحة قتال وحرب استنزفت أغلب الطاقات الاقتصادية والبشرية للألمان ،وعانوا أشد المعاناة نتيجة تبعات ما سميناه سابقا حروب التحرير [١].

٢-٣.الزراعة:

بقيت الزراعة الحرفة الرئيسة في ألمانيا وإلى حد بعيد القطاع الاقتصادي الأكبر حتى منتصف القرن التاسع عشر لمعظم فئات الشعب الألماني،حتى في اكبر التجمعات الصناعية مثل دوسلدورف،فإحصاء عام ١٨٤٩م أظهر أن (٤٠%) من سكانها يحصلون على دخلهم من العمل الزراعي[٢]،وأكثر من ذلك فإن (٥٠-٧٠%)من سكان بلاتينيتا(Platinate) و(هسن) يعملون بالزراعة ومستأجرين للأراضي وخدما زراعيين وعمال[٣]."فقد بقيت ألمانيا مخلصة لنظام اقتصادي قديم،وكانت الأعمال الأولية في الزراعة والوظائف المنزلية تمثل أكثر من (٧٠%) من وقت العمل حتى عام ١٨٥٠م"[٤].

لعبت عوامل ثلاثة في تحرير الفلاحين الألمان :الإصلاح الذي قام به الموظفون في الدول الألمانية أمثال شتاين وهاردنبيرج وغيرهم ،وجشع طبقة النبلاء ،والثورة الفرنسية .وبعد تسوية فينا وعودة الرجعية وسيطرتها جُرّد الفلاحون من الأراضي التي امتلكوها لصالح النبلاء والأغنياء الذين سيطروا على (٧٠-٨٠%) من الأراضي في ألمانيا مابين ١٨١٥-١٨٥٠م،ففي بروسيا مثلا ارتفعت نسبة الأراضي المملوكة لصالح النبلاء بينما تراجعت حصة الفلاحين وارتفعت نسبة الأراضي المحروثة إلى ما يزيد عن الثلث وزادت الإنتاجية خلال نفس الفترة إلى ما يقرب النصف[٥].

---

[١] رزق، **أوروبا في عصر الرأسمالية**،ص٢٣٠؛عمر عبد العزيز عمر،**تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر ١٨١٥-١٩١٩**،بيروت- دار المعرفة الجامعية-١٩٩٥م.ص٢٤٢.

[2] **Tabellen und amtliche Nachrichten uber den Preßischen Staat für das Jahr 1849** ,6 Bände . A.W. Heun. Berlin, 1852-1855,Band .1.S.276.

[3] Ibide, Band .5.S.821.

[٤] دريفوس، **أوروبا من عام ١٧٨٩م وحتى أيامنا**، ص٣٠.

[5] Agthe, Adolf, **Ursprung und Lage der Landarbeiter in Livland**. XXIX Bände.Band. XII, OKart. Zeitschrift für die gesamte Staatswissenschaft. Hrsg. von K. Bücher, Erg.-H. 29, Tübingen, Laupp, 1909.S.127-128.

كانـت الزراعـة بشـكل عـام ناجحـة وواعـدة خـلال النصـف الأول مـن القـرن التاسـع عشر ،فالمزارعون يتبعون أحدث الأساليب في إنتاج الغراس ،ويتبعون النظام التعاوني بالرغم من النكسات التي كانت تصيبها خلال الأزمات وخاصة ارتفاع الأسعار بعد الحروب النابليونية ، والمجاعة في سنة ١٨١٧م ،إلاّ أنها كانت تشهد تقدما واستقرارا في الإنتاج .وكانت هناك صناعات زراعية مرتبطة بالمحاصيل الرئيسية خاصة صناعة النبيذ ،وصناعات الطحين.فحبوب الجاودار في المقاطعات البروسية ارتفعت أسعارها بنسبة (٢٩%)خلال ١٨٢٥-١٨٢٩م ، وارتفعت أيضا خلال ١٨٤٠-١٨٤٤م .كما ارتفعت أسعار البطاطا بنسبة (٢٠%) خلال نفس الفترة[١].

كانت معظم مشكلات الفلاحين في الأحوال العادية ليست مشكلة الإنتاج وإنما كانت تصريف الإنتاج من جانب ،وسوق الإقراض من جانب آخر ؛فقد وقع هؤلاء عقودا غير منصفة مع مرابين وسماسرة كانوا يستغلون الفلاحين أسوأ استغلال ،فارتفاع مستلزمات الزراعة وانخفاض الأسعار والحياة القاسية وسوء المحصول، عنى مزيدا من الديون بالتالي إفلاس الفلاح وبيع أرضه للمرابي أو السمسار ،وتحول الفلاح في النهاية إلى عامل في الأرض التي كان يملكها ،لقد كانت المساواة الاجتماعية في الأغلب بالنسبة للفلاحين تعني المساواة في الفقر مابين ١٨٢٠وحتى ثورة ١٨٤٨م[٢].

الفلاحـون يحتـاجون إلـى المـال ليـدفعوا ديـونهم و الضـرائب المترتبـة علـيهم ،وتـوفير الحاجات الأساسية ،فلجأ العديد منهم إلى تربية المواشي والرعي في الجبال والغابات ،وعملوا على قطع الأشجار من الغابات من أجل بعض المال .المهم للفلاحين في القرى الصغيرة الاستمرار في الحياة بالاعتماد على الموارد المتاحة من الغابات وما توفره الطبيعة من حديد ومعادن أخرى. فقد كانوا دائما يجدون طرقا للتأقلم مع ظروف الحياة الصعبة مرة من خلال الهجرة الموسمية إلى المناطق الخصبة أو باللجوء إلى المناطق الصناعية أو الهجرة إلى فرنسا وفي أحسن الظروف الهجرة إلى أمريكا الشمالية،إذ كان الفلاح على استعداد لبيع قطعة كبيرة من الأرض لقاء تذكرة سفر إلى الولايات المتحدة[٣].

---

(1) **Jahres- Marktberichte 1829-1831,Hauptstaatsarchiv, Düsseldorf, No. 1757**; **Landesarchiv Koblenz** 403,No.180.

(2) Kermann, Joachim**, Die gesundheitliche soziale und wirtschaftliche lage der pfälzischen Land- bevölkerung in der Mitte des 19**. Jahrhunderts nach den Berichten der Kantonärzte und des Kriesmedizinalrates ,MHVP, Band. 74, 1976.S.101-129.S.118-120.

(3) Kermann ,Die gesundheitliche soziale.S.120; Agthe, **Ursprung und Lage**. S.128.

٢-٤.توطن الصناعة والأزمة الاجتماعية ١٨١٥-١٨٤٨م:

٢-٤-١.توطن الصناعة:

تجمع معظم الدراسات مثل دراسة المختص في التاريخ الاقتصادي يواخيم كيرمان (Joachim Kermann) ودراسة أدولف اقثا (Adolf Agthe)على أن انطلاقة الثورة الصناعية في ألمانيا ترافق مع تشكل الاتحاد الجمركي الألماني [١]،وأن ما شهدته المرحلة الأولى من التصنيع كان من نمط الصناعة الحرفية،وفي أحسن الأحوال الصناعة التجارية ،أي التاجر الذي يرافق نشاطه التجاري بناء المصنع الذي اعتمد بدرجة كبيرة على العمال الحرفيين أو التاجر الذي كان يقوم بعملية جمع الإنتاج الحرفي من المنازل .فانتصار الرجعية بعد مؤتمر فينا أعاد ألمانيا إلى سيطرة الطوائف الحرفية التي ألغيت خلال فترة الاحتلال الفرنسي ،وحركة الإصلاح البروسية التي قادها شتاين وهاردنبيرج.

تأتي صناعة المنسوجات في المقام الأول من حيث الانتشاروحجم الإنتاج وعدد العاملين وغلب على هذه الصناعة النوع الحرفي التقليدي ،فالعلاقة ما بين أصحاب المصانع (التجار) والمعلمين الحرفيين المهرة عقد حر ما بين رجلي أعمال ،الطرف الأول المعلمين الذين يتلقون أجرا على عملهم ،والطرف الثاني أصحاب المصانع ؛فقد كانوا عمالا يعتمدون على أصحاب المصانع وتكون درجة الاعتماد مختلفة:هل هو المعلم الوحيد الذي يعتمد عليه صاحب المصنع ؟هل يملك الأدوات أم لا مثل :أدوات صناعة الحرير والغزل وغيرها ؟وكم يعتمد عليه المصنع؟. كان هذا النظام من العمل في درجات وأشكال مختلفة موجود في منطقة حوض الراين فعلى سبيل المثال أظهرت أحداث آذار ١٨٤٨م (١٢,٢٣٧) معلما في صناعة الحرير في دوسلدورف و(١٢,٤٥٥)عاملا متنقلا[٢].

انعكست التطورات الاقتصادية العامة على الحرف اليدوية في كل ألمانيا بتشكيل قاعدة مشتركة أو على الأقل خلفية مشتركة لأوضاع العمال الحرفيين ،فقد أخذت هذه التطورات خصوصية معينة في منطقة الراين منذ منتصف القرن الثامن عشر ،بقيام تقاليد وقوانين حرفية كان من الصعب التعامل معها في ظل التطور التقني الذي شهدته ألمانيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ،فالحرفيون ونسبة تمثيلهم من القوى العاملة كان ينمو في كل أنحاء ألمانيا

---

[1] Kermann ,Die gesundheitliche soziale.S.122ff; Agthe, **Ursprung und Lage**. S.128ff.

[2] Adelmann, Gerhard, **Der Gewerblich-industrielle Zustand der Rheinprovinz im Jahre 1836**. Röhrscheid,Bonn, 1967.S.101-102;Sperber,Jonathan, **Rheinland Radicals: The Democratic Movement and the Revolution 1848-1849**. Princeton University Press, New Jersey, 1991.p.25-26.

هذا التحول يمكن أن نعزوه إلى الزيادة الكبيرة في عدد السكان الزراعيين ،زيادة تفوق قدرة الأرض على توفير حاجات السكان ،مما قاد الفائض للبحث عن رزقهم في حرف أخرى.ففي معظم دول وسط أوروبا هذا التطور عورض وأعيق لفترة من الزمن من قبل الطوائف الحرفية والتعاونيات الحرفية التي استمرت قائمة خلال الأربعينيات ،بالإضافة إلى عقود من العدائية البيروقراطية ،والتي حرمت الحرفيين من تحسين تجارتهم وأساليب عملهم .فقد عملت الطوائف الحرفية بكل جهودها لتحديد عدد الحرفيين بشكل عام والمعلمين المستقلين بشكل خاص[١].

البدايات الأولى للتصنيع كان هدفها تعزيز موقعها أكثر من تقويض الصناعات التقليدية فنوع العمل داخل المصنع لم يكن من النوع التقليدي لمفهوم البروليتاريا الصناعية ،فهو اسميا عمل إنتاجي صغير تحت توجيه رأس المال التجاري .فدخول التصنيع خاصة في استخدام الطاقة البخارية في آلات الغزل لم يؤد إلى القضاء على هذا النظام وإنما إلى تعزيزه .ففي الصناعات القطنية تم التوسع في استخدام الآلات البخارية قبل سنة ١٨٥٠م ،مما زاد من الاعتماد على الأيدي العاملة من النساجين ،ففي دوسلدورف مثلا زاد عدد العمال من (٥,٨٧٦) إلى (١٢,٥٢٠)عام ١٨٤٩م .الأمر ذاته حدث للصناعات الصوفية،بالرغم من أن الارتفاع في هذا الفرع من الصناعة قد تأثر بشكل كبير في دخول الصناعات البخارية في الأربعينات .العمال الحرفيون المتجولون تضاعف عددهم في منتصف القرن :فما بين (٦٠٠٠) سنة١٨٢٦م إلى (٦٣٠٠٠) عامل غزل في منطقة بروسيا الرينانية سنة ١٨٤٩م ،مقابل (١٢٠٠-١٥٠٠٠) عامل في حقل الغزل والنسيج والمطاحن في نفس الفترة[٢].وفي سكسونيا كان هنا(٤٠٠٠) آلة غزل نسيج ليرتفع العدد إلى (٢٠) ألف آلة في عام ١٨٣٦م ،وكذلك تضاعف عدد المصانع للغزل والنسيج[٣].

انتشار المشاريع الصغيرة للعمال الحرفيين لم يكن كفيلا لتحقيق الازدهار أو أن يحقق الاستقلال الاقتصادي للعامل ،وبشكل عام فإن جماعات الحرفيين:صناع الأحذية ،الخياطين ، النجارين ...الخ .كانت حالتهم صعبة جدا من ناحية تسويق ما كانوا ينتجونه،فالعديد من الباعة يطاردون قلة من الزبائن .فمعظم المعلمين الحرفيين في هذه المشاريع كان مردودهم المالي ضئيلا، فالواحد منهم لا يكسب أكثر من مئة تالر في السنة ،وهي اقل مما يكسبه عامل غير

---

(1) Lenger,Friedrich.S**ozialgeschichte der Deutschen Handwerker seit 1800.Surkahmp**,Frankfurt am Meinz ,1988. S.13 -15.

(2) **Neues von der historischen Wirtschaftsrate der Rheinland**.Rheinische Vierteljahres blätter. Berlin. No :30, 1965, S. 334-45.

(3)List ,Friedrich, **Das Nationale System der Politischen Ökonomie**, 1841. Siebente Auflage. Stuttgart: Verlag der J.G. Cottäschen Buchhandlung, 1883. S.16.

ماهر في أحد المصانع. فالحرفيون كانوا يخسرون اتصالهم المباشر مع المستهلكين ،ويعملون تحت توجيه التجار الذين يزودونهم بالمواد الخام ويأخذون عملهم الجاهز ،وفي العادة يقرضونهم المال ليسيطروا على كل العملية .مثل هؤلاء العمال الخارجيين كانوا كالمعلمين الحرفيين مستغلين :سواء بدخلهم السنوي المتدني أو تدني سيطرتهم على عملية الإنتاج التي لم تكن أفضل حالا من عمال المياومة الحرفيين[١].

تأتي صناعة الحديد من حيث الأهمية بعد المنسوجات في عدد العمال في النصف الأول من القرن التاسع عشر ،ولكن العمل الخارجي كان يسير على نحو جيد.والمثال الأكثر شهرة سولنجن – ريمشايد (Solingen–Remscheid) الذي كان يعمل في الصناعات الحديدية فقد عمل على تنظيم التجارة الصناعية من خلال عمل عدة آلاف من العمال الخارجيين ذوي المهارة العالية في قرى بيرجيشس(Bergresches) ،سميث(Smeth) في تحويل الحديد إلى سكاكين ومقصات وشفرات حلاقة .الحداد الذي كان يحول المواد إلى حواف حادة ،وهناك الذين يقومون بتهذيب ما قام به الحدادون[٢].فقد كان الحدادون يعملون على شكل جماعات في منطقة الأنهار لكل مجموعة صغيرة ورشة .هذه الورش لم تكن مصانع تحت إدارة مركزية ولكن منشآت يعمل بها الحدادون في مشاغل على طول قناة النهر التي تزود آلتهم بالطاقة،وكانت هذه الآلات مكلفة جدا،والتي غالبا ما كان يملكونها ،مثل تصنيع المسامير والبراغي في آخن وفنستي.فالعمال الخارجيين في هذه الصناعة وفي الصناعات الصوفية كانوا يعيشون بالقرب من المصانع[٣].

قال المؤرخ فريدرش لينجر (Friedrich Lenger) :"إن إدراك أبعاد هذا التطور هو عملية مزدوجة من الاستقطاب والعمل الخارجي،وهو المفتاح لفهم الظروف الاقتصادية والتحول الاجتماعي في الحرف في القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر في ألمانيا[٤]". فقد كان هناك مجموعة واحدة من المعلمين الحرفين تعمل لوحدها دون وجود مساعدين أومعاونين ،وتعتمد على بيع ما تنتجه للتجار ،وبشكل عام تعيش في طبقة العمال . مجموعة أخرى من الحرفيين انتقلت بنجاح من طوائف المعلمين إلى رجال أعمال صغار ،حيث قامت بتوظيف عمال المياومة والاتصال مباشرة مع الزبائن ،ووقفت في أسفل الطبقة الوسطى

---

(1) Lenger ,**Sozialgeschichte der Deutschen Handwerker**. S.36-38.

(2) Bochm,Rudolf,**Handwerker–Sozialisten gegen Fabrikgesellschaft**. Lokale Fachvereine. Massengew-erkschaft und industrielle Rationalisierung in Solingen 1870-1914.Vandenhoeck und Ruprecht,Göttingen ,1985 , S. 66-69; Sperber, **Rheinland Radicals**. p.26.

(3)Bochm, **Handwerker Sozialisten gegen** die **Fabrikgesellschaft** .S.101.

(4) Lenger , **Sozialgeschichte der Deutschen Handwerker**. S.50.

من حيث الدخل ،فقد كانت مجموعة صغيرة من كتلة الحرفيين ضمت: صناعة الأحذية الخياطة وصناعة الخزائن وبعض الحرف الأخرى [١].

ويبدو أن فريدرش قد اخذ فكرته هذه من ماركس الذي قال :"منشأ الصناعة اليدوية وتطورها من الحرف اليدوية عملية مزدوجة ،فهي تقوم من جهة عن طريق اتحاد حرف يدوية مستقلة مختلفة لا تلبث أن تفقد كل منها استقلالها وتصبح موضع التخصص ...وقد تنشأ عن طريق تعاون عمال يمارسون نفس الحرف اليدوية الواحدة ...وعلى ذلك نرى أن الصناعة اليدوية من جهة تدخل في تقسيم العمل ...وتربط حرفا يدوية كانت من قبل منفصلة فيما بينها ... فالنتيجة النهائية واحدة ألا وهي أداة إنتاجية أدواتها المخلوقات الآدمية..."[٢].

وكما عبر درونكه (Ernst Dronke) عن مثل هذه الأوضاع قائلا:" لقد حولت التجارة الحياة إلى شيء لا قيمة له ،وهذا غير معقول من الناحية الإنسانية،فنظرة سريعة على الواقع المعيشي الذي كانت عليه معظم فئات الشعب الألماني يبين حجم المأساة التي كانوا يعيشونها سواء كانت بالنسبة للمرأة العاملة أو للرجال وحتى الأطفال"[٣].

أكد مؤرخ اقتصادي ألماني حديث هو فولفرام فيشر (Wolfram Fischer)على غياب الظروف الاقتصادية المشتركة لطبقة العمال حتى من الفئة العمالية الواحدة ،مما أخر نمو الوعي الطبقي داخل الطبقة العاملة ،فاستمرار التقاليد الحرفية المنبثقة من نظام الطوائف الحرفية القديم والاختلافات اللغوية والجغرافية ما بين العمال داخل المدن وأولئك القادمين من الريف ،والذين جاءوا بأجور متدنية جعلهم ذلك لا ينتمون لنفس الفئة العمالية[٤].فقد كانت الأعمال الأولية والوظائف المنزلية تمثل أكثر (٧٠%) من وقت العمل حتى سنة ١٨٥٠م ؛فعامل الأجور بالنسبة لأجرة يوم العمل(إناث أو ذكور أو أطفال) للعمال المنتظمين أو عمال المياومة الحرفيين وعمال المصانع كانت غير كافية لتلبية الحاجات الأساسية ،ومن العشرينيات وحتى الأربعينيات لم يجر عليها زيادة إلا بنسبة (٥%) .وإذا أخذنا عامل ارتفاع أسعار الغذاء لهذه السنوات فمن الصعب تجاهل نتيجة أن معايير الحياة كانت تهوي حتى قبل حدوث المجاعة في منتصف الأربعينات [٥].

---

[1] Ibid. S.50-52.

[٢] ماركس ،**رأس المال** ،ج١، ص٣٠٨.

[3]Dronke, Ernst, **Berlin (1846)**. Rütten & Loening, Ost Berlin ,1953. S.234-235

[4] Fischer,Wolfram, **Sozial Unterschishten im Zeitalter Frühindustrialisierung in Wirtschaft ,** Göttingen, 1972. S.255-256.

[٥] دريفوس، **أوروبا من عام ١٧٨٩م وحتى أيامنا**، ص٣٠.

وهنا يجب ملاحظة "أن العامل المستقل كان عليه أن يدفع لقاء الحاجات الضرورية : للنقل يدفع (٢-٢,٥) تالر ،للغداء يدفع (٢،٥-٣) تالر ،تالر واحد على الإفطار،وبالمعدل فهو يدفع(٥) تالر يوميا وهذا لا يتضمن ثمن المشروب أو الملابس والحذاء ؛أي أنه يعمل طول اليوم فقط من أجل أن يأكل فإذا عمل أكل وإذا لم يعمل لم يجد ما يأكله .بعض العمال لم يكن يكسب في اليوم أكثر (٢-٥) تالر ،فالعامل كان يعمل طوال اليوم فقط من أجل الاستمرار في الحياة ولكن ما هذا العالم الذي يسلب الإنسان حقه في الحياة والتي منحته إياه الطبيعة ؟ويقولون لك يجب عليك أن تكسب هذا الحق من خلال العمل الأصعب .فأولئك الذين في موقع يستطيعون من خلاله كسب شيء ما هم إلا الأوفر حظا في الحياة..."[١].كما يجب أن لا يغيب عن البال أن العامل كان يقضي فترة ما بين شهرين إلى ستة أشهر دون عمل وهو ما سيتضح من الجداول اللاحقة .

---

[1] Dronke, **Berlin (1846)**. S.237.

جدول رقم(٢) يوضح بعض أنواع أعمال النساء والأجرة التي يحصلن عليها في برلين عليها ١٨٤٦م.

نوع العمل	الأجرة بالتالر البروسي	الفترة التي تقضى دون عمل من السنة
الغسالة	**١٠-١٢**	**٤ شهور**
الكوي	**٨-١٠**	**٤ شهور**
مصففة الشعر	**٦-١٠**	**٤ شهور**
الخياطة	**٨-١٠**	-
بائعة الزهور	**٧,٥**	**٤ شهور**
التطريز	**٣-٨**	**٤ شهور**
التطريز بالذهب أو الفضة	**١٠**	-
ملمعات الفضة	**٧,٥-١٠**	**٨ شهور**
ملمعات المعادن	**٦-٧**	**شهران**
العاملات بالحبكة	**٥**	-
غزل الحرير	**٣-٤**	**٣ شهور**
الغزل	**٣-٤**	**٣ شهور**
الطابعات	**٣**	**٣ شهور**
تصميم الملابس	**٣-٧,٥**	-
خادمات	**٢,٥-٤**	-
عاملات المصانع	**٣-٦**	-
العملات في المزارع	**٤-٦**	**٤ شهور**

المصدر : Dronke, **Berlin (1846)**. S.237-238.

وتجدر الملاحظة هنا أن من بين (١٧) مهنة تمارسها النساء هناك (٨) مهن أجورها لا تلبي الحد الأدنى للمصاريف اليومية للفرد ،وأن بقية المهن تبدأ بالحد الأدنى أو ما يزيد قليلا مما يعني أن قدرة هذه الفئة السكانية على تلبية احتياجاتها غير الأساسية أو فتح باب التوفير تكاد تكون معدومة ،ويحولها للعمل بنظام يشبه " السخرة "،على ألا ننسى أن السيدات العاملات قد يكنّ من أرباب الأسر وبالتالي تتحول هذه الأسر لبؤر جديدة من الفقر والانحراف والتمرد ، الأمر الذي يجعلها بعيدة عن التطور الاجتماعي أو الاستقرار الطبقي الضروري لنشاط الحياة الاقتصادية .وتجدر الاشارة إلى أن الأطفال الذين كانوا يعملون في المصانع يحصلون على أجر ما بين (١٠-١٢)تالر في الأسبوع بمعدل عام (١-٥) قطعة فضية باليوم .أما أجور العمال من الرجال فلم يكن حالهم أفضل من حال النساء والأطفال ،والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول رقم (٣) يوضح بعض أنواع الأعمال للرجال والأجرة التي يحصلون في برلين عليها ١٨٤٦م.

نوع العمل	الأجرة بالقطعة الفضية	الفترة التي تقضى دون عمل من السنة
الصائغ	١٥-٢٠	٤ شهور
صانع السلاح	١٠-١٥	٣ شهور
الجزار	٢	شهران
صانع الأحذية	١٠-١٥	٣ شهور
عامل الأسقف	١٠-١٥	٦شهور
صانع العربات	٢-٤	شهران
الصباغ	٤-٥	شهران
النقاش	٣٠	-
عامل القوالب	١٥-٢٥	شهران
الرسام على الورق	١٠	٣ شهور
الرسام على المعدن	١٥-٢٥	شهران
الخياط	١٢,٥-١٥	٦ شهور

المصدر: Dronke, Berlin (1846). S.237-238.

يتضح من هذا الجدول أن معدل أجور الرجال أعلى من النساء والأطفال ،لكنها ليست بالضرورة كافية لامتلاك العامل سبل حياة أفضل ،سيما أنهم أيضا أرباب أسر ويحتاجون مصاريف إضافية لعائلاتهم ،مما يعني أن الاستقرار داخل الطبقة الاجتماعية التي يمثلونها سيبقى ضعيفا ،كما يعزز من الفرز الفئوي لطبقة العمال وهذا تأكيد لما ذهب إليه المؤرخ فيشر.

تأثرت ميزانية الأسر بالتقلبات الاقتصادية صعودا وهبوطا نتيجة الأزمات الاقتصادية،فقد كانت معظم نفقات الأسر في الطبقات الدنيا داخل المجتمع الألماني حتى ١٨٥٠م على الحاجات الغذائية الأساسية والتي كانت تستهلك ما بين ثلثي وثلاثة أربع الدخل ؛ فالجزء الأكبر من المواد الغذائية هي من منتجات الحبوب والبطاطا ،والتي استنزفت ميزانية الأسرة وجعلها حساسة لأسعار هذه المواد ،هذه الحساسية الصغيرة هي أكبر من الحجم الكلي لميزانية الأسرة ،مما دفع الأسرة إلى تخصيص جزء اكبر من الميزانية في الأنفاق على ارتفاع أسعار هذه المواد ،بالإضافة إلى إن قدرة الأسرة لتجنب أي ضغط على ميزانيتها بالاستعاضة بأنواع أخرى بديلة كان محدودا .فخلال ما يسمى بالأزمة الاقتصادية خلال الأربعينات تشير الكتابات والتقارير

إلى ارتفاع أسعار القمح والجاودار إلى نسبة (٨٧%) و(٦٧%) لأسعار البطاط[١] ،والجدول رقم(٤) يبين أسعار هذه المواد خلال تلك الفترة .فمن حيث المبدأ البيانات عن أسعار الحبوب يسمح لنا للحصول على فكرة عن المسار الزمني لنفقات الأسر المعيشية قبل عام ١٨٤٨م.فالحصول على ميزانية تقديرية للأسرة أمر بغاية الصعوبة .

جدول رقم (٤) يبين أسعار بعض المواد الأساسية خلال فترة ما يسمى بالأزمة الاقتصادية ١٨٤١-١٨٥٠م.

السنة	القمح	الجاودار	الشعير	الشوفان
١٨٤١	١٠٠,٠	١٠٠،٠	١٠٠،٠	١٠٠،٠
١٨٤٢	١٣٦,٤	٨٣،٣	٩٨,٧	٨٦,٤
١٨٤٣	١٠٣,١	٨٣،٣	١٠٥,٢	٩٤,٩
١٨٤٤	١٠٩,٤	٧٢,٧	١٠٥,٢	١٠١
١٨٤٥	٨٩،٥	٥٩،٥	١١٣,٠	٩١،٥
١٨٤٦	١٢٩,٦	٩١،٧	١١٥،٦	١١١،٩
١٨٤٧	١٥١,٨	١٢٠،٨	١٨٥,٧	١٤٩،١
١٨٤٨	١٣٤,٠	٨٢,٧	١٢٤،٧	١١٠،٢
١٨٤٩	١٠٠,٠	٥٣،٥	١٠٣،٩	٦٩,٥
١٨٥٠	١٠٠,٠	٥٣,٥	٩٣،٥	٧٢,٩

Mulhall,M, A Dictionary Of Statistics. 2 ed, G. Routledge and Sons,London,1892.pp.512-513

من ناحية أخرى فإن هذه الأوضاع قد اضطرت الدولة والفئات الرأسمالية وحتى الحرفيين على إيجاد سبل جديدة لتحسين وسائل الحصول على الدخل ،أو فتح مجال للمعلمين الحرفيين أو العمال الفنيين لتغيير وتحسين ظروفهم من خلال الأسواق الصناعية .

يعدّ افتتاح الأسواق الصناعية من أبرز التطورات الصناعية خلال مرحلة الأربعينات فقد تم افتتاح أول سوق صناعي في ماينز حيث كان بإمكان الحرفيين عرض بضائعهم للبيع للعموم .الصحف كتبت تقارير عن هذا السوق:"المعلمون الذين كانوا يعانون من نقص الأسواق وأنهم يعملون لغيرهم سوف يتغير كل ذلك من خلال هذا السوق الصناعي بنفس المستوى كما هو الحال مع معظم الصناعيين المشهورين ،ومن خلالها سوف يكون هناك تحول جذري في تأكيد استقلاليتهم "[٢].وعلى نفس المستوى قامت عدد من الأسواق الصناعية في مختلف المدن الألمانية مثل: ترير ،كولجن ،آخن وغيرها[٣].

---

(1) Berger, Helge, Mark Spoerer, **Economic Crises and the European Revolutions of 1848**, 1848 conference in Offenburg, October 2000.pp.7-9.

(2) Sperber, **Rheinland Radicals**. pp.32-33.

(3) Ibid. p.33.

كما أبرزت الحماية المفروضة من مؤسسات الدول الألمانية تطورا آخر لدعم الأسواق إذ لم يكن بمقدور قوى السوق تحديد الأسعار والأجور ،والاستثمارات الرأسمالية لأنها كانت تحت رحمة الطوائف الحرفية والشروط الإقطاعية فالحكومات الرئيسية صادقت ودعمت بقوة ظهور الأسواق الرأسمالية ،إلاّ أن ذلك لم يعني تخلي الدولة عن دورها المسيطر والموجه للتطورات الاقتصادية ،فقد سعت الدول الألمانية لتحقيق هذا الهدف من خلال مؤسسات السوق النتيجة كانت ما يمكن أن نسميه "الاقتصاد الموجه" أو السوق الاقتصادية غير الحرة .بالطبع اقتصاد السوق الحر هو خيال اقتصادي ،فمن خلال الضرائب وسياسات التعرفة الجمركية والإعانات ،والتشريعات القانونية ،كانت الدولة دائما تسيطر على الشؤون الاقتصادية .على أي حال ما قبل آذار في منطقة الراين لم يكن هناك استثمارات اقتصادية قادرة على التحكم في السوق فقد استمرت البيروقراطية في السيطرة على السوق ،في ظل غياب تمثيل برلماني فاعل للطبقات الاجتماعية أو حتى للمصالح الاقتصادية ،أو حتى تطبيق البيروقراطية الفعلية في توحيد أجهزة الدولة وقوى السوق بشكل فاعل(١) .

يمكن رسم الخطوط العامة للصراع داخل السوق مابين عناصر عمليات الإنتاج: المنتجين الصغار المستقلين اسميا،ومستخدميهم المسيطرين على القانون التجاري وغالبا ما كانوا من اليانكرز (النبلاء) وأصحاب رأس المال .تركز الصراع حول كيفية السيطرة على عمليات السوق،في وقت كان فيه السوق يعاني من أزمة وجدت في الحرف والزراعة ،مثل هذا الصراع كان موجودا في عملية التحول نحو الإنتاج الصناعي .فالتطور الأول في سنوات الازدهار الأولى في نهاية الثلاثينيات،كان في التوسع في بناء مصانع الغزل والنسيج،مما أدى إلى زيادة الطلب على عمال الحياكة ،بشكل يفوق قدرة سوق العمل على توفيرهم بشكل فوري.المصانع عملت على توفير هذا النقص من خلال قيام العامل بتدريب عامل آخر ،العمال الخارجيون (المنتجون)أرسلوا وكلاء إلى القرى ليعرضوا عليهم مكاسب كبيرة إذا التحقوا معهم بالعمل .وجد الحيّاك أنفسهم في وضع جيد في سوق العمل فاستغلوا الوضع بالعمل ببطء كبير في كل وظيفة ليأخذوا عروضا من مصانع أخرى .والبعض كان يستخدم العمال الخارجيين حتى لو قاموا بأخذ المادة الأولية وبيعها لمصانع أخرى فالكثير من المصانع الصغيرة كانت تقوم على هذه البضائع المسروقة(٢).

---

(1) Sperber,**Rheinland Radicals**. p.63.

(2) Schöttler, Peter, **Die Rheinischen Fabrikgerichte im Vormärz und in der Revolution von 1848/49**. Zwischenergebnisse einer sozialgeschichtlichen Untersuchung.Zeitschrift für neuere Rechtsgeschichte 7, Moos Baden,Baden, 1986. S. 160-162.

كانت الحكمة الاقتصادية تقضي برفع الأجور ،لكن أصحاب المصانع كانوا غالبا ما يلجؤون إلى تطبيق قانون العرض والطلب إذا كان يسير لمصلحتهم ،ويحجمون عن تطبيقه إذا كان ضد مصالحهم ،وأكثر من ذلك كانوا يطبقون القانون القديم "محاكم المصانع "والتي كما القوانين الأخرى للنظام القضائي ،تم اقتباسها عن الفرنسيين خلال الفترة النابليونية[١].فالمحاكم هي شكل من أشكال الإصلاح الصناعي ،صممت من أجل تجنب المحاكم المدنية وبطء الإجراءات القضائية وتخفيض النفقات ،باستخدام قضاة معينين بأجور قليلة فقد كانت أحكامها تصدر في ثلاثة أيام كحد أقصى ،نصف القضاة يعينون من أصحاب المصانع ،والنصف الآخر كانوا من الملاحظين أو من المعلمين للعمال المتجولين الذين يقيمون الضرائب غالبا بصورة عالية .وجود شخصيات هؤلاء الأعضاء يؤكد على عدم التزامهم بميثاق الشرف المهني ،والذي لن يكون بالطبع لصالح العمال[٢].

أصحاب المصانع (المنتجين) والعمال المتجولون كانوا ملزمين بالتقيد بالنظام نظريا وبميثاق الشرف المهني ،فعمال الغزل مثلا كان بإمكانهم أن يتقدموا بالشكوى إلى هذه المحاكم للغرامات المفروضة عليهم من قبل المنتجين لسوء إنتاجهم أو أنهم يتلقون أجرا أقل على الملابس التي يغزلونها .على أي حال ،لم تكن المشكلة فقط في طبيعة الأشخاص الذين يشكلون هيئة المحكمة ،ولكن كان على العامل المشتكي أن يأخذ يوم عمل إجازة بدون أجر ليذهب إلى المحكمة ،بينما صاحب المصنع بإمكانه أن يرسل مندوبا عنه ليطلب التأجيل ،والتلاعب بالإجراءات إذا كانت لا تخدم مصلحته حتى ييأس العامل ،فعندما سئل عمال الغزل في فالدنيل (Waldniel) في سنة ١٨٤٠م عن رغبتهم في ضم قراهم إلى محكمة "مونشن جلاد باخ" (Mönchengladbach) أجابوا بأنها فكرة سيئة "مادامت قرارات المحاكم الصناعية تصب في صالح المنتجين وليس في صالح العمال"[٣].

فليس من الصعب فهم لماذا كان المنتجون يفضلون إرسال عمالهم إلى المحكمة بدلا من زيادة أجورهم ،ولكن كانت المحاكم الصناعية تضم أيضا محكمة للمعلمين الحرفين .فالمعلمون كان بإمكانهم أن يلجؤوا إلى المحكمة ليحصلوا على حقوقهم من مستخدميهم ،والعمال الذين أخلّوا بالعقود معهم ،حيث كانت فرصهم في النجاح ضئيلة مع مستخدميهم ،بينما كانت أغلب هذه

---

(1) Schöttler, **Die Rheinischen Fabrikgerichte im Vormärz**.S.171-172;Sperber,**Rheinland Radicals**. p.53-54.

(2) Sperber,**Rheinland Radicals**. pp.54-55.

(3) **Mönchengladbach Fabrikgerichte**, in: Schöttler; **Die Rheinischen Fabrikgerichte im Vormärz**.S. 171-173; Sperber,**Rheinland Radicals**. p.55

القضايا يحكم بها لصالح المعلمين ضد عمال المياومة والمتدربين ومساعدي المعلمين الذين أخلّوا بالعقد مع معلميهم[١].

٢-٤-٢.الأزمة الاجتماعية:

عانت معظم الدول الألمانية من أزمة اجتماعية عميقة ،تمثلت بسوء أحوال الطبقات الاجتماعية الدنيا :الفلاحين ،العمال بكل شرائحهم:العمال الحرفيين ،عمال المياومة ،العمال المتنقلين ،وأخيرا عمال المصانع البروليتاريا ،والتي أنتجت ظاهرة جديدة هي ظاهرة المسحوقين من هذه الفئات وهو ما تناوله المؤرخون الألمان تحت عنوان "المسألة الاجتماعية " المتمثلة في ظاهرة انتشار الفقر على نطاق واسع داخل المجتمع الألماني ،إذ لا تستطيع استثناء أي منطقة من المناطق الألمانية لم تعان من هذه الظاهرة ولكنها كانت متفاوتة بدرجة قوتها وحدتها ،فالمؤرخ الألماني رودلف شتادلمان (Rudolf Stadelmann) قال أن ظروف الطبقات الدنيا خلال الثلاثينات والأربعينات من القرن التاسع عشر لم تكن أسوأ حالا من القرون السابقة ،ولكن ما الذي تغير؟ يجيب رودلف:لقد تغير درجة الوعي لديها ،ففترة الثلاثينيات والأربعينيات شهدت أنواعا جديدة من عدم الرضا والسخط الاجتماعي ،نتيجة عدم العدالة الاجتماعية[٢].

تم معالجة مثل هذه المواضيع في كتابات مبكرة ،ففي منشور ثوري اجتماعي يعود تاريخه إلى تموز ١٨٣٤م بعنوان:"رسول ريفي من هسن ".يبدأ المنشور بشعار السلام على الأكواخ والحرب على القصور .من جانب آخر انطلق جورج بوشنر (Gorg Büchner) في معالجته للقهر الاجتماعي:" اذهبوا مرة واحدة إلى دارمشتات وانظروا كيف يتمتع الأسياد هناك بأموالكم ،ثم احكوا لنسائكم الجائعات وأطفالكم أن الخبز الذي كان مخصصا لهم قد ذهب إلى بطون أخرى...ألمانيا هذا الوطن الحبيب مزقه هؤلاء الأمراء..."[٣].

كانت هناك تقارير مبكرة تتحدث عن سوء الأحوال للعاملين في المصانع ،فقد أكدت الحكومة البروسية في تقرير لها سنة ١٨١٩م:"أنه فيما يتعلق بأصحاب المصانع ،فلا ينتظر منهم أي مبادرة ،إلاّ إذا أجبروا بموجب توجيهات وأوامر صريحة على منح الأطفال الساعات اللازمة لتلقي التعليم ،فلقد تعودوا النظر إلى العمال على أنهم مجرد تابع للآلة"[٤].وهذا ما أكده

---

[1] Schöttler , Die **Rheinischen Fabrikgerichte im Vormärz.** S.171-173.

[2] Stadelmann,Rudolf, **Sozial Ursachen der Revolution von 1848**, moderne deutsche Sozialgeschichte, Berlin, 1970.S.22.

[٣] Gorg Büchner عند: باربا بادمان،**عصور الأدب الألماني**،ص٢٣١.

[٤] تقرير الحكومة البروسية عند:رول ،**تاريخ الفكر الاقتصادي**،ص٢٥٠.

كارل ماركس فيما بعد ":إن جميع وسائل الإنتاج هي وسائل سيطرة واستغلال في خدمة الرأسمالي بواسطتها يستغل العامل ويجعل منه شبه أدمي ،نظرا لأنه مجرد تابع للآلة "[١].

فنمو معدلات الفقر مع تقدم القرن التاسع عشر وخاصة فيما بعد تسوية فينا ؛هو نتاج طبيعة التركيبة الاجتماعية والنظام الضريبي ،والذي كان في الأغلب يقع على عاتق الفلاح والذي ترافق مع نمو سكاني كبير ،فقد تضاعفت أعداد الفلاحين في بروسيا بنفس الوقت الذي تضاعفت فيه الملكيات الزراعية الكبيرة ،وقد ارتبط النمو السكاني بحركة الإصلاح إلى حد كبير قبل سنة ١٨٤٨م ،وإذا أمعنا النظر نجد هذه الحقيقة في الأرقام التي تدل عليها معدلات النمو السكاني ،فخلال الفترة ما بين ١٨١٦-١٨٤٦م ،ازداد عدد سكان بروسيا الشرقية بنسبة (٦٧,٨٨%) بروسيا الغربية (٨٠,٢٦%) بوميرينيا بنسبة (٧١,١٧%) وبشكل عام زاد عدد سكان منطقة الراين (٤٢،١٠%) فيستفاليا (٣٥،٨٤%)[٢].كما ارتفعت نسبة الكثافة السكانية بشكل كبير داخل المدن، ففي بارمن ارتفعت من (٧٧٨) نسمة في الكيلو المتر المربع سنة ١٨١٦م إلى (١٦٦١)نسمة سنة ١٨٥٠م[٣].وإذا أخذنا مثالا هامبورج أمكننا رؤية مدى النمو السكاني الذي شهدته ألمانيا في نفس الفترة:

جدول رقم (٥)النمو السكاني في هامبورج (باستثناء سكان الريف).

السنة	المجموع	النسبة %
١٨١٦/٢٠	١٠٩٠٠٠	١٠٠
١٨٢١/٢٥	١١٦٢٥١	١٠٦
١٨٢٦/٣٠	١٢٤٩٣٥	١١٤
١٨٣١/٣٥	١٣٠٠٣٤	١١٨
١٨٣٦/٤٠	١٣٥٤٨١	١٢٣
١٨٤١/٤٥	١٤٢٨٦٩	١٣٠
١٨٤٩	١٤٨٥٣١	١٣٥

المصدر : **Statistische Tabellen zur Kenntnis der Zustände Hamburg's 1816-1852**.S. 3.

ويتضح تماما أن هذه الزيادة – كما في الجدول رقم (٥) – لن تكون محصورة في فئة أو طبقة اجتماعية ،مما يزيد معها افتراض زيادة أعداد الفقراء والعمال المسحوقين والفئات المحرومة ،كما يزيد حجم الاكتظاظ السكاني مع ما يترافق معه من مشكلات تنظيمية ونفسية

---

(1) Karl Marks, in:**Neue Rheinische Zeitung,5-8 März,1849**.

(2) **Die über den Preußichen Staat gesammelten statistischen Nachricten, Staatsarchiv Merseburg, Bericht 77, Titel 94, 1846**.

(٣) دريفوس،**أوروبا من عام ١٧٨٩م وحتى أيامنا** ،ص٨.

واجتماعية ،ويمكن التأكد من هذه الآثار من خلال ترافق هذه الزيادة السكانية مع ظهور الإحياء الفقيرة على نطاق واسع داخل المدن الألمانية ،ففي برلين على سبيل المثال يصف ايرنست درونكه (Ernst Dronke) الباحث الاجتماعي تحت عنوان(مشاهد من برلين) حالة الطبقة البرجوازية :"...البيوت في المناطق التي تسكنها البرجوازية التعيسة كلها متشابهة مثل بيوت النبلاء ،ولكنها قائمة على أساس سيئ ؛في المستنقعات والسبخات،وجدرانها آيلة إلى السقوط ... وهذا ما انعكس على ما يسمى بالطبقة الوسطى في برلين،فأنت ترى النفخة البرجوازية في المظهر عندما يذهبون خارج أحيائهم إلى الحفلات والترويح عن النفس...في حين تعاني بيوتهم من التعاسة والبؤس...فأنت لا تستطيع أن تصدق أن هذه العائلات التي تجدها في الحفلات العامة...قادرة على توفير احتياجاتها الغذائية...أي روح سوف تظهر وتسيطر على المدينة... فقط المستقبل سيكشف لنا ذالك..."[١].

وبنفس الروح كانت مشاهد مدينة هامبورج مشابهة لمدينة برلين :"فيما يتعلق بطبيعة بيوتنا الصغيرة بشكل عام ...البيوت مظلمة ،ضيقة وقذرة ومثيرة للاشمئزاز...أحياء الفقراء في الشقق الصغيرة كذلك لا تتوافر فيها أبسط الشروط الصحية للمقيمين فيها...معظمها مظلمة ضيقة ومنخفضة ،ولا توفر لسكانها الأجواء الصحية المطلوبة ،نتيجة تردي حالتها وعدم كفايتها للحماية من الرياح والأمطار والثلوج ...وفي فصل الصيف تكثر فيها الحشرات والقوارض ... والبيوت التي في منطقة المستنقعات تعاني من الرطوبة وغير صحية ،وتتعرض في كثير من الأحيان للفيضان...وتعاني هذه البيوت من نقص غرف النوم، والتي في كثير من الأحيان دون نوافذ ولا ضوء ولا تسمح بدخول الهواء النقي...فالأهل غير قادرين على فصل المراهقين والمراهقات من النوم في غرف منفصلة، لأن المساحة محدودة ...مواقد التدفئة في معظمها قديمة وتتطلب الكثير من الخشب والفحم ومكلفة للغاية وتطلق الأدخنة...بيوتنا الصغيرة تعاني جميعها تقريبا من عدم وجود فصل مابين المرحاض وماء الغسيل... ولا توجد مجاري لأن تكلفة إنشاء مؤسسة كبيرة لذلك عالية جدا ،وأيضا تكاليف الصيانة اللاحقة لنشرها بصورة عامة من الصعب جدا توفيرها..."[٢].

ويمكن إجمال أسباب الزيادة السكانية كما تشير إليها الدراسات الحديثة مثل ماتس (Matz) وخاصة في الأرياف بارتفاع إنتاجية الأرض باستخدام الأساليب الزراعية الحديثة ،مما زاد الطلب على الأيدي العاملة الزراعية ،ومن جانب آخر كان لتغير نظام الزواج أثره في الزيادة

---

[1] Dronke, **Berlin (1846).**, S. 11-12.

[2] **Commissionsbericht über die Wohnungs-Verhältnisse der unbemittelten Volksklassen Hamburg's,** Hamburg. S. 8 ff.

السكانية ،فبروسيا كانت الدولة الألمانية الوحيدة التي لم تضع قواعد على الزواج ،بينما استمرت معظم الدول الألمانية على النمط التقليدي في الزواج ؛أيّ الزواج من داخل الطبقة الاجتماعية .فإذا أخذنا بعين الاعتبار ارتفاع نسبة الإناث على الذكور في ألمانيا أمكن إدراك أبعاد التطور في تغير تقاليد الزواج ،وتركيبة طبيعة الأعمال التي كان من الممكن أن تقوم بها المرأة الألمانية في مجتمع إلى حد كبير محافظ على التقاليد[١].

وهذا ما يؤكده الجدول رقم (٦) ؛حيث يظهر بوضوح ارتفاع نسبة الإناث على الذكور وما ترتب عليه من تغيرات اجتماعية في ظل ظروف اقتصادية صعبة ،الأمر الذي نجم عنه تغيّر الأدوار داخل الأسرة وخروج المرأة إلى العمل في ظل تزايد الطلب على عمالة النساء كونهن يتلقين أجورا اقل بكثير مما يتلقاه الرجل.

جدول رقم (٦) نسبة الذكور إلى الإناث في مدينة هامبورج.

السنة	١٨١٧	١٨٢٦	١٨٥٢
ذكور	٤٧.٨٩ %	٤٧.١٣ %	٤٦.٣٢ %
نساء	٥٢.١١ %	٥٢.٨٧ %	٥٣.٦٨ %
الفرق	٤.٢٢	٥.٧٤	٧.٣٦

المصدر : **Statistische Tabellen zur Kenntnis der Zustände Hamburg's 1816-1852**.S.3.

ويمكن من خلال ملاحظة الزيادة المستمرة في نسبة النساء العاملات أن ندرك ونتوقع حجم التغيير في القيم الأسرية والاجتماعية الناتجة عن مشاركة المرأة في الأعمال خارج المنزل وما يترتب على ذلك من زيادة نسبة تفكك الأسرة أو ضعف التربية والحفاظ على قيمة الأسرة كوحدة أساسية في حياة الفرد وبناءه النفسي والأخلاقي .

من جهة ثانية نستطيع أن نتبيّن حجم الفقر والمعاناة التي كان يعانيها الألمان في الطبقة الدنيا خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ،إذا أخذنا الإحصائيات التي تدل على عدم قدرة شريحة كبيرة الألمان على دفع ضريبة الأرض للحكومة البروسية ،عندما كان الحد الأدنى تالر واحد يدفع على (١٢) شهرا ،ولكنهم كانوا غير قادرين على دفعها بسبب فقرهم ،ففي دوسلدورف سنة١٨٤٤م كان (١٢,٢%) من السكان غير قادرين على دفعها ،النسبة ارتفعت لتصل إلى (١٤,٩%) سنة ١٨٤٨م ،النسبة في ولاية اسن كانت أكبر (١٧,٤%) لأولئك الذين تم إحصائهم ١٨٤٢م ،لترتفع النسبة إلى (٢٠,٣%) سنة ١٨٤٧م .مؤشر آخر يظهر حجم الفقر والمعاناة في منطقة كولونيا إذ تبين أن (١٧%) من سكانها كانوا من الذين يتلقون إعانات

---

[1] Matz, Klaus Jürgen, **Pauperismus und Bevölkerung: Die Gesetzlichen Ehebeschränkungen in den Süddeutschen Staaten während des 19**. Jahrhunderts, Stuttgart, 1980.S177-178.

اجتماعية ،النسبة ارتفعت إلى الثلث خلال سنوات فشل المحصول أو الأزمات التجارية مثل : ١٨١٧م ،١٨٣٠م، ١٨٤٦–١٨٤٩م .هذه المناطق هي اكبر المناطق الواعدة في الازدهار الصناعي والتجاري والسوق الزراعي في منطقة الراين المناطق الأخرى المرتفعة في الراين كانت أكثر فقرا[1] .

ومن جانب آخر ،الفقراء في المدن لم يكن حالهم أفضل من أهل الريف،ولكنهم عدديا كانوا أقل بكثير؛فالمدن الألمانية في المعايير الأوروبية كانت صغيرة حتى في اكبر المدن الألمانية سكانا،فلم يكن هناك مدينة ألمانية تقترب من عدد سكان لندن (٢,٣) مليون نسمة سنة ١٨٥٠م،أو باريس التي كان عدد سكانها خلال نفس الفترة أكثر من مليون نسمة ،وفيما يلي جدول يوضح ذلك:

جدول رقم (٧) يوضح عدد السكان في المدن التي يزيد عدد سكانها عن (٢٠ألف) نسمة سنة ١٨٤٦م.

اسم المدينة	عدد السكان	اسم المدينة	عدد السكان
برلين Berlin	٤٠٨,٥٠٢	**بارمن Barmenn**	٣٤,٩٣٢
بريسلاو Breslau	١١٢,١٩٤	**كريفيلد Krefeld**	٣٣,٥٤٨
كولونيا Kölen	٩٠,٢٤٦	**البيرفيلد Alberfeld**	٣٨،٢٤٩
كونجيسبيرج Königsberg	٧٥,٢٤٣	**هاله Halle**	٣٣,٠٧٢
دانزيجDanzig	٦٦,٨٢٧	**ايرفورت Erfurt**	٣١,٢٧٧
ماجده بورج Magdeburg	٥٥,٨١٦	**فرانكفورت Frankfurt**	٣٠,٤٣٢
آخن Aachen	٤٨,٥٥٧	**دوسلدورف Düsseldorf**	٢٦,٣٠٩
شتتين Stettin	٤٥,٨٠٧	**مونستر Münster**	٢٤,١٩٣
بوسنPossen	٤٣,٠٥٨	**كوبلنز koblenz**	٢٣,٤٣١
بوتسدام Potsdam	٣٩,٥٥١	**ايلبنج Elbing**	٢٢,٢٤٦

Die über den Preßichen Staat gesammelten statistischen nachricten, Staatarchiv Merseburg, report 77 , Title 94, 1846.

وبناء على الأرقام الواردة في الجدول يمكن تقدير ضعف أو بطئ ظهور طبقة عمالية مؤثرة في الإنتاج الصناعي ، فضعف الزخم السكاني في المدن – المكان المفترض للنشاط الصناعي – أدى إلى ضعف حجم العمالة الصناعية الحقيقية المؤثرة في البناء السكاني من جهة وفي تطور طبقة بروليتارية صناعية من جهة ثانية ،الأمر الذي أثّر في النهاية في معادلة الإنتاج الصناعي .

---

(1) Sperber,**Rheinland Radicals**.p.35-36.

فقد ارتبط ظهور البروليتاريا الصناعية بدرجة كبيرة بتطور الصناعات الألمانية وبتطور الطبقة البرجوازية داخل المدن الألمانية والتي كما اشرنا في الجدول رقم (٧) كانت قليلة السكان بالمعايير الأوروبية ،فقد شكلت البرجوازية في أقصى حدودها (٢٠%) من السكان داخل بروسيا أكثر الدول الألمانية تطورا في منطقة الراين ،فالصناعة لم تبدأ بتغيير حياة الناس في تلك الفترة ففي كل المناطق البروسية كان عدد العمال الصناعيين (٥٥٣,٥٤٢) عاملا ،أغلبهم يعمل في منشآت صناعية صغيرة لا تستحق أن نسميها مصانع .ففقر المدن والبروليتاريا الصناعية الوليدة جعل منها مصدرا كامنا للخطر نتيجة تمركزها في مناطق معينة على عكس القوى العمالية الأخرى ،بالإضافة إلى سوء أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية ،فهي واقعة في أسفل الهرم في الطبقات الدنيا[١].

وإذا ما تم إضافة ارتفاع الضرائب على الحالة الاقتصادية العامة ،نجد أن الألمان كانوا يقارنون مابين فترة حكم نابليون والفترة التي هم فيها(الثلاثينيات والأربعينيات) حيث تم استحداث ضرائب جديدة ،وتم زيادة الضرائب بشكل لا يتلائم مع قدراتهم الاقتصادية ،وكانوا يترحمون على الأسعار أيام الحكم الفرنسي[٢].فالدولة في سعيها للحصول على موارد مالية من مجتمع غالبية أفراده تعيش في حالة من الفقر،ومستويات الحياة بالنسبة للغالبية هي في انخفاض وهناك صعوبات كبيرة في الحصول على مقومات الحياة ،فالطريقة غير العادلة التي تم فيها زيادة واردات الدولة بإعفاء السكان الأكبر سنا ،واستبعاد كبار الملاكين على حساب الفلاحين ، واستبعاد النبلاء والبرجوازيين على حساب عمال المياومة وسكان المدن الفقراء ساهم في تعقيد الأوضاع ،وعمق من حدة التوترات الاجتماعية.فقبل عام ١٨٤٨م فرضت الرقابة على المتعلمين وخاصة فيما يتعلق بالضرائب .الأمر الذي انعكس في محاولات كسر قيود سلطة الدولة ووضعها جانبا كصورة للتعبير عن امتعاض السكان من الضرائب وطرق جمعها وفرضها[٣].

بشكل عام بعد عام ١٨٣٥م شهدت البلاد بدايات حركة تصنيع واسعة هذه التطورات كان مردها إلى تحسن طرق المواصلات ،فقد بدأت عمليات تحسين الطرق البرية منذ عهد نابليون .وبعد ١٨١٥م عملت بروسيا على بناء شبكة طرق لربط كافة مناطقها،ففي نهاية سنة ١٨٢٨م بلغت طول الطرق البرية البروسية الجديدة (٢٨٠٠) ميل .وخلال العشرينيات دخلت

---

[1]**Kocka**, Jurgen, **Weder Stand Noch Klasse: Unterschichten um 1800; Arbeitsverhaltnisse und Arbeiterexistenzen: Grundlagen der Klassenbildung im1800-1875**. J.H.W. Dietz Nachf. Bonn, 1990. S.96-98.

[2] Sperber, **Rheinland Radicals.p.62**; Kocka, **Weder Stand Noch Klasse.S**.99-102.

[3] Sperber, **Rheinland Radicals.p.63**.

السفن البخارية التي سرّعت من عملية النقل النهري في الراين ،وفي سنة ١٨٤٥م تمّ بناء قناة تربط أنهار :الراين والماين والدانوب .الثورة الحقيقية في المواصلات جاءت مع بناء السكك الحديدية ووضع القانون الجمركي الموحد الذي عدّ أحد العوامل الهامة في عملية النمو الاقتصادي في ألمانيا[١].

٢-٥.الاتحاد الجمركي الألماني "التسولفراين(Deutscher Zollverein) :

كانت ألمانيا في نهاية الحروب النابليونية في حالة من التخبط الاقتصادي،والمتأمل في وثائق مؤتمر فينا يجد أنها لم تعالج المسألة الاقتصادية على الإطلاق[٢]،وكان من أسوأ النتائج التي ترتبت على المؤتمر تأكيد النزعة الإقليمية للدول الأعضاء التي وقعت اتفاقية الكونفدرالية الألمانية ،وترتب على ذلك تبني سياسات اقتصادية مختلفة ،وكانت أغلب تلك السياسات مؤذية للدولة نفسها ولجيرانها ،فلم يكن هناك فرق ما بين الدول الصغيرة أو الدول الكبيرة من هذه الناحية ؛فالجمارك كانت متعثرة ليس فقط داخل الكونفدرالية بل داخل الدول الكبيرة ،ففي بروسيا على سبيل المثال كان هناك أكثر من ستين تعرفة جمركية محلية[٣].

تطبيق تلك الأنواع من التعرفة الجمركية كان مختلفا داخل المقاطعات البروسية ،ففي مقاطعاتها الغربية كان يتم استيراد البضائع الأجنبية بحرية دون دفع أي رسوم وإن دفعت فهي رسوم رمزية ،في حين أنها كانت في المقاطعات الجنوبية تتم بصعوبة وتدفع رسوما عالية فتعدد التعريفات الجمركية جعل إدارتها مكلفة وغير فاعلة ،مما زاد من عمليات التهريب والتهرب من دفع الرسوم الجمركية .كما أن عدم وجود بيانات محددة لمصادر الدخل ،وضعف وسائل الاتصالات والمواصلات ،بالإضافة إلى التعرفة السويدية في الشمال ،ونظام التعرفة الفرنسية في منطقة الراين كلها ساهمت في التخلف الاقتصادي الكبير الذي عانت منه ألمانيا[٤]. ومن جانب

---

(1) Carr, **A History of Germany**,p.25-26.

(2) **Deutsch Bundesgesetz (8-9 Juni 1815)in**: Karl Bindung,**Deutsche Staatsgrundgesetze Nummer III** ,S.19ff; Klüber, **Akten des Wiener Kongresses**.S.95-101;Nicolson ,**The Congress of Vienna**. pp .70 -75.

(3) Zimmermann**,** Wilhelm**, Allgemeine Geschichte des Großen Bauern-Krieges.** nach handschriftlichen und gedruckten Quellen, .Stutgart, 1854. Band. 1.S. 1.

(4) Ashley,Percy, **Modern Tariff History: Germany, United States, France**. 4ed (First ed 1904), Dutton & Company, London, 1920.p.3; Marriott **,The Evolution of Prussia, the Making of an Empir** .p.290.

آخر كان الهدف من القانون إيجاد موارد دخل جديدة وخاصة أن الدين العام للحكومة البروسية وصل في سنة ١٨١٨م إلى حوالي (٢١٧) مليون تالر(Taler)[١].

كانت هذه العوامل سببا في قيام بروسيا بإصدار قانون التعرفة الجمركية لسنة ١٨١٨م في عهد وزير المالية هاينريش بولف (Heinrich von Bülow) ١٧٩٢-١٨٤٦م وبأفكار جورج ماسن(Georg Maaßen) ١٧٦٩-١٨٣٤م أحد المسؤولين الماليين في الحكومة البروسية ،وأحد أنصار أفكار آدم سميث (Adam Smith) ١٧٢٣-١٧٩٠م الاقتصادية .كانت خطة ماسن التي تم تضمينها في قانون ١٨١٨م والتي تضمنت (٦٨) مادة ،قائمة على إلغاء جميع الحواجز الجمركية داخل بروسيا ،وإيجاد سياسة جمركية جديدة قائمة على حرية التجارة والتبادل التجاري ،وعلى إعفاء كافة السلع من المواد الأولية المصدرة من كافة الرسوم ،وفرض (١٠%) على المواد المصنعة، بينما تدفع السلع المستوردة من المستعمرات واستيراد النبيذ (٣٠%) ،وفرض رسوم معقولة على البضائع التي تمر عبر الأراضي البروسية إلى الدول الألمانية الأخرى ،كما فرضت رسوم إضافية على سلع معينة بهدف حماية المنتجات المحلية[٢].وأكد القانون على إعفاء المحاصيل الزراعية من التعرفة الجمركية بضغط من النبلاء"اليانكرز" الذين كانوا يستوردون المواد المصنعة مقابل تصدير المحاصيل الزراعية خاصة الحبوب ،علما أن القانون ألغى نظام التعرفة القديم العائد للعصور الوسطى "المكوس"(Accise) والذي الحق ضررا بالامتيازات الخاصة بالنبلاء[٣].

كان قانون التعرفة البروسي لسنة ١٨١٨م نقطة تحول أساسية ومميزة في التاريخ الاقتصادي البروسي ،فقد كان متحررا ومتقدما على أي نظام اقتصادي آخر في ذلك الوقت حتى على النظام البريطاني ،فألمانيا كانت تقريبا بلدا زراعيا متخلفا تميز بوجود الملكيات الواسعة وخاصة في المناطق الشمالية ،والمزارعون كانوا يميلون إلى الصناعات الأجنبية وثقتهم بها أكبر ،بالرغم من وجود بعض الصناعات التي تعود إلى الفترة النابليونية وخاصة في ظل الحصار القاري ،إلاّ أن القانون الجديد لم يتضمن أي بنود تتعلق بحماية هذه الصناعات من المنافسة غير المتكافئة باستثناء مادتين حظر استيرادهما نتيجة احتكار الحكومة لهما وهما الملح وورق

---

(1) Wolfram, Fischer**, Der Deutsche Zollverein**, die Europäische Wirtschaftsgemeinschaft und die Freihandelszone, Europe Archive, Band.V, 1961, S.105-114.S110.

(2) Schmoller,G.(1904)**Grundriss der Allgemeinen Volkswirtschaftslehre**,2 Bände,Duncker& Humblot . Schneider, Leipzig, 1962. Band. II, S.611.

(3) Fischer, Der Deutsche **Zollverein**, S.111.

اللعب[١].ومن جانب آخر لم يفرض القانون الجديد على قيمة السلعة فقط وإنما فرض على أساس ثابت لوزن السلع وحجمها بنسبة (١٠%) على القيمة التقديرية ،ولا تبقى هذه النسبة ثابتة بل تتزايد على أساس الوزن والحجم مهما طرأ عليها من تغيير في القيمة ،لذا لم يكن هناك داعي لمقيمين خبراء لتحديد قيمة الرسوم في جميع المراكز الجمركية البروسية ،فأي مخمن كان قادرا على القيام بالعملية[٢].

بدأ العمل بالتعرفة الجديدة في الأول من كانون أول ١٨١٩م ،بجدية وإدارة فاعلة الأمر الذي أدى إلى دخول بروسيا في صراع مع الدول المحيطة بها ،والى حالة من السخط عمت كافة الدول الألمانية حتى تلك التي ليس لها حدود معها.واستخدمت بروسيا كامل نفوذها وقوتها في فرض النظام الجمركي الجديد ؛فقد اضطرت إمارة شفارتسبورج– زوندرهاوزن (Schwarzburg–Sondershausen) إلى قبول العرض البروسي لها بالتعرفة الجمركية الجديدة وقبولها بالعمل بمظلة الدولة البروسية وتحكمها المطلق وزعامتها لأي اتحاد قد ينشأ مستقبلا .إلاّ أن معظم الدول الأوروبية الكبيرة عارضت بشدة مثل هذا المسار الذي يخل بموازين القوى على الساحة الألمانية .ميترنيخ اعتقد أن هذا الإجراء يمس سيادة الدول وحريتها ،كما أنه فكر أن لا مصلحة حقيقية للنمسا في قيام مثل هذا الاتحاد .ومؤتمر الوزراء لدول الكونفدرالية لم يفعل أي شيء سوى الموافقة على التعرفة الجمركية البروسية ،كبديل أناني عن الاتحاد الجمركي الألماني[٣].

سياسة بروسيا كما هي في اتفاقها مع شفارتسبورج قد أخذت السيطرة والمبادرة الكاملة على أي اتحاد قد يتشكل مستقبلا ،وهذا كان من المكن أن يكون مقبولا للدول الصغيرة بقوة الإكراه ؛فالدول الصغيرة لن تدعم الكبيرة على حساب استقلالها ،ولكنها في سبيل ذلك على استعداد لمثل هذا الدعم إذا كان يعزز مصالحها وحصولها على منافع اقتصادية ويحفظ لها استقلالها السياسي .ولكن ذلك غير مقبول من الدول الكبيرة ولا يتوافق ومصالحها لذا لن توافق على مثل هذه الاتفاقيات .الجميع كانوا متعلقين باستقلالهم لقد كانت بالفعل حربا جمركية وصناعية فيما بين الدول الألمانية. ففي بداية سنة ١٨١٩م تقدّم كارل فريدرش نيبنيوس[٤]

---

[1] Schmoller ,**Die Allgemeine Volkswirtschaftslehre.** Band.II,S.606–608;Ashley, **Modern Tariff History** , p.4; Carr, **A History of Germany.** p.26.

[2] Ashley**, Modern Tariff History,** p.5; Marriott**, The Evolution of Prussia**, p.291.

[3] Ashley, **Modern Tariff History**, p.5–6; Carr, **A History of Germany**.p.26

[٤] أحد ابرز الاقتصاديين الكبار في بادن ، تسلم عدد من الوظائف الحكومية أعلها رئاسة الوزراء ،كان شديد الولاء للأمير والبلاد،وهو واضع أسس دستور بادن سنة ١٨١٨م ،وأحد دعاة إقامة الاتحاد الجمركي ولكن ليس تحت مظلة بروسيا .

Weech, Friedrich von.,**Nebenius, Carl Friedrich,** in:(ADB) Band 23 1886.S. 351–355.

(Karl Friedrich Nebenius) ١٧٨٥-١٨٥٧م من بادن نيابة عن حكومته بمذكرة حول الظروف الاقتصادية في ألمانيا .وقد أكد في هذه المذكرة على أن الدول تعاني من نظام التعرفة الجمركية التي تتبعها جيران تلك الدول ،وهي تعاني بشكل أكبر من السياسات التي تتبعها في داخل الدول التي تضمها أو المناطق المشكلة لها . واقترح أن العلاج الحقيقي الوحيد هو بتشكيل منظمة اقتصادية من الدول الألمانية ،تلغى فيها سياسات الحماية وتتبنى نظام تعرفة جمركية واحدة ضد الدول الأجنبية. وبنفس الوقت سوف يكون من الضروري للدول الألمانية أن تقوم بمطابقة أنظمتها الضريبية الداخلية مع هذا النظام[١].

أعطت هذه المذكرة نيبنيوس الرصيد الكافي ليكون مبتدع فكرة نظام التسولفراين – الاتحاد الجمركي- (Zollverein)،ولكن الفكرة لم تكن محصورة به؛ففي ٢٤ أيار سنة ١٨١٩م تقدم وفد من الصناعيين الألمان وهم في اغلبهم من الدول الألمانية الجنوبية،لمقابلة الرايخستاج (Reichstag) لمناقشة مسائل تتعلق بإنشاء اتحاد جمركي، وإنشاء برلمانا مشتركا لألمانيا ووضع دستورا مشتركا للدول الألمانية ، وكان من ضمن الوفد فريدرش ليست(Friedrich List) أستاذ الاقتصاد في جامعة توبنجن، الدايت من جانبه لم يشأ تعزيز دور بروسيا في زعامة الدول الألمانية وقلل من أهمية مثل هذا الطرح[٢].

انضمت دول جديدة إلى الاتحاد الجمركي البروسي في سنة ١٨٢٢م مثل : فيمار- جوتا، ماكلينبيرج- شفايرن ،شاومبيرج –ليبا،بامبيرج،وهسن- درامشتات. لم تكن بروسيا الوحيدة التي سعت إلى نظام جمركي موحد فقد قام اتحاد جمركي ما بين بافاريا وفورتمبيرج ١٨٢٨م،وفي السنة نفسها تم إنشاء الاتحاد الجمركي لدول وسط ألمانيا،والذي ضم ساكسونيا وهانوفر وبرونسفيك وبعض الدول الصغيرة.لقد كان هذا الاتحاد تحديا لبروسيا لأنه يطل على بحر البلطيق شمالا ويتحكم في أنهار: الرين،الالبه ،الفيسر والماين. وكان الهدف منه إبعاد مرور البضائع في الاتحاد البروسي .لقد حظي الاتحاد الأوسط بدعم الليبراليين في جنوب غرب ألمانيا ودعم ميترنيخ ؛الذي لم يكن له مصلحة في توسع بروسيا شمال ألمانيا[٣].

تعلمت بروسيا الدرس سريعا فقد نصت الاتحادات السابقة على المساواة فيما بين الدول في تقرير السياسات العامة للاتحاد ،مما جعل بروسيا وكأنها تسعى من خلال الاتحاد الجمركي لتعزيز سيطرتها على ألمانيا ،فقامت باقتباس الفقرات المشابهة من اتحاد الدول الجنوبية والتي

---

(1) Ashley, **Modern Tariff History**, p.6-7; List ,**Das Nationale System der Politischen Ökonomie**. S.1-2.

(2) Marriott**, The Evolution of Prussia**, p.291.

(3) Carr, **A History of Germany**, p.27; Marriott**, The Evolution of Prussia**,p.291-292.

أبرزها :تحديد الامتيازات المالية للدول الأعضاء،وإعطاء صوت مساوي في تقرير السياسات الاقتصادية ،وقسمة عادلة في توزيع العائدات الجمركية حسب المساحة وعدد السكان[١].و لحسن حظ بروسيا فشل الاتحاد الذي تزعمته سكسونيا ،وفي سنة ١٨٢٩م قامت بروسيا بعمل ترتيبات مع مجموعة اتحاد بافاريا وفورتمبرج قربت ما بين الاتحاديين إلاّ أنها لم تدمجهما ،باعتماد مبدأ المبادلة الحرة وعقد مؤتمر سنوي للاتحاديين لتنسيق السياسات الاقتصادية .في تلك الأثناء تم حل اتحاد دول سكسونيا سنة ١٨٣٠م،وانضمت هسن – كسل إلى الاتحاد البروسي سنة ١٨٣١م،وسكسونيا نفسها في سنة ١٨٣٣م[٢].

كانت ردود الفعل على هذه التطورات وخاصة في مرحلتها الأولى متباينة بين الدول الأوروبية ؛فقد اعتبر مترنيخ وطاقمه الوزاري أن مثل هذه الاتفاقيات لا تشكل خطرا مباشرا على المصالح النمساوية وفي النهاية سوف تفشل ،لذا عمل على عقد اتفاقيات جمركية مع الدول الخاضعة للنفوذ النمساوي داخل الكونفدرالية الألمانية .وبالرغم من الجهود الجادة التي بذلها في هذا الاتجاه إلاّ أنها لم تكن ذات أثر فاعل .من جانبها قامت فرنسا بعدد من المحاولات لفصل الدول الصغيرة وخاصة تلك الواقعة على نهر الراين على طول حدودها مع ألمانيا من خلال اتفاقيات للتعرفة الجمركية خاصة بتلك الدول[٣].

بريطانيا من جانبها استشعرت الخطر الحقيقي الذي يشكله الاتحاد الجمركي التسولفراين على مصالحها في السوق الألماني ،وعملت على إيقاف عملية تشكل اتحاد جمركي ألماني شامل من خلال عقد اتفاقيات مع دول ألمانية صغيرة ،فقد ذكر رئيس المجلس البريطاني توماس لاك (Thomas Lack) حول نية هانوفر الدخول في التسولفراين "إنه يقوم أساسا على العداء لبريطانيا ويعمل على توسيع نفوذ بروسيا السياسي في وسط أوروبا وخاصة في الدول الألمانية ... [٤]". رئيس الوزراء البريطاني بالمرستون لم يرحب بالتسولفراين فقد سعى إلى إبعاد هانوفر عن الدخول فيه بالضغط على ملكها وحكومته [٥]،وطالب صراحة من مجلس العموم البريطاني دعم توجهات هانوفر في الابتعاد عن التسولفرين ،وأكد ذلك سنة ١٨٤١م حيث أشار إلى أنه سعى في فترة

---

(1) Ashley, **Modern Tariff History**,p.7-8;Carr, **A History of Germany**,p.27-28; Marriott**, The Evolution of Prussia**,p.293.

(2) Marriott**, The Evolution of Prussia,** p.293; Zimmermann, **Allgemeine Geschichte des Großen Bauern-Krieges**, Band.I, S.52-53. Ashley, **Modern Tariff History**, p.9.

(3) Ashley, **Modern Tariff History**.p.9-11.

(4) **Letter from Thomas Lack to Sir Geogshee** 25th May,1833. F.O,No.30/135.

(5) **Letter from Lord Palmarstoon to Baron Omptede**, 7th June,1833.F.O. ,No 34/23.

تأسيس التسولفراين إلى توقيع اتفاقيات مع الدول الصغيرة مثل فرانكفورت على الماين نصت على عدم إعطاء أي دولة أخرى أفضلية في المبادلات التجارية [١].

انتصرت بروسيا في هذه المعركة مع اتحاد وسط ألمانيا والدول الأوروبية الأخرى ويعود ذلك لبنية النظام الجمركي البروسي مضافا له شبكة الطرق البرية وخاصة الطريق الذي يربط ما بين بروسيا وسكسونيا مع جنوب ألمانيا ،وعقد اتفاقية مع العاملين في قطاع خدمات السفن في منطقة الراين.كل هذا مهد الطريق أمام المحادثات التي قادها ماسن الذي أصبح وزيرا للمالية في بروسيا،والتي أنتجت النظام الجمركي الألماني الموحد والذي بدأ العمل به في الأول من حزيران سنة ١٨٣٤م، حيث ضم الاتحاد بداية سبع عشرة دولة،بعدد سكان بلغ (٢٤) مليون نسمة بمساحة (١١٢) ألف ميل مربع ،ورغم ذلك بقي على الاتحاد الشيء الكثير لكي يقوم به قبل أن يصبح وحدة جمركية واحدة ومنظمة صناعية،فقد بقيت العديد من الدول خارج اتحاد التسولفراين وخاصة في المنطقة الشمالية:هانوفر ،براونشفايج ،أولدينبيرج ،ماكلينبيرج ،مدن الهانزا الثلاث ولكسمبورغ ،بالإضافة إلى بادن وأهم المدن جمركيا فرانكفورت ،وبعضها لم يبق طويلا خارج الاتحاد الجمركي[٢]. فقد انضمت بادن إلى الاتحاد سنة ١٨٣٥م ،لحقت بها بعد مفاوضات صعبة فرانكفورت سنة ١٨٣٦م،وخلال السنوات الخمس اللاحقة انضمت عدد من الدول الصغيرة ،ولكن بقيت هانوفر واولدنبيرج وبرونشفايج التي شكلت اتحادا خاصا فيما بينها عرف شتويرفيراين(Steuerverein) – أي الاتحاد الضريبي[٣].

تم إقرار النظام الداخلي للاتحاد الجمركي الألماني التسولفراين، حيث أكد في مقدمته على أن السياسة الجمركية المتبعة خاضعة للمراجعة السنوية من خلال المؤتمر الدوري،وأي تغيير على هذه السياسة يحتاج إلى إجماع الدول –كانت هذه نقطة الضعف في الاتحاد حيث عبر الاتحاد عن رغبة الدول في المحافظة على استقلالها – يطبق هذا النظام على كل الدول في الاتحاد مع احتفاظ كل دولة من دول الاتحاد بقوانينها الاقتصادية والجمركية داخل حدودها بما لا يتعارض مع السياسة العامة للاتحاد .العائدات الجمركية توزع على الدول الأعضاء اعتمادا على عدد سكانها. ومن جانب آخر أكد النظام الداخلي على تشجيع الصناعات الناشئة بفرض رسوم قليلة عليها ،كما فرض رسوما معقولة على المستوردات من المستعمرات ،وأعطى حرية الاستيراد للمواد الأولية وبعض المواد اللازمة للصناعة[٤].

---

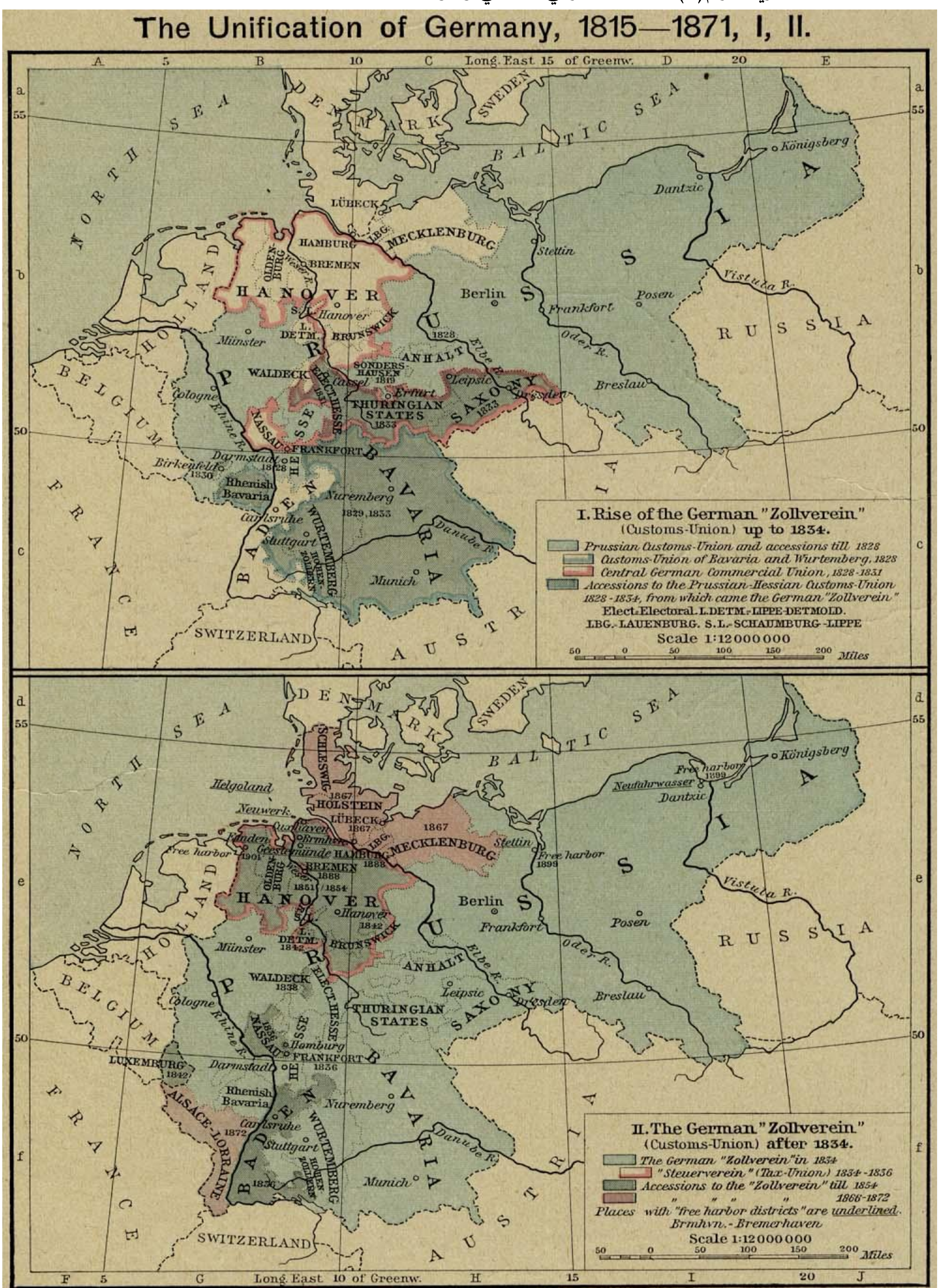
(1) **Letter from Lord Palmarstoon to Sir E.Cromwell**, 24th September,1841.F.O. ,No 37/55.

(2) Schmoller, **Grundriss**, Band. II, S.611-12; Ashley, **Modern Tariff History**, p.12.

(3)Ashley, **Modern Tariff History**,p.12.

(4) Carr, **A History of Germany**. p. 27-28; Marriott, **The Evolution of Prussia**. p.294.

خريطة رقم(٤) الاتحاد الجمركي الألماني والدول الأعضاء فيه.



Shepherd,**William R.Shepherd's Historical Atlas**.Henry Holt and Company, New York, 1911.No:I,II.

نص النظام الداخلي على انعقاد المجلس التنفيذي للتسولفراين في إحدى عواصم الدول الأعضاء بالتناوب ،كما نص أن لكل وفد من الدول الأعضاء صوتا واحدا ،باستثناء بعض الجيوب الصغيرة وبعض الدول الصغيرة التي لم تملك حق التصويت أو الاعتراض بسبب تبعيتها للدول الكبيرة ،وتتخذ القرارات بالإجماع وتكون ملزمة لجميع الدول،دون أن يكون هناك حق الاعتراض للدول الكبرى "فيتو" –استمر ذلك حتى سنة ١٨٦٧م عندما أصبح هذا الحق لبروسيا– وتكون المواضيع المتعلقة بالنقاشات داخل المجلس التنفيذي فقط في مجالي التعرفة الجمركية والتجارة[١].

فتحت هذه التطورات عهدا جديدا من التطور الاقتصادي ،فقد أدى الاتحاد إلى ارتفاع قيمة حجم التجارة الخارجية الألمانية ،والتي كانت نصيب ألمانيا فيها من اقل الدول في غرب أوروبا.لقد كانت الامتيازات الممنوحة للدول حافزا قويا لباقي الدول الألمانية في الانضمام إلى الاتحاد ،وكان الأثر السياسي كبيرا جدا وخاصة لبروسيا التي لم تكن تفكر في وحدة الألمان عندما أنشأت الاتحاد ،ولا الدول التي انضمت كانت تفكر في ذلك أيضا ،فكل همها كان التخلص من مشكلاتها الاقتصادية ،ونظرت الدول الكبرى الألمانية إلى قيادة بروسيا لهذا الاتحاد نظرة الغيرة[٢].

كان الاتحاد الجمركي حديث كل الألمان، فمن وجهة نظر الليبراليين هو الخطوة الأولى على طريق تحقيق الوحدة السياسية وبناء الدولة الألمانية .وفي هذا قال الشاعر الألماني هوفمان فون فالرزليبن (Hoffmann von Fallersleben)١٧٩٨–١٨٧٤م في سنة ١٨٤٠م[٣]:

عندما أحاط وطن الآباء الألماني الوحدة...بالتسولفراين

قامت بأكبر مما فعلته تلك الرابطة الواهية (الكونفدرالية)...

إنه ربط كل القلوب... .

ساهم التسولفراين في زيادة العائدات الجمركية لمعظم الدول الألمانية،وفي تحسين أوضاعها الاقتصادية والمعيشية، وهذا ما يوضحه الجدول رقم (٨) .

---

(1) Fischer, **Der Deutsche Zollverein**, S.108.

(2) Carr, **A History of Germany**, p.28; Marriott**, The Evolution of Prussia**, p.294-95.

(3) **Fallersleben**, in: Carr, **A History of Germany**. p.28; Franz Muncker, **Hoffmann von Fallersleben** (ADB). Band. 12. 1880. S. 608–616.

جدول رقم (٨) نسبة صافي العائدات الجمركية من التسولفراين في ميزانية بعض الحكومات الألمانية١٨٢٥-١٨٥٠م.

الدولة	السنة والنسبة	السنة والنسبة	السنة والنسبة
بادن	١٨٣٠م %٨.٤	١٨٤٠م %١٦.١	١٨٥٠م %١٩.٦
بافاريا	١٨٢٥م %٧.١	١٨٣٧م %١٠.٣	١٨٤٩م %١٥.٨
بروسيا	١٨٢٩م %١٤.٠	١٨٤١م %١٧.٨	١٨٥٠م %١٧.٣
فورتمبيرج	١٨٣٠-١٨٣١م %٧.٤	١٨٣٩-١٨٤٢م %١٤.٦	-

Dumke,Rolf ,The Political Economy of Economic Integration: The Case of the German Zollverein of 1834, Queen's University Discussion Paper No. 153,8th Annual, Institute for Economic Research, Queen's University,Canada, 1974.p.44.

ولعل الأثر الأكبر المتوقع من زيادة هذه العائدات هو زيادة قدرة الدولة على الاستثمار نتيجة توفر السيولة المالية مع زيادة فرص العمل ،وبالتالي تحقيق آثار ايجابية اجتماعية مثل تحسن الدخل ،استمرار الوظائف .وآثار اقتصادية بالاستقرار والقدرة على تطوير العمليات الإنتاجية ،مما مكّن الاتحاد للانتقال لخطوات أكثر تأثيرا على المجتمع الألماني عامة ،وعلى تصورات الدول الأعضاء لعلاقتها ببعضها البعض .

لهذا وبعد نجاح التسولفراين في مرحلة التشكل وتخطيه العقبات الأولى التي واجهته بدأت عملية ترتيب علاقات الاتحاد مع الدول المجاورة على أساس الواقع الجديد ،وأوكلت هذه المهمة لبروسيا ،ولكن الجهود الأولى لم تؤد إلى نجاح يذكر ؛فالمفاوضات مع روسيا والنمسا والتي انتهجت سياسة استعلائية في تعاملها مع بروسيا ،فاتفاقها مع بروسيا سوف يؤدي إلى تعزيز زعامتها ودورها في الكونفدرالية الألمانية .أما مفاوضاتها مع فرنسا فقد كانت أصعب وارتبطت بدرجة كبيرة بالموقف الدولي وخاصة مع تصاعد الأزمة الشرقية(الدولة العثمانية مع مصر) .النجاح الوحيد كان مع هولندا وبريطانيا التي كانت قد أدركت أن التسولفراين هو الواقع الجديد الذي يجب أن يتعاملوا معه لذا وقعت الدولتان اتفاقيات مع التسولفراين ،والتي أخذت شكلها النهائي مع نهاية سنة ١٨٤١م – في أعقاب مؤتمر لندن الثاني حول الأزمة الشرقية– حيث تم الاتفاق على حصول دول التسولفراين على امتيازات خاصة فيما يتعلق بالحماية البحرية وحرية استخدام الموانئ الانجليزية في مستعمراتها،كما تحصل بريطانيا في المقابل على نفس

المعاملة في الموانئ الألمانية[١].وهنا لا بد من الإشارة إلى أن هذا التحول في الموقف البريطاني يعود في رأيي إلى شراء الموقف البروسي الذي تطابق مع الموقف البريطاني وبخاصة أن فرنسا قد هددت في مطلع سنة ١٨٤٠م باحتلال منطقة الراين.

كانت المنافسة الجمركية بمثابة حرب حقيقية مع الدنمارك ؛فقد سعت الدنمارك لفرض اتفاقية جمركية تحمي من خلالها إنتاجها الزراعي من المنافسة الألمانية ،لذا فشلت المفاوضات الأولى بينهما ،فاتجهت الدنمارك لفرض رسوم جمركية على وارداتها من الحبوب من ألمانيا . رد التسولفراين بفرض رسوم جمركية عالية على السكر الدنماركي ،وإلغاء الامتيازات الممنوحة للسفن الدنماركية في منطقة الراين .دخلت الدولتان في مفاوضات انتهت بتوقيع اتفاقيات منفصلة تتعلق بالإنتاج الزراعي والنقل البحري والنهري ،ولكن بقيت مسألة السكر الدنماركي عالقة بسبب الاتفاقية مع هولندا وبريطانيا (السكر البريطاني والهولندي) كما ظهرت مصانع ألمانية لصناعة السكر في تلك الفترة وخاصة في منطقة الراين [٢].

شهدت مطلع الأربعينيات نهضة كبيرة للتسولفراين ،حيث استفادت الدول الأعضاء استفادة كبيرة من الاتحاد ؛فقد حدثت تطورات صناعية وتجارية كبيرة ،وأزيلت كافة أسباب الخلاف فيما بين الدول وكان هناك رضى شعبي وحكومي عن أداء التسولفراين ؛فقد نظر إليه شعبيا على أنه التعبير العملي عن تطلع الألمان نحو الوحدة ،أما الحكومات فقد نظرت إلى العوائد الجمركية التي حصلت عليها .وزاد خلال هذه المرحلة الطلب على المنتجات الزراعية وزادت الحاجة إلى تصدير الفائض الزراعي ،وأدى ذلك إلى ارتفاع الأسعار ،وبنفس الوقت زيادة في الأجور وقد أثر ذلك على عمليات الاستيراد وقلل منها،وانعكس ذالك بالضرورة على الحياة اليومية للمواطن الألماني[٣].وتحسن المستوى المعيشي الذي قاد للتمسك بهذا الاتحاد والدفاع عنه.

كانت الإشكالية الأساسية على المستوى الداخلي في انخفاض عائدات بروسيا الجمركية لصالح الدول الصغيرة ،وهذا لم يرض رجال الدولة الذين تساءلوا عن الفوائد التي جنوها من الاتحاد ،ولكن لم يجرؤ أحد على التفكير في إلغاء الاتحاد أو كسر قواعده ؛ لذا سعت بروسيا إلى أن تحصل على نسبة عادلة من العائدات الجمركية خلال سنة ١٨٤٠،إلا أن المحاولة فشلت بسبب معارضة الدول الأخرى وخاصة بادن وبافاريا ،فقامتا ببعض الإجراءات المالية التي

---

(1) Schmoller, **Grundriss**, Band.II. S.611-612; Zimmermann**, Allgemeine Geschichte des Großen Bauern-Krieges**, Band. I. S.140-142; Ashley, **Modern Tariff History**, p.13.

(2) Ashley, Modern Tariff History,p.12-14.

(3) List , **Das nationale System der politischen Ökonomie**.S.15-16.

كان من شأنها زيادة عائداتهما من التسولفراين والتي تم إقرارها في أيار ١٨٤١م .فمثل هذه الدول صارت تعتمد بشكل متزايد في ميزانيتها على العائدات الجمركية من التسولفراين ،ويعود سبب ذلك إلى ارتفاع صادرات دول التسولفراين من (١٢٥) مليون تالر سنة ١٨٣٦م إلى (٢٢٤) مليون تالر سنة ١٨٤٧م.وقد كانت مثل هذه الفوائد دافعا لبعض الدول للانضمام إلى التسولفراين ،ففي سنة ١٨٤٢م انسحبت براونشفايج نتيجة خلافاتها مع هانوفر من اتحاد شتويرفيراين وكذلك فعلت شوامبيرج وليبه- ديتمولد .وفي نفس الفترة حدث تطور مهم على صعيد الاتفاقيات مع الدول المجاورة بتوقيع اتفاقية ما بين التسولفراين وبلجيكا حيث استفادت ألمانيا من الموقع الجغرافي المميز لها ومن شبكة السكك الحديدية في تصدير بضائعها[1].

وبالتدقيق في ما كتبه الاقتصادي الألماني فريدرش ليست(Friedrich List) نستطيع تلمس التغير الاقتصادي الكبير سواء في عمليات التصنيع أو الإنتاج الزراعي وتحسن المستوى الاقتصادي للشعب الألماني في ظل التسولفراين ،فقد زادت نسبة الصادرات الألمانية من المواد الأولية الخام وكذلك زادت نسبة الواردات من المواد المصنعة أو نصف المصنعة كما يوضحها جدول رقم (٩):

جدول رقم (٩) واردات وصادرات التسولفراين بآلاف الأطنان.

	الواردات		الصادرات	
المادة	١٨٣٢م	١٨٣٧م	١٨٣٢ م	١٨٣٧م
قطن خام	١١٨	٢٤٠	–	–
خيوط قطنية	١٧٢	٣٢٢	–	–
أقمشة قطنية	٢٦	٧٥	–	–
الصوف الخام	٩٩	١٩٥	١٠٠	١٢٢
أقمشة صوفية	١٥	١٨	٤٩	٦٩
الكتان المغزول	٣٠	٢٤	–	–
حجر البناء	٥	٢	٤	١٨
الخزف	٤	١	٠.٧	٤

المصدر : List , Das Nationale System der Politischen Ökonomie.S.15-20.

وحسب مفهوم الميزان التجاري فإن زيادة الصادرات يعني بداية التوازن المالي ، ويعكس القدرة التصنيعية والإنتاجية للدول ،ويوضح تماما دور التسولفراين في زيادة القوة الاقتصادية

[1] Zimmermann, **Allgemeine Geschichte des Großen Bauern-Krieges**. Band. I. S.278; **Ashley, Modern tariff history**, p.15-16; Dumke ,The Political Economy,pp.40-42

للدول الأعضاء نتيجة التطور التجاري ،ويدعم فكرة ضرورة زيادة الإنتاج لتعديل الميزان التجاري الذي ظل ورغم هذه التطورات في حالة عجز لصالح المواد المصنعة ،مما دفع ذالك بريطانيا إلى تحسس الخطر القادم من ألمانيا ،فقد أرسلت بعثة إلى ألمانيا برئاسة الاقتصادي البريطاني جون بورنج (J.Bowring) بهدف جمع معلومات حول النشاطات الاقتصادية الألمانية في ظل التسولفراين .وخلص تقريره إلى أن نسبة البضائع المستوردة قد انخفضت ،وبالرغم من ذلك فقد ارتفعت نسبة الصادرات البريطانية إلى ألمانيا وهولندا وبلجيكا بنسبة (٢٢%)،ويؤكد التقرير على أن نسبة التجارة الألمانية قد نمت بشكل متسارع (٦.٢%) سنة ١٨٣٠م إلى (٢٥.٣%) مابين ١٨٣٥-١٨٣٨م ،ويؤكد التقرير على ضرورة التعاون ما بين بريطانيا والسوق الألمانية الواعدة والمهمة للسوق البريطاني[١].

كان تأثير التسولفراين عظيما على مستقبل ألمانيا السياسي ،فتعدد المراكز التجارية رافقه تطورات صناعية وزيادة في المتطلبات المالية للدول الألمانية ،هذه الحاجات المالية دفعت الدول الألمانية إلى أحضان الدبلوماسية البروسية التي نجحت في توظيفها لصالحها ،وعزز من مكانة بروسيا في ألمانيا على حساب النمسا،فقد كان التسولفراين أداة بروسيا في إحكام سيطرتها الاقتصادية على ألمانيا،مما منح بروسيا أن تكون النواة الأساسية للوحدة الألمانية،ولعل هذا هو أحد الأسباب التي دفعت برلمان فرانكفورت لعرض التاج الألماني على بروسيا.وبالرغم من ذالك عانى التسولفراين العديد من المشكلات التي تمثلت بما يلي[٢]:

١.احتفاظ معظم الدول الأعضاء بنظامها القديم من المكوس والامتيازات الخاصة بالنبلاء.

٢. التهريب ؛فقد عانت دول التسولفراين من التهريب وخاصة في المناطق الجنوبية،فقد بلغت نسبة التهريب ثلث البضائع المستوردة،نتيجة ارتفاع نسبة التعرفة.

٣.اختلاف الموازين ونوع العملة المتداولة،ففي البداية كانت العملة الذهبية أو الفضية البروسية (تالر البروسي)مقبولة في دفع الرسوم، إلا أن تعدد العملات وخاصة مع قيام الجنوبيون بإيجاد عملة خاصة بهم قد خلق العديد من المصاعب في التعاملات المالية.

وبالرغم من هذه التطورات التي اشرنا لها فيجب أن لا يغيب عن البال أن هذه المرحلة هي مرحلة الانطلاق لألمانيا التي لم تكن قد وصلت إلى مرحلة النضج الاقتصادي الكامل ،فهي بعد لم تصل إلى الثورة الزراعية ،ولم يصل التصنيع فيها إلى خلق بروليتاريا حقيقية قادرة على

---

(1) Dr. John Bowring, Report on **the German Commercial Union** to the Parliament, 31Augast 1839. Parliamentary Papers, HC 225, and F.O 97/326.

(2) **Ashley, Modern tariff history**, p. 16; Dumke, The Political Economy, pp. 42.

التعبير عن نفسها والدفاع عن مصالحها،وظهر تطور آخر لعب دورا هاما في تطور ألمانيا الاقتصادي تمثل بدخول شبكات السكك الحديدية وزيادة مدها داخل الدول الألمانية .

٤-٦.السكك الحديدية:

دخلت السكك الحديدية إلى كل أوروبا خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر بدرجات متفاوتة ،وبدأت في ألمانيا أثناء انطلاقتها الصناعية بعد إنشاء التسولفراين،وكانت أول سكة حديدية طولها (٤)كم ربطت بين نورمبيرج (Nuremberg) وفيورت (Fürth) وتم افتتاحها في ٧ تشرين ثاني ١٨٣٥م ودفعت تكاليفها على نفقة الرجال الأثرياء ،وكانت أطول سكة حديدية تربط ما بين لايبزيج مع دريسدن بطول (١١٢) كم تمت على نفقة ملك بافاريا وعلى نفقة الأثرياء حيث كان نصيب الملك منها (١٠٠) مليون فلورين (Florien) (العملة البافارية). اتبعت السكك الحديدية الطرق القديمة ولكنها عملت على وصل مناطق كانت منفصلة اقتصاديا وسياسيا، وبناء خطوط ما بين المراكز الجمركية الرئيسية،وفي سنة ١٨٤٠م كانت طول السكك الحديدية (٤٦٢)كم،وقد صعد هذا الرقم إلى (٢١٥٢) كم سنة ١٨٤٥م وليصل خلال الخمسينات إلى (٥٨٧٥) كم [1] .

ويعود الفضل في فكرة السكك الحديدية إلى الاقتصادي فريدرش ليست،فخلال نفيه إلى الولايات المتحدة سنة ١٨٢٤م،راقب بعين الخبير ما أحدثته السكك الحديدية من تطورات على الاقتصاد الأمريكي،وبعد ثورة تموز الفرنسية عاد سنة ١٨٣٠ إلى ألمانيا وعمل على إقناع الدول والأمراء الألمان بأهمية السكك الحديدية ولكن دون جدوى لتلك الجهود،حتى لقي مثل هذا المشروع آذانا صاغية من أحد رجال الأعمال الصغار الذي أخذ المشروع على محمل الجد،فتم البدء بمشروع لايبزيج،حيث بدأت الدول الألمانية بعدها بتشييد السكك الحديدية نتيجة التنافس والشعور بأهميتها ودورها الاقتصادي [٢].

احتاج نظام السكك الحديدية خاصة بعد أن اجتاز مراحله الأولى لحجم رأسمال كبير يستثمر على فترات طويلة،وهذا تطلب وجود مستثمرين ووسطاء ماليين محليين وأجانب لتوفير مثل هذه الرساميل، فحتى سنة ١٨٥٠ كان حجم الاستثمار في السكك الحديدية قد وصل إلى (٣٢٢) مليون تالر،وهذا يمثل ضعف ما وضع في بناء القنوات ،وتحسين الأنهار والطرق خلال

---

(1) Fremdling,Rainer,**Railways and the Economic Development of Westerns Europe,1830-1914** . Martin's Press, New York,1983.p.121;Tilly,Richard,**Banking in the Early Stages of Industrialization: A Study in Comparative Economic History.** Oxford University Press,1967.p.153.

(2) Legee, **Rhyme and Revolution in Germany**,pp.122-123.

النصف الأول من القرن التاسع عشر ،فقد شكلت نسبة الاستثمار في السكك الحديدية ما بين (١- ٢%) من الدخل القومي[١].

كانت الرساميل الخاصة نادرة ،ونظرا للتنوع الكبير في العملات المستخدمة داخل الدول الألمانية ،فقد تركز النشاط الرئيس للمصارف المتواضعة أصلا على أعمال الصيرفة ،كما كان في العصور الوسطى ،ولم تكن المصارف في تلك المرحلة قد بدأت في تمويل الصناعات الناشئة ،ولما كانت الحاجة ماسة للمال فقد لجأت إلى أصدقاء البلاط [٢] (يهود البلاط) أمثال آل روتشيلد (Rothschild) في فرانكفورت وفينا ،آل أنسالم (Ansalem) وساليمون (Saliemon) ، فالبنوك التي ظهرت لم تكن على استعداد لتحمل المخاطر التي تترتب على الإنتاج من أجل السوق،وليس من أجل مستهلك معروف مسبقا،وهذا الدور الذي يلعبه رأس المال في ظل الإنتاج الصناعي ،فقد كانت الدول الألمانية ما تزال تعتمد على الإنتاج الزراعي ،ورؤوس الأموال الموظفة هي من النوع التجاري ؛فالتاجر ينشئ المصنع اليدوي باعتباره نشاطا تابعا لتجارته وليس كرأسمال صناعي[٣].ومثال ذلك الإنفاق على النقل دون العمل على تحويله لنشاط استثماري كما يتضح من الجدول التالي :

جدول رقم (١٠) يبين تكلفة نقل البضائع بالقطار ما بين ١٨٤٠-١٨٥٠م[٤].

السنة	الكمية المنقولة بالمليون طن/ كم	التكلفة بالفنك لكل طن/كم
١٨٤٠	٣	١٦.٩
١٨٤٥	٥١	١٣.٦
١٨٥٠	٣٠٣	١٠.١

البفنك Pfenning =١% من التالر Taler=٣مارك (بعد الوحدة)

Fremdling, **Railways and the Economic Development,p.26;** Hug, **vom Zeitalter der Entdeckungen bis zum Ende des 19 Jahrhunderts**. band.2,.S.165.

ويبدو جليا من الأرقام الواردة في الجدول الاعتماد الكبير على توفير النقد لأغراض النقل دون توجيهه لدفع تكاليف إنشاء وسائل نقل أو الاستثمار فيها ، باعتبار أن توفر السيولة المالية

---

(1) Tilly, **Banking in the Early Stages of Industrialization**,p.153.

(٢) يهود البلاط اصطلاح اطلق على اليهود الذين لعبوا دورا مميزا في اوروبا ،حيث سد اليهود الفراغات بين طبقة النبلاء وطبقة الفلاحين ،وأصبحوا جماعة وظيفية مالية تابعة للبلاط تضطلع بدور التجارة والربا وجمع وشراء الضرائب وخاصة ضرائب الحروب والعمل بالسمسرة .

(٣) سيغمان،**الثورات الكبرى**،ص١٠٧؛يونان رزق،**أوروبا في عصر الرأسمالية**،ص٢٩٤-٢٩٥.

(4)Fremdling, **Railways and the Economic Development,p.26;** Hug, **vom Zeitalter der Entdeckungen bis zum Ende des 19 Jahrhunderts.** band.2,.S.165.

أساسية للتبادل التجاري واستمرار عمليات البيع والشراء ،بعيدا عن تحويله لرأسمال صناعي منتج لوسائل العمل.

فتحت السكك الحديدية عهدا جديدا في الصناعات الثقيلة؛فقد تضاعف إنتاج الحديد والفحم لتغطية المطالب للوقود والخطوط الحديدية،وهذا يتوافق مع الجدول السابق الذي يبين تطورات السكك الحديدية إذا ما قورن مع الجدول رقم (١٠).

جدول رقم (١١) يبين نسبة إنتاج الحديد والفولاذ.

إنتاج الحديد باستخدام الوقود والقوى الطبيعية(قوة المساقط المائية والخشب)			**إنتاج الحديد باستخدام الفحم الحجري.**		
السنة	**ألف/ طن متري**	**النسبة%**	السنة	ألف/ طن متري	النسبة %
١٨٣٧	٥٨.٧	٣١.٨	١٨٣٧	٩٩.٥	٩٠.٤
١٨٤٢	٩٧.٣	٣٩.٥	١٨٤٢	١٠١.٠	٨٢.٠
١٨٥٠	١٣	٦٣.٦	١٨٥٠	١٣٥.٠	٧٥.١

المصدر : Fremdling, **Railways and the Economic Development**,p.125.

وأثر هذا التطور الاقتصادي بشكل مفصلي في البنية الاجتماعية والاقتصادية،إذ ارتبط ذلك مع تحول في حجم القوى العاملة في القطاعات الجديدة ، وعمل على رفع معدل التوجه نحو التصنيع باعتباره مصدرا للمال – غير التجارة – ، ومصدرا للحفاظ على السوق الصناعية الناشئة في ألمانيا ، حيث بدأت زيادة حجم الاستثمارات الصناعية ،فقد كانت ألمانيا معتمدة في القطارات على البريطانيين الذين تحكموا بها ولكن اعتبارا من سنة١٨٤١م تم تصنيع أول قاطرة على يد مهندس من برلين ويدعى بورزيج(Borsig) داخل ورشته الخاصة وفي سنة ١٨٤٨م صنع (٦٨) قاطرة من القاطرات التي طلبتها الحكومة البروسية وخلال الخمسينات كان من أشهر مصنعي القاطرات في العالم[١]. ولعل هذا مؤشر على التحول في النظام الاقتصادي الألماني.

---

[1] Carr, **A History of Germany**. p.33.

الفصل الثالث.

ثورة آذار ١٨٤٨م والبرلمان التمهيدي.

الفصل الثالث:ثورة [(١)] آذار١٨٤٨م والبرلمان التمهيدي.

٣-١.مقدمات الثورة :

لا يمكن فصل ثورة آذار ١٨٤٨م عن مسارها التاريخي العام الذي جرت فيه ،فهي نتاج أزمة سياسية لمسناها خلال التطورات السياسية التي رافقت الثورة الفرنسية وتأثيراتها على الألمان ،وخاصة خلال فترة التوسعات النابليونية في القارة الأوروبية وما أحدثه نابليون من تغيير جذري في الخريطة الألمانية ،وحركة الإصلاح التي قادها شتاين وهاردنبيرج وحروب التحرير التي قادها البروسيون ؛وخيبة الأمل الكبيرة التي رافقت تسوية فينا١٨١٥م ،وانتصار الرجعية ممثلة بسيطرة ميترنيخ وقوانين كارلزباد التي جعلت الحياة السياسية الألمانية تسير في وجهة واحدة نحو المزيد من السيطرة والسيادة المطلقة للقوى التقليدية في المجتمع الألماني؛ليجد الليبراليون أنفسهم أمام تحديات كبيرة لا يمكن تجاوزها إلا من خلال تغيير النظام السياسي القائم وبنيته الاجتماعية والاقتصادية.

وعلى نفس المستوى تعمقت الأزمة الاجتماعية بفعل التغيرات الاقتصادية التي شهدتها من خلال الاستعراض للتطورات الاقتصادية في ألمانيا خلال نفس الفترة ،فكانت الأزمات التي عاشتها ألمانيا قابلة للانفجار في أي مرحلة من المراحل ؛فمرحلة ما قبل آذار كما يسميها الألمان هي مرحلة حاسمة في التاريخ الألماني والتي تمحورت بما يمكن أن نسميه بمقدمات الثورة . وفي ذلك قال المؤرخ الألماني رودلف شتادلمان(Rudolf Stadelmann) :"كل الثورات الألمانية من لوثر إلى الثورة على نابليون فشلت ،بسبب وجود الرايخ القومي الأعلى ،الذي

---

(١) اشتق معنى كلمة ثورة (Die Revolution) من الاسم اللاتيني في العصور الوسط(Revolvere) أو(revolutio) وتعني (das Zurückwälzen) أي الثورة وهي أقرب ما تكون في المصطلح الانجليزي (to revolve) ،وبعد قيام الثورة الفرنسية غدا مصطلح الثورة منتشر بالمفهوم الفرنسي لدى الألمان. لقد ولدت الثورة الفرنسية ردة فعل لدى الألمان حول مفهوم الثورة التي ارتبطت بالعنف والدم ؛ليتشكل مفهوم إيجابي لدى الألمان عن الثورة خلال مرحلة الإصلاح ؛أي الثورة الفوقية التي تقوم بها الحكومة كما عبر عنها هاردنبيرج لتأخذ المفهوم الرسمي لدى هيجل مفهوم التوازن ما بين مصالح الدولة والمجتمع ،والتي استمرت جزءا من التقاليد الأساسية وخاصة عند الليبراليين الألمان بكافة أطيافهم السياسية ،مع وجود أقلية سياسية راديكالية آمنت بالتغير الجذري على غرار المفهوم الفرنسي للثورة.

Cordula, Koepcke, **Revolution Ursachen und Wirkungen,** Günter Olzog Verlag, München 1971.S.16;Goldstone, Jack A, **Revolution and Rebellion in the Early Modern World**. Berkeley, University of California Press, 1991. pp.7-9.

استوعب حركة الشعب...والتي تعودت على فكرة إصلاح الدولة وفق أفكار التنوير... كان على الألمان في سنة ١٨٤٨م و١٩١٨ أن يتقدموا إلى الأمام بالانفصال التام عن الماضي"[١].

أكد المؤرخ الالماني هاينريش اوغست فينكلر (H.A.Winkler):"إن ماضينا القومي المخفي ليس انتصارا على الملكية ،ولكنه سمى الإنجازات لرجال أمثال فريدرش الكبير وشتاين وبسمارك فالثورة ليست ألمانية...الثورة الحقيقية في ألمانيا هي في الثورة على الماركسية والديمقراطية الأوروبية الغربية"[٢] ،وهنا نستطيع أن نفهم من خلال المفاهيم المختلفة للثورة أمران رئيسان[٣]:

أ.استخدام العنف أو التهديد باستخدامه بهدف تغيير النظام السياسي القائم.

ب.العمل الجماعي الذي تقوم به الجماهير في محاولة التغيير السياسي وتحقيقه.

وفيما يلي فإننا سوف نحدد مفهوم الثورة على أنه انتشار العنف بهدف تغيير النظام السياسي أو الأعمال العامة التي استهدفت الإصلاح الدستوري الفوري لمنع العمل الجماعي أو العنف الوشيك الذي يؤدي إلى مثل تلك النتيجة.

٣-١-١. الملك فريدرش الرابع(König F.Wilhelm IV.von Preußen) والحركة الليبرالية:

كان وصول فريدرش الرابع إلى الحكم بعد وفاة فريدرش الثالث في ٧حزيران١٨٤٠م ،على حد تعبير المؤرخ الألماني فالنتين:"الرجل القدر(Schicksamann) لثورة ١٨٤٨م لا بل الرجل القدر لكل تلك الفترة"[٤].و قبيل استلامه الحكم الذي طال انتظاره حدث حادثان على قدر كبير من الأهمية ،تمثل الأول بقيام ملك هانوفر الجديد ايرنست اوغست فون كومبرلاند (E.A.von.Cumberland) الذي كان مغرقا بالرجعية بإلغاء دستور ١٨٣٣م ،مما دفع بسبعة أساتذة من جامعة قوتنجن (Göttingen) أبرزهم المؤرخ دالمان ،وقريفينوس(Gervinus) الباحث في تاريخ الأدب والأخوان جريم (Jakob und Wilhelm Grimm) اللذان اشتهرا بفقه اللغة ،تأدية قسم الولاء للملك الجديد سنة ١٨٣٧م على أساس أنهم أقسموا على الولاء للدستور القديم مما دفع الملك إلى عزلهم ،حيث أصبح هؤلاء السبعة أبطال الحق ونماذج للقادة الليبراليين.كانت تبعات

---

[1] Stadelmann, **Sozial Ursachen der Revolution von 1848**.S.106-109.

[2] Winkler, H. A.in: Goldstone, **Revolution and Rebellion in the Early Modern World**.p.9.

[3] Ibid. pp. 9-12; Cordula, **Revolution Ursachen und Wirkungen.S**.16-17.

[٤] فايت فالنتين،**تاريخ الألمان**،ص٢٩٣.

هذا الحادث كبيرة فقد ارتفعت أسهم الأساتذة الجامعيين إلى درجة كبيرة على مستوى ألمانيا ككل وأضحوا حديث كل الألمان(١).

الحدث الثاني كان قيام فرنسا سنة ١٨٤٠م بالمطالبة باسترداد حدودها الطبيعية والتاريخية في منطقة الراين الألمانية ،بتأثير الأزمة الشرقية وقيام حركة شعبية قوية تطالب الحكومة الفرنسية الدخول إلى جانب محمد علي باشا في حربه ضد الدولة العثمانية وتدخل الدول الأوروبية في مؤتمر لندن الأول والثاني (١٨٣٩-١٨٤٠م) ضد مشروع محمد علي الذي يهدد المصالح البريطانية والروسية في المنطقة العربية؛مما أعاد الألمان إلى روح ١٨١٣م التحررية ودفع الألمان من أمراء وطلاب وأساتذة إلى الرد بحزم غير مرتقب ،وانخرط الجميع فيما يسمى في حملة أدب المقاومة ،والتي كان رائدها ارندت وفي باريس فنداي(Weindi)العضو في اتحاد المنفيين الألمان ،ورفع المفكرون الألمان شعار الأخوة الألمانية بدلا من شعار الأخوة الإنسانية ،وارتفعت الأصوات عالية من جديد ضد كل ماهو فرنسي(٢). وفي مقالة في صحيفة دوسلدورف(Düsseldorfer Zeitung) بعنوان الوحدة الألمانية ،انتقدت الصحيفة بشدة نظام الكونفدرالية ،وأكدت على عدم صلاحية هذا النظام ودعت إلى وحدة اقتصادية وتضيف الصحيفة فيما يتعلق بالأزمة مع فرنسا:"في حين أن المشاعر المتصاعدة ضد فرنسا بطريقة سلبية ،فإنها تؤكد في الوقت نفسه على ضرورة الوحدة الألمانية بطريقة إيجابية..."(٣).

كان فريدرش الرابع مختلفا عن سلفه؛فهو أمير موهوب مهذب محب كبير للأدب والفنون ذو شخصية ساحرة ،متحدث لبق يتحدث بافتخار عن القومية الألمانية ،حيث كان أول أعماله إعلان العفو العام عن السياسيين ،وإعادة أردنت إلى كرسي الأستاذية في جامعة بون وعمل على إعادة الأساتذة السبعة الذين فصلوا من جامعة قوتنجن سنة١٨٣٧م بتعيينهم في برلين وتم إيقاف الرقابة عن الصحافة ،وسمح لمجالس الطبقات بالاجتماع بشكل دوري وسمح لها بتشكيل لجان لمقابلة الملك لعرض مسائل ومطالب الناس في المقاطعات.وفي الحقيقة ذهبت آمال الليبراليين في الحصول على دستور ليبرالي من الملك الجديد أدراج الرياح ،فقد أظهر الملك أفكارا غير

---

(١) فايت فالنتين،**تاريخ الألمان**،ص٢٩٣-٢٩٤، ;**Wehler**, **Gesellschaftsgeschichte**,band.2.S.431-432; Legee, **Rhyme and Revolution**,pp.147-149.

(٢) سيغمان،**الثورات القومية** ،ص١٢٤-١٢٥،شكري،**الصراع بين البرجوازية والإقطاع**،مج٣، ٥٢٧-٥٢٨، حاطوم،حركة القومية الألمانية،ص٨٤.

(3) Düsseldorfer Zeitung,September 3 und 5, 1843 in: Hansen, Joseph, **Rheinische Briefe und Akten zur Geschichte der politischen Bewegung 1830-1850.Band.I,1830-1845**. Publikationen der Gesellschaft für rheinische Geschichtskunde XXXVI, Düsseldorf, 1919. S. 589-92.

واقعية وحلم بألمانيا المسيحية محكومة من أسرة الهابسبورج(النمسا) بالشراكة مع الملكية البروسية ،وأظهر عدم تعاطفه مع آمال الليبراليين.وعلى الرغم من ذلك فقد أدى توسيعه لمجلس الطبقات أن بقي المجلس مهتما بالشؤون السياسية لبروسيا خلال فترة الأربعينات[١].

أعطت أعمال فريدرش الرابع زخما جديدا للحياة الليبرالية ،وعادت من جديد النقاشات الليبرالية تأخذ شكل التصورات المختلفة للحياة الجديدة التي وعد بها فريدرش ،فلم يكن هدف الليبراليين تقليص سلطة الدولة ،ولكن وضع أسس الحرية داخل الدولة وبدعم منها؛لذا كان الدستور هو محور إستراتيجية الإصلاح السياسي ،وكما يقول روتيك (Carl von Rotteck): "البشر بدون دستور هم ليسوا بشرا...ولكن تجمع من البشر...فالنظام الدستوري يؤسس... المساواة وحق المشاركة في جميع المصالح المدنية؛المساواة القانونية والقضائية ،والمساواة في الحرية الشخصية والملكية القانونية وحق الجميع في التمثيل ،وحق المساواة في شغل أي منصب أو سلطة لكل مؤهل لها ،وأخيرا الجميع خاضع للقانون "[٢].فكرة الدولة القائمة على حكم القانون تضمنت تغيرا سياسيا في الخطاب الليبرالي مع المحافظة على الأدوات التقليدية التي لم تصل إلى مرحلة فكرة الثورة.

ووفقا لفيتسر(Pfizer) أحد القادة الممثلين للفكر الليبرالي في جنوب ألمانيا والمحرر في دورية (Staats-Lexikon)التي تعد من أضخم الموسوعات السياسية خلال الأربعينات ،وأبرز المؤسسات الفكرية الليبرالية ما قبل آذار:"الليبرالية ما هي إلاّ ...التحول من الحالة الطبيعية إلى الحالة التي تنشأ من حكم القانون ،والتي تصبح مرحلة ضرورية في تطور الحياة البشرية...الليبرالية تسعى مباشرة إلى أن تكون الدولة ممثلة للأمة كاملة وتمثل مصالح الأمة أو ما يجب أن تكون عليه مصالح الأمة "[٣].

حرية الصحافة كانت من ضمن المطالب الأساسية لليبراليين ،فقد أشار فيلكر (Welcker) وهو متحدث مفوه ليبرالي من جنوب ألمانيا وأحد أعضاء برلمان فرانكفورت ،إلى أن حرية الصحافة فقط هي التي تضمن المشاركة المباشرة للمواطنين في التشريع والحكومة والقضاء ،وتمنع الاستبداد المستغل للسلطة من قبل موظفي الحكومات المحلية الألمانية.وأشار إلى أن الليبراليين في استمرارية انعزالهم عن بيروقراطية الدولة التي ثبت أنها أداة قمع وسيطرة خلال

---

[1] Carr,**A History of Germany**,p.30.

[2] Rotteck, Carl von, **Gesammelte und nachgelassene Schriften mit Biographie und Briefwechsel**, Pforzheim, 1841, Band. 2.S. 407.

[3] H.L.Pfizer in: Rotteck,Carl von und Carl Welcker, **Das Staats-Lexikon**: Encyklopädie der sämmtlichen Staatswissenschaften für alle Stände. 2. Auflage. Verlag von Johann Friedrich Hammerich, Altona ,1845-48, Band. 9.S.710-714.

الثلاثينات والأربعينات كانوا على حق؛ فمن أجل ضمان الصالح العام والوصول إلى ثقافة قومية مشتركة والوحدة القومية ،فإن ذلك لن يتم إلا من خلال صحافة حرة ،والتي بدونها لن يكون هناك حرية للمواطن ،ولا أي أمل في توحيد الأمة الألمانية[١].وفي هذا كتب هاينريش هاينه Heinrich) (Heine في كتابه رسائل من باريس:"التفكير في الرقابة يدفعني إلى أن أضرب رأسي بالحائط ،إنه لشيء يدعو إلى اليأس ،إن حصولنا على حرية الصحافة ليس نصرا وليس كفاحا ،إنها مجرد سلاح فكيف لنا أن ننتصر من دون كفاح؛وكيف نكافح من دون سلاح!..."[٢].

الرقابة وضغط الرأي العام وعدم السماح له بالتعبير عن ذاته ،وضع الصحافة في وقت مبكر من التاريخ الدستوري في وسط المعركة .فقد سيطرت الصحافة الرسمية على المشهد اليومي ففي مشهد تهكمي من اوغست هاينريش هوفمان(A.H.Hoffman) في قصيدة له سنة١٨٤٢م بعنوان كيف تكون الصحيفة مثيرة! يقول فيها:"ولكن الأمر المثير للاهتمام: الصحف من أجل الوطن العزيز! ما نعاني منه لا يتم الكتابة عنه! وقال الذي أصبح الملازم الواعظ في أعلى الفناء أنه تلقى ميدالية ،فإن كانت الفضة أذناب بوردين ،فالسيادة تذهب إلى الشمال والوقت هو وقت الربيع ،كم هو مثير! كم هو مثير! بارك الله في الوطن العزيز! "[٣].

لم يسع الليبراليون من خلال تواصلهم مع الشعب في جعلهم شركاء لهم ،ولكن ما سعوا له دعم الناس لهم عندما يصطدمون مع النظام القديم ،ولكن الناس تركوا أمر سياسة و إستراتجية المعركة لقيادة الليبراليين ،وهذه ليست خصوصية تميزت بها الحركة الليبرالية الألمانية وإنما هي ميزة عامة لليبرالية الأوروبية بشكل عام في منتصف القرن التاسع عشر حيث سيطر عليها توجهات الفئة العليا من الطبقة الوسطى .فحتى سنة ١٨٤٨م لم يكن هناك أحزاب سياسية بالمعنى الموجود في بريطانيا أو فرنسا ،فقط في عهد ثورة ١٨٤٨م بدأ المعتدلون والراديكاليون والليبراليون بتنظيم أنفسهم بشكل منفصل ،وبشكل أكبر من خلال الأحداث .فالليبرالية نشطت في جنوب ألمانيا وخاصة في بادن في الأربعينيات .ففي سنة ١٨٤٢م أصبح باسرمان (Bassermann) وماتي (Mathy) القائدان الليبراليان وزيرين ،وفي سنة ١٨٤٧م شكل الليبراليون أغلبية مجلس الطبقات الأدنى .كان معظم الليبراليين على استعداد لدعم الحكومة ما دامت تسمح بحرية الصحافة وإزالة كافة أشكال الرقابة عنها ،وتتعهد بإصلاح القضاء[٤].

---

[1] Schöttle,Rainer, **Politische Freiheit für die deutsche Nation,** Baden-Baden,1985.S.84 – 88.

[٢] هاينريش هاينه(Heinrich Heine) في:باومان ،**عصور الأدب الألماني**،ص٢٣١.

[3] A.H.Hoffman in: Hermand, Jost, Der **Deutsche Vormärz**. Texte und Dokumente.Stuttgart ,1967 .S.88.

[4] Carr, **A History of Germany**.p.35.

اعتبر الليبراليون حرية إقامة الجمعيات أداة أساسية في بنية مجتمع مواطني الدولة ،و التي يجب أن تكون بعيدة عن القيود الاستبدادية والبيروقراطية ،فالجمعيات سوف تؤدي إلى تطوير مؤسسات تعزز النظام وتحفظ المجتمع الحديث من التفاوت الطبقي والمشكلات الاقتصادية وتعمل على تعليم الشعب لكي يصبحوا مواطنين حقيقيين .بالرغم من أن الليبراليين طالبوا بالمساواة القانونية للأفراد – تميزا لها عن كلمة المساواة للمُلكية والسلطة–إلا أنهم فضلوا امتيازات محددة تضمن الملكيات الصغيرة والمتوسطة .فالمساواة في الأوضاع الاقتصادية بين الليبراليين في جنوب ألمانيا ،والليبراليين في منطقة الراين أدى إلى تطوير المفهوم البرجوازي بشكل أكبر استنادا إلى التطور الصناعي الكبير الذي شهدته هذه المناطق[١].

أنكر الليبراليون التصور الذاتي للبيروقراطيين والذي ببساطة اعتبر النقاشات الداخلية كنوع من الحديث الخاص ما بين المثقفين ،وهم بالتالي غير معنيين لأنه لا يعبر عن حقيقة الشعب[٢] ،فالدولة بالنسبة لهم هي السلطة صاحبة الحق في إدارة الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية ،مستندين على أفكار هيجل حول دور البيروقراطية "كطبقة جامعة "إلا أنه لم يربطها بالإدارة الدستورية ،ولم يعر أي اهتمام إلى المجالس التمثيلية ،وحذر من خطرها على المجتمع المدني الذي هو بعيد عن الدولة ساحة تتلاقى فيها المصلحة الفردية لكل شخص بالآخر والدولة تعلو عند هيجل فوق المصلحة الخاصة التي تصنع المجتمع المدني[٣].

كانت مثل هذه الأفكار وكأنها جدل غير منقطع ما بين الليبراليين ،فمع تطور الأحداث بدا الانقسام واضحا وخاصة في سنة ١٨٤٧م ،فقد وجد الليبراليون المعتدلون أنفسهم أمام هجوم عنيف من الراديكاليين ،الأمر الذي انعكس على بنية الحركة الليبرالية وأضعف قوتها وتماسكها أمام القوى التقليدية والحكومات الألمانية التي نظرت إلى الحركة الليبرالية كعدو للنظام ولم تميز بين عناصرها المختلفة .هذا الضغط المزدوج كان عاملا أساسيا في انقسام الحركة الليبرالية فقد وجد الاصلاحيون الليبراليون أنفسهم في حرج أمام ادعائهم بأنهم ممثلو الشعب .هذا الانقسام تم التعبير عنه من خلال إعلان اوفينبورج(Offenburg) الراديكالي في١٠ أيلول سنة ١٨٤٧م ،بقيادة هيكر وسترافو ،حيث وضعوا أسس برنامج ديمقراطي راديكالي تضمن حرية الصحافة والتعبير ،وإقامة نظام قضائي يعتمد مبدأ هيئة محلفين ،وإقامة برلمان ألماني على أسس انتخابية ،وإقامة

---

(1) Rotteck, **Staats-Lexikon**, Band.3.S.766; Langewiesche, **Liberalismus in Deutschland**.S. 23.

(2) Koselleck, Reinhart,**Preussen zwischen Reform und Revolution**,4.Auflage.Stuttgart, 1987.S. 234.

(٣) ديلو، ستيفن،**التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني**.ترجمة ربيع وهبة ،القاهرة ،المجلس الأعلى للثقافة ،٢٠٠٣.ص٣٧٩-٣٩٠.

جيش قومي يحل محل الجيوش القائمة ،وإلغاء جميع الامتيازات الإقطاعية ،واعتماد مبدأ الضرائب على حجم الدخل ،وإلغاء جميع القوانين الصادرة عن الرايخستاج قوانين كارلزباد ١٨١٩ ،وقوانين ١٨٣٢-١٨٣٤م [١].

وتم الرد عليه بعد شهر في هيبنهايم (Heppenheim) ،حيث عقد الليبراليون المعتدلون من جنوب ألمانيا وشمالها بقيادة هاينريش فون جاجرن(Heinrich von Gagern) القائد الليبرالي من هسن- درامشتادت ،وهانسمان (Hansemann) وميفيسن (Mevissen) من بروسيا وباسرمان (Bassermann) وماتي(Mathy) من بادن ،تضمن إعادة ما طالب به الراديكاليون ولكن بصورة معتدلة ،دون لهجة جمهورية أو اللعب على النغمات الاجتماعية التي تضمنها مشروع اوفنبورج مع إعادة التأكيد على المطالب الليبرالية القديمة الحرية الشخصية ،وحرية الصحافة ،وإقامة برلمان لدول التسولفرين [٢]فقد كان البيان بروسيا إلى درجة كبيرة.

خلال هذه المرحلة يظهر واضحا أنه لا فروق بيّنة مابين الراديكاليين والمعتدلين. فكلاهما لم يثق بالجماهير وكلاهما لم يحب الثورة ،وكلاهما يعتقد أن الدستور يجب أن يكون اتفاقا مابين الحاكم والمحكوم ،حتى عندما يربطان المبادئ الثورية فيما يتعلق بالمعاناة العالمية المعتدلون يتحدثون عن "الشعب" بينما الراديكاليون يفكرون بمعظم البشر فيما يتعلق بضمان أملاكهم وتعليمهم .باختصار فإن أغلب الليبراليين سواء أكانوا معتدلين أو راديكاليين بشكل عام فشلوا في استغلال الفرصة التاريخية التي أتاحتها ثورة آذار في التواصل مع الجماهير وإشراكهم في العملية السياسية[٣].

صدر في نفس السنة البيان الشيوعي الأول عن كارل ماركس[٤] وفريدريش انجلز (F.Engels)[١] في تشرين الثاني ١٨٤٧م بناء على تكليف مؤتمر عصبة الشيوعيين المنعقد في

---

(1) **Die Radikalen Demokraten ein Programm Offenburg am 10.September 1847**,in: Huber, **Dokumente**,Band.1, Nr.71.S. 261-264.

(2)**Die Heppenheimer Versammlung Liberalismus vom 10. Oktober 1847**,in: Huber,**Dokument** , Band.1.S326ff; **Deutsche Zeitung**, Heidelberg, Oktober 15,1847;Salomon,F,**Die Deutsche Parteiprogramme**, 4th ed., 1932, no. 1.S. 69 ff.

(3) Carr, **A History of Germany**. p.35.

(٤) ولد كارل ماركس في الخامس من أيار سنة ١٨١٨م في مدينة ترير في بروسيا الرينانية،وكان أبوه محاميا يهوديا اعتنق البروتستانتية.و بعد أن أتم دراسته الثانوية في مدينة ترير دخل جامعة بون ثم جامعة برلين درس الحقوق وبنوع خاص التاريخ و الفلسفة. وفي سنة ١٨٤١م أنجز دراسته بتقديم أطروحته الجامعية حول فلسفة أبيقور. أما مفاهيمه فكانت حتى ذلك الوقت ما تزال مفاهيم هيغلية مثالية.وفي برلين انضم إلى حلقة الهيغليين اليساريين الذين كانوا يحاولون أن يستخلصوا من فلسفة هيغل استنتاجات إلحادية وثورية ،وفي خريف ١٨٤٣م انتقل ماركس إلى باريس ليصدر في الخارج مجلة راديكالية مع أرنولد روغه،وفي أيلول سنة ١٨٤٤ جاء فريدريك

=

لندن ،وفي هذا يذكر انجلز في رسالة إلى ماركس:"...يجب أن يكون هذا المؤتمر حاسما ،طالما أن الأمور تسير في صالحنا ،أعد التفكير في دستور الإيمان ،أعتقد أنه من الأفضل أن نتخلى عن الشكل التعليمي ونسميه:بيانا شيوعيا..."[٢].

يبدأ البيان الشيوعي:"شبحٌ ينتاب أوروبا– شبح الشيوعية– ضد هذا الشبح اتحدّت في إطراد رهيب قوى أوروبا القديمة كلها:البابا والقيصر ومترنيخ وغيزو(François Pierre Guizot) ،الراديكاليون ،الفرنسيون ،والبوليس الألماني .فأي حزب معارض لم يتهمه خصومه في السلطة بالشيوعية ؟وأي حزب معارض لم يرد بدوره تهمة الشيوعية الشائنة إلى أقسام المعارضة الأكثر تقدمية وإلى خصومه الرجعيين ؟ومن هذا الواقع يستنتج أمران:إن قوى أوروبا كلها أصبحت تعترف بالشيوعية كقوة وأن الشيوعيين قد آن لهم أن يعرضوا أمام العالم كله طرق تفكيرهم وأهدافهم واتجاهاتهم،وأن يواجهوا خرافة شبح الشيوعية ببيان من الحزب نفسه.ولهذه الغاية اجتمع في لندن شيوعيون من مختلف الدول ووضعوا البيان..."[٣].

=

انجلز إلى باريس لقضاء بضعة أيام فيها فأصبح منذ ذلك الحين الصديق الحميم لماركس.وقد أسهم كلاهما بأشد الحماسة في الحياة المحمومة للجماعات الثورية التي كانت آنذاك في باريس (و كانت تولي هناك أهمية خاصة لمذهب برودون وقد صفى ماركس حساب هذا المذهب تصفية قاطعة في كتابه بؤس الفلسفة الذي صدر عام ١٨٤٧م) وخاضا نضالا حادا ضد مختلف نظريات الاشتراكية البرجوازية الصغيرة و صاغا نظرية و تكتيك الاشتراكية البروليتاريا الثورية أو الشيوعية،وفي سنة ١٨٤٥ طرد ماركس من باريس لكونه ثوريا خطرا بناء على طلب الحكومة البروسية. فجاء إلى بروكسل و أقام فيها. و في ربيع ١٨٤٧ انتمى ماركس و انجلز إلى جمعية سرية للدعاية هي عصبة الشيوعيين، وقاما بقسط بارز في المؤتمر الثاني لهذه العصبة المنعقد في لندن.لمزيد من المعلومات انظر:

فلادمير لينين، سيرة مختصرة وعرض للماركسية، الأعمال الكاملة للينين ،دار التقدم موسكو،دت.ص١-٢.

[١] ولد في بارمن سنة ١٨٢٠م من أسرة ألمانية ميسورة ،وكان لوالده مصنع للقطن في مانشستر في بريطانيا، وقد قام أبوه بإرساله إلى هناك ليشرف على المصنع ،وهناك صدم من حالة البؤس التي يعيشها العمال ،فكتب كتابه الأول عن ظروف الطبقة العاملة في انجلترا ،ومن هناك بدأ مراسلاته مع كارل ماركس الذي كان يحرر صحيفة (Franco–German Annals) .ليعملا معا بعدها أول عمل مشترك "العائلة المقدسة".لمزيد من المعلومات انظر:

معهد الماركسية اللينينية ،**فردريك انجلز،حياته وأعماله** ،ترجمة أسما حليم،دار الثقافة الجديدة ،القاهرة،١٩٦٩ .

[٢] **رسالة من انجلز إلى ماركس ،٢٣/٢٤ تشرين ثاني ١٨٤٧**، ماركس وانجلز،**المراسلات** ،ترجمة فؤاد أيوب، ط١، دار دمشق ،١٩٨١.ص٣٧.

[3] Karl Marx and Frederick Engels, **Manifesto of the Communist Party**, **Translated:** Samuel Moore in cooperation with Frederick Engels, 1888.in: Marx, K and F. Engels, **Selected Works**.vol.1, Progress Publishers, Moscow, 1969.pp. 98-137.p.98.

ولعل أهم ما جاء فيه :"إن تاريخ كل مجتمع إلى يومنا هذا لم يكن سوى تاريخ الصراع بين الطبقات ،المجتمع آخذ في الانقسام أكثر فأكثر إلى معسكرين فسيحين متعارضين ،إلى طبقتين كبيرتين، العداء بينهما مباشر – هما البرجوازية والبروليتاريا...فالأسلحة التي استخدمتها البرجوازية للقضاء على الإقطاعية ترتد اليوم إلى صدر البرجوازية نفسها...ولكن البرجوازية لم تصنع فقط الأسلحة التي سوف تقتلها بل أخرجت أيضا الرجال الذين سيستعملون هذه الأسلحة وهم العمال العصريون، أو البروليتاريون...هدف الشيوعيين المباشر الهدف نفسه الذي ترمي إليه جميع الأحزاب البروليتارية ، أي تنظيم البروليتاريين في طبقة وهدم سيادة البرجوازية واستيلاء البروليتاريا على السلطة السياسية...باستطاعة الشيوعيين أن يلخصوا نظريتهم بهذا الصدد في هذه الصيغة الوحيدة وهي :القضاء على الملكية الخاصة...وستستخدم البروليتاريا سيادتها السياسية لأجل انتزاع الرأسمال من البرجوازية شيئا فشيئا ،ومركزة جميع أدوات الإنتاج في أيدي الدولة أي في أيدي البروليتاريا المنظمة في طبقة حاكمة، وزيادة كمية القوى المنتجة...وعلى أنقاض المجتمع البرجوازي القديم بطبقاته وتناقضاته الطبقية يبرز مجتمع جديد تكون حرية التطور والتقدم لكل عضو فيه شرطا لحرية التطور والتقدم لجميع الأعضاء..."[١].

أما فيما يتعلق بألمانيا فقد أشار البيان:"دخلت ألمانيا حين كانت البرجوازية الألمانية في بدء نضالها ضد الاستبداد الإقطاعي المطلق على الآداب الفرنسية ،وقد تهافت الفلاسفة وأنصاف الفلاسفة والمتأدبون الألمان بشراهة ونهم على هذه الآداب ،ولكن سها عن بالهم أن استيراد الآداب الفرنسية إلى ألمانيا لم يرافقه في الوقت نفسه استيراد الظروف والأوضاع الاجتماعية...وبعد ما أبدلوا الشروح الفرنسية بهذه العبارات الفلسفية المبهرجة الفارغة ،أطلقوا على عملهم هذا مختلف الأسماء مثل فلسفة العمل والاشتراكية الصحيحة وعلم الاشتراكية الألماني وتبرير الاشتراكية فلسفيا..."[٢].

ويضيف في تحليل الموقف من الليبرالية الألمانية:" أصبح كفاح البرجوازية الألمانية ولا سيما البرجوازية البروسية ضد الإقطاعيين والملكية المطلقة ،أو بعبارة أخرى أصبحت الحركة الليبرالية ذات صبغة جدية أكثر من ذي قبل...وهكذا نسيت الاشتراكية الألمانية في الوقت المناسب للغاية أن الانتقاد الفرنسي الذي لم تكن هي ذاتها سوى صداه الحقير ،كان يفرض مقدما وجود المجتمع البرجوازي الحديث مع ما يرتبط به من ظروف المعيشة المادية ومن دستور سياسي موافق له ،وما إلى ذلك من الشؤون التي كان لا يزال على ألمانيا أن تعمل لتحقيقها والحصول عليها...أما الحكومات المطلقة في ألمانيا ،بحاشيتها الضخمة من القسسيين والكهنة و

---

[1] Engels, **Manifesto of the Communist Party**.pp.99-122.

[2] Ibid.pp.124-126.

الأساتذة المربين والإقطاعيين والبيروقراطيين ،فقد أصبحت هذه الاشتراكية في أيديها،الفزاعة المنشودة التي تخيف بها البرجوازية المهاجمة... وواضح أن السيادة الصناعية والسياسية للبرجوازية تهدد هذه البرجوازية الصغيرة بالسقوط الأكيد نتيجة تمركز الرساميل من جهة ،ونمو البروليتاريا الثورية من جهة أخرى...وفي ألمانيا يناضل الحزب الشيوعي بالاتفاق مع البرجوازية ما دامت تناضل هذه البرجوازية نضالا ثوريا ضد النظام المَلَكي المطلق وضد المُلْكية الإقطاعية العقارية ،وضد البرجوازية الصغيرة الرجعية..."[١].

وهنا لابد من الإشارة إلى أن الشيوعيين كانوا اضعف الحركات السياسية في ألمانيا حتى تلك الفترة ،وهذا ما يؤكده انجلز:"...لم يكن يتبعنا من البرولتاريين...إلاّ عدد قليل..."[٢]،وفي بروكسل تأسست لجنة المراسلة الشيوعية من أجل تبادل الرسائل مع الجماعات الشيوعية في ألمانيا والهدف منها كما يقول ماركس في رسالة إلى برودون:"...مناقشة المسائل العلمية ومراقبة المنشورات الشعبية والدعاية الاشتراكية...ولابد لك من أن تحيط بأعظم الكتمان جميع هذه المراسلات ،وتنبيه أصدقائنا في ألمانيا من التصرف بأقصى قدر من الحذر حتى لا يتعرضوا إلى الأخطار..."[٣].

بنفس الوقت الذي تعددت فيه البيانات كان موقف الدول الألمانية يسير أكثر فأكثر في نفس النهج القديم القائم على العدائية للتوجهات الليبرالية ،فقد عمل فريدرش الرابع ذو الطبيعة المتقلبة على خلق نموذج مختلف عما يطالب به الليبراليون ،معتقدا أن مثل هذا العمل سوف يضعف ويخجل الليبراليين ،فقد استند إلى التقاليد القديمة وإلى ما سماه الطبيعة البروسية؛ليخرج في ٣ شباط ١٨٤٧م بدعوة لعقد المجالس التمثيلية(Landtag) .وفي الواقع كانت الدعوة هجينا غريبا ما بين النظريات القديمة في تمثيل الطبقات وما بين المؤسسات الدستورية الحديثة وكانت النتيجة متنافرة ومروعة ،فقد منح الملك نفسه الحق في دعوة مجالس الطبقات إلى الانعقاد و الحق في حلها ،وقام بالسيطرة على هذه المجالس بطريقة غير مباشرة ،بإغداق الأموال على الأعضاء ومنحهم مكاسب مالية ،معتقدا أنه بذلك يستطيع التحكم بهم بربطهم ماليا بالدولة[٤].

ومن جانب آخر ،كان هدف الملك الأساسي من دعوة مجلس الطبقات على خلاف نصيحة مترنيخ للملك بعدم دعوة جميع المجالس إلى الانعقاد كمجلس موحد ،هو الحصول على موافقة اللاندتاج (Landtag) البروسي بالموافقة على قرض كبير لتمويل مشروع كبير لسكة

---

(1) Engels, **Manifesto of the Communist Party**.pp.126-127.

(٢) معهد الماركسية اللينينية،**فردريك انجلز حياته وأعماله**،ص١٠٨-١٠٩.

(٣) رسالة من ماركس إلى برودون ،بروكسل،٥ أيار ١٨٤٦م،**المراسلات** ،ص١٠-١١.

(4) Legee, **Rhyme and Revolution**.pp.149-150.

الحديد؛فقد كان الملك مجبرا على ذلك استنادا إلى قانون عام ١٨٢٠م الذي يجبر الحكومة على أخذ موافقة مجالس الطبقات مجتمعة للحصول على قرض خارجي .وجد الليبراليون في منطقة بروسيا الراينانية الفرصة متاحة أمامهم لمساومة الحكومة بموافقتهم على القانون مقابل موافقة الحكومة على الانعقاد الدوري لمجلس اللاندتاج الموحد(البرلمان المحلي) [1].

لم يكن الملك أو حكومته على استعداد لمثل هذا التنازل الذي يمكن أن يقود إلى حكومة دستورية ،فقد وقف الملك أمام مجلس اللاندتاج الموحد خاطبا يوم ١١نيسان ١٨٤٧م :"...قطاع من الصحافة يطلب من حكومتي القيام بثورة بفصل الدولة عن الكنيسة ...بلادنا قامت بالتوازي مابين الحكمة والقوة دون أن يكون هناك قصاصة من الورق تنظم ذلك...بعض الحكومات من الممكن أنها وجدت طريقها وسعادتها في شكل من أشكال الدستور فمن واجبنا أن نبارك لهم... لكن بروسيا أيها السادة لن تدخل في مثل هذه الأعمال...أنا أقول بكل وضوح وحزم أنه لا توجد قوة على هذه الأرض قادرة على إجباري على التحول إلى الحياة الدستورية...لن أسمح الآن أو في المستقبل أن تحكم العلاقة بيني وبين شعبي قصاصة من الورق التافه ،وكأنها إرادة إلهية أخرى ..."[2].

أكد الملك من خلال هذا الخطاب القطيعة النهائية مع التوجهات الليبرالية ،فقد كتب يعقوب جريم إلى قريفنيوس(١٨٠٥-١٨٧١م) (Georg Gottfried Gervinus)بعد ثلاثة أيام من الخطاب:"يجب أن اعترف لك أن خطاب الملك أربكني...يظهر لي واضحا الآن وأكثر من أي وقت مضى كم نحن بحاجة إلى الحرية وإلى وطن نكون فيه فخورين ،والذي بدونه لن يكون لنا أمل أو أمن ...أنا مقتنع تماما أن الدستور البروسي هو الذي يمكن أن يعد نجاحا لبروسيا وهو ما سيجذب قلوب الألمان وهذا ما لا يفهمه الملك..."[3].

---

[1] Obenaus, Herbert, **Anfänge des Parlamentarismus im Preußen bis 1848**. Droste Verlag , Handbuch der Geschichte des deutschen Parlamentarismus ,Dusseldorf, 1984.S.649

[2] **Reden, Proklamationen, Botschaften, Erlasse und Ordern Seiner Majestät des Königs Friedrich Wilhelm IV. 2. Abt. 2. Aufl. Berlin 1855(RPKF)**.S.6-8.

[3] Letter from Jacob Grimm to his old colleague Georg Gottfried Gervinus, Berlin, 20th April 1847.in Legee, **Rhyme and Revolution**.p.151 ; Wagner, Jonathan F, **Georg Gottfried Gervinus: The Tribulations of a Liberal Federalist** .Central European History, Vol.4, No.4, 1870-1871 (Dec., 1971).pp. 354-370.

قدم النائب كامبهاوزن[١](Ludolf Camphausen) مذكرة إلى المجلس لعل أهم ما جاء فيها:"يجب على الحكومة أن تعلم أن الهوة ما بين الظروف الموضوعية والتشريعات القائمة لم تردم بعد ،ولم تصل إلى إقناع الناس بها ...حدثت خطوة عظيمة انتظرها الناس لأكثر من ٣٠سنة، بقيام الملك بدعوة اللاندتاج إلى الانعقاد ،فقد اجتمع ممثلو الشعب في قاعة واحدة... البلاد في حالة من الذهول والترقب فهل تقدر عزم هذا المجلس على مناقشة قضايا البلاد أم أنها تلقي اللوم عليه لضعفه ...التاريخ وحده من سيحكم بيننا وبين الحكومة..."[٢].

تألف اللاندتاج من هيئتين (Verein) هما هيئة السادة من الأمراء وسادة الطبقات اليانكرز والهيئة الثانية ضمت ممثلين عن الفرسان والمواطنين والفلاحين،[٣] في حين يذكر شكري:" وهذا الدياط الموحد لاندتاج...يجتمع في برلين ويضم إليه كل الدياطات الإقليمية...والتي تتوزع على هيئتين أو طبقتين(Curia):هيئة أو مجلس السادة ثم مجلس الطبقات الثلاث:النبلاء والطبقة المتوسطة (البرجوازية) في المدن وطبقة أهل الريف ،المزارعين..."[٤].في حين يذكر جوناثان سيبر أن أساس اختيار هذا التمثيل الذي جرى لا يمت للديمقراطية بأي صلة ،وإنما كان على أساس السماح للذكور البالغين فقط بالانتخاب ،وأساس التقسيم لطبقتين يتحدد بما يدفعه الناخب والمرشح من ضريبة[٥] .

٣-١-٢.الصراع الديني:

أثرت الحركة العلمانية بشكل كبير على قاعدة المعرفة الدينية ؛وأدت إلى اعتبار الاتجاهات الدينية والفكر الديني مشكلة تحتاج إلى الحل ،والبحث عن مؤسسات بديلة للإيمان الديني بالإيمان بالعقل والعلم ،فقد كتب هاينه سنة ١٨٣٣م :"إذا كانت ألمانيا تسعى لأن تلحق

---

[١] (١٨٠٣-١٨٩٠م) هو أحد العاملين في المصارف ومدير أحد الشركات للسكك الحديدية وبناء السفن ،كان أول نائب لرئيس وزراء ليبرالي إصلاحي للحكومة البروسية بعد الثورة في برلين في ٢٢آذار ١٨٤٨م.وقد شغل أيضا منصب نائب منتخب في برلمان فرانكفورت.لمزيد من المعلومات أنظر:

Hoffmann, Jürgen.,Das **Ministerium Camphausen- Hansemann:** Zur Politik der preussischen Bourgeoisie in der Revolution von 1848. Berlin: Akademie Verlag, 1981.Strauss, G. L. M., **Men Who Have Made the New German Empire,** Vol. II, Tinsley Brothers London, 1875.pp. 289-290.

[2] Ludolf Camphausen ,in : Legee, **Rhyme and Revolution**.pp.153-154.

[٣] فايت فالنتين،**تاريخ الألمان** ،ص ٢٩٧.

[٤] يستخدم شكري المصطلح الفرنسي في كثير من الأحيان مثل الدايط أي الدايت بالفرنسي واللغة الانجليزي والتي تعني نظام ،ليشير إلى اللاندتاق أي البرلمان المحلي (Landtag) شكري،**الصراع بين البرجوازية والإقطاع** ،مج٣،ص٥٦٦.

[5] Sperber,**Rhineland Radicals**,p.131.

بالنموذج الفرنسي بالتحرر السياسي ، يجب عليها أن تبدأ أولا بالتحرر الديني..."[١]، وهذا ما أكده فيتسر :"بالضرورة الليبراليون ليسوا بحاجة إلى الدين لكي يقدموا دليلا بشكل مقنع،مقابل ما يسمى بحق الله يجب أن نضع الحقيقة المحسوسة المدركة من العقل ،والذي من خلالها:الله نفسه يعلن عن وحيه ،والذي يحرز مبررهم النهائي بتفكيرهم المستند فقط على قوانين العقل"[٢]. فالتغيرات الاقتصادية والاجتماعية دفعت الناس إلى تحديد أو ترك روابطهم بالكنيسة سواء أكانوا بروتستانت أم كاثوليك ،لتبدأ ردة فعل قوية وخاصة من الكاثوليك الضحية الأولى من إعادة رسم الخريطة الألمانية في عهد نابليون أو في فترة ما بعد تسوية فينا ،فقد عمل القادة الكاثوليك أقصى طاقاتهم للبقاء في ظل العهد الجديد ،فقد كانت نتيجة التغيرات أن رُحِّل الكاثوليك أو أنهم أصبحوا في مجتمعات ذات أغلبية بروتستانتية[٣].

اتخذت البحوث النقدية من تعاليم المسيحية الموروثة موضوعا لها ،فكان كتاب مثل حياة يسوع لديفيد شتراوس (D.Strauss) أو مؤلفات لودفيج فويرباخ(Ludwig Feuerbach) المادية التشاؤمية ،أن استفزت لدى الورعين المتدينين روح الدفاع عن الذات وبالتالي الهجمة المضادة ،في مكافحة الكفر الكامن وراء الحركة الليبرالية بل مكافحة ما سماه البروتستانت "المسيحية الصورية ،مسيحية بالاسم".من جانب آخر كان الكاثوليك ممثلين بالأخوية اليسوعية التي أعيدت إلى سابق عهدها ،أكدت على الشمولية البابوية وقضت على كل الاتجاهات المتطلعة إلى إقامة كنيسة قومية ألمانية ،من خلال عقد اتفاقيات ثنائية مع الدول الألمانية حصلت من خلالها على بعض الامتيازات وخاصة في الجامعات الألمانية[٤].

بالمقارنة ببريطانيا فألمانيا ليس فيها تعددية في الأقليات الدينية ،فالليبرالية الألمانية لا تمثل الأقليات الدينية ،فهي ليس لديها برنامج في الدفاع عن هذه الأقليات، فمنذ أن أقر الحكم المطلق المساواة القانونية مابين البروتستانت والكاثوليك ،لم يعد هناك ضرورة لنضال من أجل تلك الحقوق المقرة سياسيا و اجتماعيا[٥] لذا سيطرت العلاقة المتوترة ما بين الكاثوليك والبروتستانت على الحياة السياسية الألمانية خلال عقود طويلة والتي بدت واضحة في سنة ١٨٤٨م وسنة ١٨٧١م .وظهر الاختلاف جليا فيما يتعلق بمسألة الوحدة الألمانية ،ففي كل العبارات حول ألمانيا كانت عبارة النمسا حاضرة بملايين الكاثوليك التي تضمهم ،فالاختلافات

---

(1) Heine,in : Sheehan, **German History**,p.555.

(2) Staats–Lexikon,Band . 9.S. 717.

(3) Evaus, R, **Religion and Society in Germany**. Europe Studies Review,22/3,1982.pp.249–288.p.252.

(٤) فايت فالنتين،**تاريخ الألمان** ،ص٩٤–٢٩٥.

(5) Nipperdey, **Deutsche Geschichte 1800 –1866**.S. 287.

غالبا ما تستخدم كمصطلح مخفف من مصطلح العداء لدى الليبراليين تجاه الكاثوليك ،فتجديد الحركـة الكاثوليكيـة لاقـى عـداء أكثـر مـن عمليـة الإحيـاء البروتسـتانتي ،هـذا العـداء الليبرالـي للكاثوليك ليس مرده بشكل أساسي لأنصار الحرية الفكرية ،فالموقف الكلي مرده إلـى الموقف من الكنيســة الكاثوليكيــة العالميــة والــذي يتضــح مــن خــلال حركــة الكاثوليكيــة الألمانيــة (Deutschekatholizismus) [١].

تعود حركة الإحياء الكاثوليكية الألمانية إلى الأربعينات من القرن التاسع عشر عندما عمل فريدرش الرابع على تعزيز موقع الكنيسة الكاثوليكية ،فالملك الجديد كان مؤمنا إيمانا عميقا وعاقدا العزم على مواصلة جهود والده في تسوية الخلافات مابين الكنيستين.ففريدرش الثالث لم يتدخل فقط في الشؤون الكنسية الكاثوليكية وإنما في الشؤون الكنسية البروتستانتية ، فتأسيس الكنيسة الإنجيلية البروسية المتحدة م(Preußische Vereinigte Evangekirsche) سنة ١٨١٧لم تكن لتقوم لولا الضغوط التي مارسها فريدرش الثالث .الملك الجديد كان متعاطفا مع رعاياه الكاثوليك والبروتستانت حتى مع أولئك الذين اصطدموا مع القصر ،فتساهل مع المنشقين البروتستانت ،وتمتع الكاثوليك بوضع جيد خلال السنوات الأولى من حكمه كما هو في أي دولة كاثوليكية في ألمانيا .وأدى الجمع مابين كل الكنائس المسيحية إلى تحسين موقع بروسيا في كل ألمانيا[٢].

تحدث الليبراليون البروسيين عن عدم رضاهم الداخلي عن الوضع الجديد للكاثوليك في بروسيا ،وشعروا أن هناك تحالفا خفيا مابين العرش والكاثوليك ،وهذا ما اتضح بتساهل الحكومة مع الحركات الدينية في الجامعات ،فالعديد من أساتذة الجامعات مثل الهيغليين روقه(Ruge) وناوفيرك (Nauwerck) –كلاهما أصبح عضوا في برلمان فرانكفورت – شعرا بأن الحرية الدينية داخل الجامعات لها أبعاد سياسية ،بالمقابل شعرهؤلاء الذين خافوا أن يتم سحقهم من خلال هذا التحالف أن فرصتهم قد لاحت في منتصف الأربعينيات بقيام حركة احتجاجية والتي تطورت في الكنيسة الكاثوليكية ضد طقوس دينية مقدسة قديمة في ترير(Trier) ،والتي كانت بأمر الاسقف (Bischof) أرنولدي (Arnoldi) .كان قائد حركة الاحتجاج قسا محروما كنسيا هو يوهنز رونجه (Johannes Ronge) ،وبدون شك لاقت مثل هذه الطقوس الدينية القديمة ردة فعل قوية أثرت بعمق و تبلورت بأشكال مختلفة لاحقا ،وعلى الأغلب فإن عددا من الكاثوليك الذين كانوا

---

(1) Evaus, **Religion and Society in Germany**.pp.155-157.

(2) Eyck, **The Frankfurt Parliament**.p.21-22.

غير راضين عن نشاط الاسقف ،واعتبروا تشددهم في تأديب الاسقف وسجنه في ترير إشارة انطلاق للحركة الكاثوليكية[1].

من جانب آخر كان هناك حادث على جانب كبير من الأهمية وهي أعمال الشغب التي حدثت في كولقن في الأول من آب ١٨٤٦م ،نتيجة قيام السلطات البروسية بمنع الاحتفال السنوي الذي كانت تقوم به أبرشية سانت مارتن ،والذي كان يتزامن مع عيد ميلاد فريدرش الثالث (König F.Wilhelm III.von Preußen) ١٧٩٧–١٨٤٠م لذا لم يكن أحد يلاحظ ذلك ،فقد كانت كل البلاد تشارك في احتفال عيد ميلاد الملك ،كان أهالي كولجن يلهبون الأجواء مستخدمين الألعاب النارية ،متحدين السلطات التي وجهت كل طاقتها لمنع القيام بأي مظهر احتفالي باستدعاء قواتها الأمنية ،الأمر الذي أدى إلى صدامات عنيفة وسقوط ضحايا ألهبت الرأي العام وخاصة الكاثوليك منهم[2].

بينت مثل هذه الأحداث الاستعداد الكامن لدى الجماهير في المشاركة في أي حركة جماهيرية وخاصة الكاثوليكية منها ،وبينت رغبة الكاثوليك بالعودة والتحرر من الوصاية البروتستانتية ،وهذا ما سيظهر واضحا خلال برلمان فرانكفورت ،وهي بالضرورة لا تعبر عن ظاهرة احتجاج ديني ،بل إن بعدها اجتماعي واقتصادي وسياسي ،وإن أخذت الثوب الديني.

كان الليبراليون مهتمين بالحركة الكاثوليكية الألمانية لسببين ،فالعديد منهم بمن فيهم الذين قاموا بتأسيس الجريدة الألمانية (Deutsche Zeitung) التي تمثل الحركة القومية الألمانية كان لديهم أفكار تتعلق بإنشاء كنيسة قومية ألمانية تضم الكاثوليك والبروتستانت .فمن المستغرب أن يقوم أبرز دهاة الليبراليين أمثال ماتي (Mathy) و ميترماير(Mitermaier) وباسرمان (Bassermann) وجيرفينوس (Gervinus) – الذين أصبحوا فيما بعد أعضاء في برلمان فرانكفورت – أن يصلوا إلى مثل هذه النتيجة ،فيعتقدون أن مجموعة قليلة من الكاثوليك الألمان الموزعين في سكسونيا وشيليزيا يمثلون الكاثوليك الألمان [3].

أرادت العناصر الراديكالية استغلال هذه الحركة لتحقيق غاياتهم ولكن بطريقة أكثر منطقية – من وجهة نظرهم– من الإصلاحيين الليبراليين ،فبالنسبة لروبرت بلوم (Robert Blum) في سكسونيا والذي كان فيما بعد قائد الجناح اليساري في برلمان فرانكفورت ،فقد كانت فرصة متاحة لضرب النظام ،فهو غير معني بالكاثوليكية الألمانية أو أنه يساندها ،فهو يطرح أفكارا

---

[1] Wehler, **Gesellschaftsgeschichte**, Band.2.S. 473 –474; Langewiesche, **Liberalismus**.S. 242. Eyck,**The Frankfurt Parliament**.p.22.

[2] Sperber,**Rhineland Radicals**.pp.131–132.

[3] Eyck,**The Frankfurt Parliament**.p.22.

راديكالية تستند لمعاينته الوضع الاقتصادي والاجتماعي السيئ ،وليس انطلاقا من أفكار دينية ،كذلك فلديه معاناة شخصية تعود إلى كرهه لرجال الدين منذ طفولته ،فقد كانت الحركة بالنسبة له فرصة لأن يكون كاثوليكيا دون ارتباطات بالكنيسة التي يكرهها.عمل بلوم على المساعدة في إنشاء الكنيسة الكاثوليكية الألمانية في لايبزيج (Leipzig) ،لقد كان بالتأكيد معاديا للهيئات الدينية وكان معارضا لفرض العقيدة على الأفراد ،لقد كان يؤمن بالمسيحية بشكل عام مع الحد الأدنى من التنظيم الكنسي ،وهو ما يشبه عند الانجليز الاستقلالية التامة للكنيسة عن التدخل في السياسة [١].

٣-١-٣. الأزمة الكبرى ١٨٤٥-١٨٤٨م:

بدأت أزمة النصف الثاني من الأربعينات من خلال فشل محصول البطاطا نتيجة إصابته بمرض فطري فيتوفتيرا(Phytophthera) ،والذي ضرب أوروبا في منتصف سنة ١٨٤٥م.بدأ المرض من ايرلندا وقد أدى إلى وفاة مليون شخص تقريبا فيها ،و ظهر المرض نتيجة زراعة نوع جديد من البطاطا تم استيراده من أمريكا سنة ١٨٤٤م .فالكارثة الايرلندية ضربت مناطق أخرى من أوروبا .ومن جانب آخر فهذه السنة والسنة التي تلتها شهدت ضعفا في إنتاج القمح في معظم القارة الأوروبية ،نتيجة رداءة الطقس والصقيع والعواصف الرعدية[٢].

رافقت هذه الأزمة أزمة أخرى بدأت من بريطانيا سنة١٨٤٤م نتيجة ما يسمى بقوانين الذرة البريطانية والتي أثرت بشكل كبير على العالم ككل ،من أكبر مدن العالم لندن إلى أصغر صاحب متجر في ألمانيا ،والتي اندلعت أخيرا في أيلول سنة ١٨٤٧م .ومن جانب آخر كان لدينا الأزمة الجمركية سنة ١٨٤٧م ،نتيجة ما يسمى بسياسة الحماية الجمركية التي انتهجتها الدول الكبرى في تلك الفترة بفرض رسوم جمركية عالية على المستوردات من الدول الأخرى بالإضافة إلى أزمة مالية واجهتها البنوك البريطانية في تلك الفترة .فالعلاقة ما بين العامل المحلي والعالمي ،ما بين الاقتصادي والسياسي ،وما بين الريف والمدينة جعل من الأزمة متعددة الأوجه؛وخاصة للطبقات الدنيا من المجتمع التي تعتمد بالدرجة الأولى على البطاطا والخبز في الغذاء ،وهذا ما يظهره الجدول رقم (١٢).أعقب ذلك حدوث المجاعة التي سميت بالمجاعة القارية والتي حصدت آلاف الأرواح في القارة الأوروبية ،انظر الجدول رقم (١٣).

---

(1) Eyck,**The Frankfurt Parliament**.pp.22-23.

(2) Vanhaute,Eric and Others , **The European subsistence crisis of 1845-1850: a comparative perspective**, IEHC, Session 123, Helsinki 2006.pp.3-4; Zadoks,J.C,**The Potato Murrain on the European Continent and the Revolution of 1848**.Potato Research 51:5-45.DOI 10,2008. pp.2-4.

جدول رقم (١٢) **يوضح إنتاج واستهلاك البطاطا وانخفاض الإنتاج ١٨٤٥-١٨٤٦م مقارنة بالسنوات العادية.**

الدولة	نسبةالأراضي % المزروعة بالبطاطا	نصيب الفرد اليومي من البطاطا بالكيلوغرام.	انخفاض نسبة الإنتاج ١٨٤٥م	انخفاض نسبة الإنتاج ١٨٤٦م	انخفض نسبة انتاج القمح ١٨٤٦م	انخفض نسبة انتاج الجاودار ١٨٤٦م
بلجيكا	١٤%	٥،٠٠ -٦،٠٠	-٨٧%	-٤٣%	-٥٠%	-١٠%
الدنمارك	٣%	٠,٢-٠,٣	-٥٠%	-٥٠%	-٢٠%	-
السويد	٥%	٥،٠٠ -٦،٠٠	-٢٠%	-٢٥%	-١٠%	-
فرنسا	٦%	٥،٠٠	-٢٠%	-١٩%	-٢٠%	-٢٥%
فورتمبيرج	٣-٨%	-	-٥٥%	-٥١%	-١٥%	-٢٤%
بروسيا	١١%	١-١،١	-	-٨٨%	-٤٣%	-
هولندا	١١%	٠،٧	-٧١%	-٥٦%	-٤٧%	-٦%
ايرلندا	٣٢%	٢,١	٣٠%	-٨٨%	-٣٣%	-

المصدر: Vanhaute, **The European subsistence crisis of 1845-1850**.p.10.

جدول رقم (١٣) **يوضح الوفيات نتيجة مجاعة البطاطا ١٨٤٦-١٨٤٨م:**

الدولة	عدد السكان (بالمليون)	الوفيات ١٨٤٦-١٨٤٨(آلاف)
النمسا	١٧,٩٠٢	٣٧١
بلجيكا	٣,٩٣٣	٣٠
فرنسا	٣٦,٠٩٧	١٠٩
هولندا	٣,٠٥٤	٢٦
ألمانيا	٣٣,١٩٧	٢١٣
سويسرا	٢,٣٣٠	٠
المجموع	٩٦،٥١٣	٧٤٩

المصدر: Zadoks, The Potato Murrain on the European Continent. p.22.

تسببت الأزمة الغذائية في إثارة سخط الطبقات الشعبية على الحكومات القائمة ،وهيأت النفوس والعقول للتمرد والعصيان ،وانتشرت أعمال السطو والقتل ،فعلى جانب الطريق كان من الممكن أن يُقتل المرء لحمله كيسا من القمح ،وكانت الهجرات تحمل معها أجواء الفوضى وعدم الاستقرار ،فقد تطابقت خريطة الاضطرابات مع الفاقة الغذائية ،فمناطق الاضطراب في برلين وأولم وفينا ،وغيرها من المدن كان مردها أسبابا اقتصادية إلى درجة كبيرة؛ففي بادن على سبيل المثال تناقل الناس منشورا دون توقيع حدد يوم ١٢نيسان ١٨٤٧م موعدا لتفجير ثورة تهدف إلى إقامة دولة حرة على نمط الولايات المتحدة ،والقضاء على طبقة النبلاء ،وطرد اليهود المرابين

واغتيال جباة الضرائب والسادة ،إلاّ أن الاحتياطات العسكرية الشديدة ،حالت دون ما يعكر صفو الأمن[١].

ومن جانب آخر كانت ردة الفعل الشعبية على الأحداث عشوائية وغير منظمة إلى درجة كبيرة جدا والتي كان أكبرها في آخن ،حيث رفض أحد الخبازين بيع الخبز للناس فهاج الناس وتجمعوا وقاموا بحركة عصيان قوية ضمت الآف الناس الذين هاجموا محلات الخبز وكان هتافهم الوحيد:"بروت"(Brot) (اسم الخبز) .أمر حاكم المقاطعة المحلات بتزويد الناس بالخبز بأسعار السوق. كانت ردة الفعل للحكومات الألمانية على هذه الأزمات متباينة وخاصة في ظل سوق اقتصادية حرة وكانت ردة فعل أكثر منها معالجة للأزمة ،من خلال محاولة وقف الصادرات خارج منطقة الاتحاد الجمركي التسولفرين أو إعفاء الواردات من المواد الغذائية وخاصة البطاطا والقمح من الرسوم الجمركية[٢].

يشير تزامن الأحداث عادة إلى ارتفاع حدة التوتر على كافة المستويات ؛فالأزمة المالية التي بدأت في بريطانيا وفرنسا كانت نتيجة الإفراط في الاستثمار ،وتم التغرير بالأفراد الذين لم تدفع لهم الفوائد الحقيقية عن أموالهم فانعكس ذلك على المصارف الكبرى وتقلص حجم إصدار السندات من مصارف انجلترا وفرنسا ،فقد وجد المصرف الفرنسي نفسه في حالة ضعف شديد نتيجة سحوبات الذهب اللازمة لشراء المواد الغذائية التي تضاعفت أسعارها خلال نفس الفترة فضعفت ميزانيات الأسر وترتب على ذلك ضعف القدرة الشرائية من المواد الصناعية إلى الحد الأدنى ،فارتفعت معدلات البطالة نتيجة تكدس البضائع مع عدم وجود مشترين كما ارتفع عدد حالات الإفلاس ،وبالرغم من تحسن الحالة الغذائية قبيل الثورة أي سنة ١٨٤٧-١٨٤٨م ؛إلاّ أن المنتجين لم يتجنبوا حالات الانكماش التي أصابت الاقتصاد ،وغدت الجماهير ذات استعداد أكبر للتمرد ،حيث ألقت بالمسؤولية على الطبقات الحاكمة[٣].

وأخيرا لابد من الإشارة إلى أن هناك من المؤرخين الألمان الذين أكدوا أن الحرب الأهلية في سويسرا كان لها تأثير كبير على مجرى الأحداث في ثورة آذار ١٨٤٨م في ألمانيا.بدأت الحرب الأهلية في سويسرا ما بين ٤-٢٩ تشرين أول ١٨٤٧م ،مع صعود الراديكاليين إلى السلطة وسيطرتهم على البرلمان الفيدرالي ،فقرروا حل منظمة السوندربوند(Sonderbund) – أي الإتحاد الفريد – باستخدام القوة ،وهي منظمة تشكلت من المحافظين الكاثوليك سنة ١٨٤٥م

---

(١) جان سيغمان ،**الثورات القومية**،ص١٨٠.

(2) Sperber,**Rhineland Radicals**,pp.139-143.

(٣) دريفوس، **أوروبا من عام ١٧٨٩م وحتى أيامنا**،ص٩٩-١٠١، Sperber,**Rhineland Radicals**,pp.142-143

بهدف تأكيد الحماية المتبادلة ضد الراديكاليين ،كانت نتيجة الحرب هزيمة إتحاد السوندربوند فأضحت سويسرا ملجأ للقوى المعارضة في أوروبا ،مما أثار حفيظة القوى المحافظة في أوروبا:النمسا ،فرنسا بروسيا وروسيا.إلاّ أنها لم تتح لها الفرصة الكاملة للتدخل حتى مطلع عام ١٨٤٨م ،ففي ١٨شباط أرسلت بروسيا والنمسا وروسيا وفدا حمل رسالة تهديد للحكومة السويسرية ،بأنهم سوف يتدخلون مباشرة إذا لم تهدأ الأوضاع فيها.الحكومة السويسرية من جانبها أكدت أن لا حق للدول الأجنبية التدخل في الشؤون الداخلية ،مادامت سويسرا غير مهددة ولا تهدد جيرانها استنادا إلى تسوية فينا ١٨١٥م ،والتي أكدت استقلالية وحياد سويسرا[١].

مساعي القوى الرجعية أحبطت عندما تحطم الاتحاد السويسري (Sonderbund) مما جعل سويسرا مزعجة لمترنيخ ،وبنفس الوقت جعلها عزيزة على الليبراليين والراديكاليين الألمان فالكثير من هؤلاء وجدوا لهم في سويسرا ملجأ وخاصة في فترة ما قبل آذار ١٨٤٨م؛فقد أعجبوا بالطريقة التي طبق بها السويسريون العمليات الديمقراطية في الحياة العامة ،البعض منهم آمل أن يتفوق على السويسريين وذلك بإلغاء الملكية وإزالة الامتيازات الإقطاعية في ألمانيا فوجود واحة من الحرية السياسية النسبية في قلب أوروبا كان شوكة في خاصرة القوى الرجعية؛ فقد كانت الجمهورية السويسرية سيئة–بالنسبة للقوى الرجعية– ولكن الأسوأ منها كانت الجمهورية الفرنسية لأن لا أحد كان قادرا على التنبؤ بالسياسات الراديكالية التي كانت الجمهورية الفرنسية من الممكن أن تنتهجها تجاه المحيط وخاصة لألمانيا.

٣–٢.ثورة آذار ١٨٤٨م في الدول الألمانية:

٣–٢–١.الثورة من باريس إلى الراين:

يخلص هوبز باوم في نهاية كتابه عصر الثورة:"إذا نظرنا إلى مناطق أوروبا الغربية والوسطى ،فإن كارثة ١٨٤٦–١٨٤٨م كانت عامة وشاملة ،وكانت الأجواء مشبعة بالاحتدام والتوتر...ونادرا ما حدث في التاريخ ثورة تنبأت بها كل هذه المؤشرات ...كانت قارة كاملة تقف موقف الانتظار ،وتتهيأ لتنقل أنباء الثورة أولا بأول من مدينة إلى أخرى ،عن طريق التلغراف الكهربائي الحديث الاختراع...وفي العام ١٨٤٧م كان الصوت عاليا قريبا ،وفي العام ١٨٤٨م حدث الانفجار "[٢].

عبر مترنيخ عن مثل هذه النتيجة سنة ١٨٤٧:"أنا لست نبيا ،وأنا لا أعرف ماذا سيحدث وأنا رجل مسن يستطيع أن يميز ما بين المرض الطارئ والمرض القاتل ونحن نواجه الأخير

---

(1) Kölz, Alfred, **Neuere Schweizerische Verfassungsgeschichte**. Ihre Grundlinien vom Ende der Alten Eidgenossenschaft bis 1848. Verlag Stämpfli , Bern ,1992.S.546-47

(٢) هوبز باوم، **عصر الثورة**،ص٥٥٩–٥٦٠.

وسوف نستمر بقدر استطاعتنا ولكن أشك بالنتيجة القادمة التي سوف تكون مرعبة..."[١].ويصف أحد المعاصرين الحالة العامة في ألمانيا:"إننا نعيش في حالة إرباك شديد...مثل شخص يشعر أن تحت قدميه هزة أرضية عنيفة ...كل شيء في ألمانيا يشير إلى تحول كبير وكل واحد تلتقيه يقول لك لن تبقى الأمور على ما هي عليه..."[٢].

ولكن هل احتاج الألمان إلى إشارة من الخارج لتنطلق ثورتهم ؟هل كانت الثورة الفرنسية في شباط فاتحة لثورات جديدة على المستوى الأوروبي أم أنها أشعلت النار في حقل يابس في يوم صيفي رياحه تهب في كل الاتجاهات؟.تمخضت الثورة الفرنسية في شباط ١٨٤٨م عن مجموعة من الأسباب لا تختلف في جوهرها عما أشرنا له سابقا في مقدمات الثورة ،فإذا أضفنا لها حالة الاحتقان السياسي الناتجة عن سياسة غيزو (١٧٨٧-١٨٧٤م) العسكرية وفرض الرقابة ،أمكننا أدراك الأسباب التي ولدت الثورة الفرنسية في شباط ١٨٤٨م[٣].

بدأت مقدمات الثورة الفرنسية من خلال قيام المعارضة الفرنسية بما يعرف بحملة المآدب التي قام بها نواب راديكاليون وليبراليون؛الهدف منها التحايل على حظر الحكومة حق الاجتماع والتظاهر ،فما بين ٩تموز ١٨٤٧م أول مأدبة و٢٥ كانون أول١٨٤٨م آخر مأدبة أقيمت سبعون مأدبة حضرها حوالي سبعة عشر ألف مدعو ،تباحثت خلالها المعارضة في السبل الكفيلة في إسقاط حكومة غيزو والقيام بالإصلاح ،وكان الراديكاليون قد طرحوا أفكارا أكثر ثورية تمثلت بالمطالبة بإسقاط الملك .تقررعقد المأدبة الحادية والسبعين بدعوة من ضباط الحرس الوطني وبدعم من القادة الراديكاليين والتي تمخض عنها أحداث عاصفة لم تكن في حسبان المنظمين لها ،فقد حضرت الحكومة عقد المأدبة بعد أن قام المنظمون بتوزيع الدعوات.استجاب المنظمون لضغط الحكومة وأعلنوا إلغاءها ،إلاّ أن الطلبة وبعض الباريسيين قد خرجوا يحملون لافتات كتب عليها:ليسقط غيزو! يحيا الإصلاح .تصدى الجيش لهذه المظاهرة بعنف مما أدى إلى فوضى عارمة في باريس وانضم الحرس الوطني للحشود الغاضبة ،فما كان من الملك إلا أن قدم غيزو ضحية للحشود الغاضبة التي اعتبرت ذلك نصرا لها وبدأت الاحتفالات بالنصر الذي أحرزه الحرس الوطني[٤].

---

(1) Kraehe, **Metternich's German Policy**, vol. II.p.242.

(2) Böhmer, Günter, **Die Welt des Biedermeier**.Desch ,München,1968.S.351.

(٣) لمزيد من المعلومات عن الثورة الفرنسية في شباط ١٨٤٨م،انظر:

Denholm, A., **France in Revolution** 1848.Wiley, 1972.p.36ff; Johns, Peter, The **1848 Revolutions**.2nd. ed, Longman Group,UK,1991.p.52ff;

(٤) سيغمان ،**الثورات الكبرى في التاريخ**،ص٢٠٦-٢١٠.

تفاجأ الجميع بهجوم (٢٠٠)رجل على مبنى كان غيزو يقيم فيه ،ولكن ردة فعل حرس المبنى على الهجوم كانت قوية وعنيفة حيث قتل سبعة عشر رجلا من المهاجمين ،والذين حملوا وتم الطواف بهم في المدينة لتكون دليلا على أن الملك يماطل في الإصلاح ،فتحولت المطالبة بالإصلاح إلى المطالبة بالجمهورية ،وأمام تصاعد الحركة الشعبية والمتاريس التي انتشرت في باريس استقال الملك فيليب (Louis Philipp) وأعلنت الجمهورية لتفتح عهدا جديدا في أوروبا[١].

كانت الثورة الفرنسية الحدث الأول في نعش تسوية فينا ١٨١٥م ،فقد أصبحت فرنسا جمهورية من جديد ،وما سعى له ميترنيخ عبر عقود بدا أنه تلقى ضربة قاضية ،فمشاعر البهجة والخوف اختلطت من جديد في نفوس الألمان؛فما تزال ذاكرتهم حافلة بأحداث سنة ١٨٤٠م وما ساد خلال تلك الفترة من قلق وعودة الروح التحررية ،فكما تلقى الألمان أخبار الثورة الفرنسية الأولى ١٧٨٩م بقلق وترقب تلقوا أنباء الثورة الفرنسية الجديدة بنفس المشاعر حتى الراديكاليون منهم كانوا خائفين من السياسة الخارجية للثورة وحكومتها[٢].

بدأت الثورة الألمانية في الجنوب الغربي في منطقة الراين في نهاية شباط ،لتمتد إلى كل الدول الألمانية وصولا إلى الحدود الروسية ،في كل مكان في المدن والقرى خرجت الجماهير إلى الشوارع حاملة اللافتات التي تطالب بالإصلاح السياسي وبالعدالة الاجتماعية وبالتحرر من العبودية .عرائض رفعت إلى الأمراء والملوك الألمان .شارك الألمان في الصراع من أجل عالم أفضل ،فلم يحدث في التاريخ الألماني مثل هذه المشاركة الشعبية بهذا الجو الحماسي للتغيير الاجتماعي والسياسي[٣].

لقد كانت أولى الحركات التي طربت بنجاحات الثورة الفرنسية قد بدأت في مدينة ماينز على الراين والمناطق المحيطة فيها ،فقد توجت المسيرات الحاشدة والعرائض المرفوعة بعقد لقاء جماهيري في مدينة ماينز ،أعتبر الأكثر تنظيميا وقوة لمدة أسبوع ما بين (٢٨ شباط و٥ آذار) وبعد إلقاء الخطابات التي عبرت في مضمونها عن روح لقاء اوفنبيرج الراديكالي ومانهايم الليبرالي المعتدل- كما أشرنا سابقا - .أخيرا تم الاتفاق على خروج الحشود تجاه عاصمة الدوقية وإجبار الدوق الأكبر على إجراء التغيير السياسي ؛الذي استجاب بدوره إلى الحشود الغاضبة

---

(1) Johns ,**The 1848 Revolutions**,pp.57-60; سيغمان ،**الثورات الكبرى في التاريخ**،ص٢٢٧-٢٣٣.

(2) Repgen, Konrad.,**Märzbewegung und Maiwahlen des Revolutionsjahres 1848 im Rheinland**. Ludwig Röhrsheid,Bonn,1955.S.3,13-14.

(3) Sheehan,**German History**,pp.658-57.

وقام بعزل رئيس الوزراء وتعيين هاينريش فون جاجرن رئيسا للوزراء بدلا منه ،لتبدأ في الدول الألمانية ما يسمى "وزارات آذار الليبرالية"(١).

حققت الثورة أولى انتصاراتها المهمة في بادن المعقل الرئيس للحركة الليبرالية ،فما أن وصلت الأنباء عن الثورة الفرنسية حتى خرجت الجماهير إلى الشوارع في مانهايم وفي هايدلبيرج ،ومنها إلى باقي المدن البادنية ،رافعين شعارا واحدا:الإصلاح الدستوري وفيدرالية ألمانية ،وتقدموا بعرائض إلى الحكومة التي وعدت من جانبها في ٢٩ شباط بالموافقة على فورية إنشاء فصائل غير مسلحة للدفاع الوطني (Bürgerwehr) والموافقة على المحاكمة أمام هيئة محلفين ،ووقف الرقابة عن الصحافة وإعادة العمل بقانون الصحافة ١٨٣٢م الليبرالي، كان هذا المطلب موحدا بين الليبراليين المعتدلين والراديكاليين؛إلا أن الجناح اليساري الراديكالي المتمثل بفريدرش هيكر وجوستاف فون سترافو أصروا على المطالبة بقيام جمهورية ألمانية وقلب نظام الحكم على عكس ما أظهره الليبراليون من أكاديميين ورجال أعمال ،الذين أظهروا ميلا كبيرا للتعاون مع الحكومة والنظام السياسي .ففي بداية آذار جمعت العرائض ودعا قادة المعارضة إلى اجتماع جماهيري توجه إلى القصر وهددوا البرلمان والقصر ،ولاحت بوادر ثورة دموية ،ففي الكارلزروه (Karlsruhe) وأمام البرلمان المرعوب خطب هيكر بنبرة المنتصر وبالكاد تم إقناع المعارضة- اليسار الراديكالي- بإنشاء لجنة من أجل وضع دستور جديد للدولة ،وألزم الدوق نفسه بالإصلاح الدستوري وشكل وزارة ليبرالية من الإصلاحيين(٢) .

حشدت المعارضة بكافة أطيافها السياسية في مدينة كولونيا في ٣آذار لقاءً جماهيريا نظمه:ليبراليون معتدلون ،ديمقراطيون جمهوريون ،يساريون راديكاليون ،يساريون . وفي نهاية اللقاء تقدموا بعريضة إلى الملك طالبوا فيها بالإصلاح السياسي الشامل بلهجة اتسمت بالقوة. الشيوعيون بقيادة أندرياس قوت شالك (Andreas Göttschalk) قاموا بمظاهرة كبيرة ضمت خمسة آلاف متظاهر ؛ختمت بمجوعة من المطالب أبرزها:الدعوة إلى حل الجيش وتسليح

---

(1) Bockenheimer,Karl Goerg., **Mainz in den Jahren 1848 und 1849. Mainzer** Verlagsanstalt und Druckerei, Main ,1906.S.6-7.

(2) Botzenhart, Manfred, **Geschichte des Parlamentarismus in Deutschland.**Weimar als Erfahrung und Argument ,Düsseldorf**,** 1974.S.90-93; Wirtz, Rainer, **Widersetzlichkeiten**; **Excesse, Crawalle, Tumulte und Skandale: Soziale Bewegung und gewalthafter Protest in Baden 1815-1848**, Sozialgeschichtliche Bibliothek, Ullstein,Frankfurt am Main,1981.S.169-170.

الشعب وأن يكون الشعب هو مصدر السلطة والتشريع وحماية العمال وضمان حد أدنى من الأجور وأساسيات الحياة ومجانية التعليم وحريته[١].

سارت الأحداث في بلاتينيا على نفس الخُطا ،فقد كانت حركة منظمة وقوية منذ البداية انطلقت الثورة على أثر لقاء حاشد دعا فيه الجناح الراديكالي إلى إقامة جمهورية وسادت الجماهير روح الثورة الفرنسية ،فعندما قال أحد المتحدثين أيها السادة صاح الجميع "مواطنين".منذ مهرجان همباخ ١٨٣٢م لم ترفع الأعلام ذات الألوان الأصفر والأحمر والذهبي علنا ،حتى حملها البافاريون وطافوا فيها في شوارع المدن ،لتصبح منذ ٨ آذار شعار الثورة في كل مكان من ألمانيا ،كانت المطالب الأساسية هي مطالب جميع الألمان التي أشرنا لها في مقدمات الثورة ،ولكن هذه المرة كانت يسارية راديكالية:الحكم الذاتي ،السيطرة المحلية على الغابات ،العفو العام عن السياسيين ،والشعب مصدر كل السلطات.اختار المجتمعون وفدا ذهب لمقابلة الملك ليجدوا أن الملك قد استبق الأمور وعين وزارة من الليبراليين المعتدلين[٢].

أخذت الثورة الألمانية في الريف منحى آخر ،فأهل الريف الذين استمعوا إلى الخطابات التحريضية وشهدوا المهرجانات لم يكن لديهم الفهم الكافي لشعارات الليبراليين؛فالحرية بالنسبة لهم كانت تعني حريتهم من القنانة والعبودية وأعمال السخرة والالتزامات الإقطاعية وما تفرضه عليهم الدولة من ضرائب ،فقد انطلقت الأعمال الثورية صابّة جام الغضب بطريقة عفوية وتلقائية على الملاكين ،فأحرقوا بيوتهم وقاموا بإهانتهم ،وعلى المرابين اليهود الذين هم سبب تعاستهم وفقرهم ،هاجموا المراكز التي تحوي الوثائق والعقود التي كانت ما بين السادة والفلاحين وأحرقوها ،كانت الثورة بالنسبة لأغلب الفلاحين فرصة لتسوية عقود من الإذلال ،ولذا نجد أن الثورة في معظم الدول الألمانية كانت تحقق نجاحا دون الوصول إلى الاصطدام العنيف ،نجدها في الريف أكثر عنفا واستمرارا[٣] .

الهياج السياسي والاضطراب الاجتماعي أجبر الحكومات الألمانية على التوالي وبنفس الفترة تقريبا ،مع التباين في التفاصيل على تقديم تنازلات حان الوقت لتستجيب لها جميع السلطات ودون إبطاء والتي تمثلت بما يلي[٤]:

---

(1) **Rheinishe Briefe und Akten zur Geschichte der politischen Bewegung(RBA)**No.2\1.S275-277.

(2) **Kölnishe Zeitung,14 März,1848**;Rapgen, **Märzbewegung**.S.56-60.

(3) Wirtz, **Widersetzlichkeiten.S.170ff.**

(4) Rapgen,**Märzbewegung**.S.60ff; Botzenhart, **Parlamentarismus in Deutschland**.S.170ff;Legge, **Rhyme and Revolution**.pp.165.

١.وضع دستور ليبرالي يستند إلى الحريات الأساسية والمساواة المدنية دون التمييز على أساس العقيدة أو الطبقة الاجتماعية ،وإقامة الوحدة الألمانية.

٢.المصادقة على حرية الصحافة .

٣. وضع قانون مدني وجزائي جديد لكل ألمانيا و المحاكمة من خلال هيئة محلفين ،وأن تكون المحكمة علنية في جميع مراحلها القضائية .

٤.إقامة مجالس تمثيلية في الدول الألمانية المختلفة ،مع بقاء حق المصادقة على الضرائب فقط للشعب .

أمام هذه الموجة الثورية التي تعززت بحركات الفلاحين والعمال في المدن – خاصة العمال الحرفيين – والتي سارت في ثلاث اتجاهات رئيسة كما يؤكد فالنتين:"كانت أولا بأول حركة قومية؛هدفها إقامة دولة ألمانية موحدة وقوية تضم إليها كل البلدان الألمانية...دولة دستورية...وبرلمان قومي"[١] الحكام الألمان في البداية كانوا مضطربين ومنقسمين واقتنعوا بأن بعض الحلول الوسط قادرة على تهدئة الخواطر الغاضبة ،فملك بافاريا لودفيج الاول(Ludwig I) كان الضحية الأولى من بين الحكام الألمان الذين أطاحت بهم الثورة فقد أجبر على التنازل عن العرش لابنه ماكسيمليان الثاني (Maximilian II) حفاظا على هيبته الملكية ،كما حدثت أعمال شغب في ميونخ قادتها التنظيمات الطلابية مهددة أنها لن تتوقف حتى يتنحى الملك عن السلطة ،وكان سبب تلك الأحداث راقصة تدعى لولا مونتيس(Lola Montez) كانت على علاقة مع الملك العجوز .وأمام الضغوط الكبيرة على الملك أجبرت (لولا)على مغادرة المدينة ولكنها عادت إلى ميونخ في التاسع من آذار ،حيث أجبرتها الشرطة على المغادرة ولكن الملك استخدم نفوذه لصالحها ،مما أدى إلى سخط كبير على ذلك لينتهي المشهد بتنحية الملك لودفيج الأول من منصبه ،وتولي قادة حركة الإصلاح مقاليد السلطة بزعامة رئيس هيئة الرايخ التشريعية لمجلس السادة الأعلى في بافاريا الأمير فورست لاينجن (Fürst .K Leiningen)[٢].

أظهر بعض الحكام الألمان والأوساط المحافظة رفض فكرة فرض الإصلاح عليهم بفعل الثورة متكئين على دعم القوى الرجعية المحافظة ،فملك فورتمبيرج فريدريش فيلهلم (F.Wilhalm) كان رجلا عسكريا شارك في حروب التحرير ضد نابليون ،رفض فكرة الإصلاح ،وعندما قدم وفد من الليبراليين لمقابلته رد عليهم قائلا:"نحن لسنا وحدنا.لأن بروسيا والنمسا وروسيا سوف تقف

---

[١] فايت فالنتين،**تاريخ الألمان**،ص٢٩٩-٣٠٠.

[2] Legge, **Rhyme and Revolution**,pp.166-167;Sheehan,**German History**,p,662; Freund, Michael, **Deutsche Geschichte**, von den Anfängen bis zur Gegenwart, München, 1979 .S.570;.فايت فالنتين،**تاريخ الألمان**،ص٢٩٩.

إلى جانبنا ، ضد أعداء النظام[١] ".السفير الروسي في شتوتجارت استغرب الحلول الوسط التي تقوم بها الدول الألمانية وتوجهها نحو الليبرالية متسائلا:"ألم يقم الحلف المحافظ بهزيمة الثورة الكبرى وبطلها نابليون ،وقام بالثورة المضادة سنة ١٨٣٠م؟"[٢].كان العديد من الأمراء يأملون بأن تقوم هذه القوى بمساعدتها على غرار ما فعلوا في السابق،إلاّ أن الظروف الآن مختلفة عما كانت عليه سنة ١٨٤٨م.

مللك سكسونيا فريدرش أوجست الثاني (Friedrich August II)هو الأخر رفض الإصلاح والتغيير السياسي وهدد المعارضة بإجراءات قاسية ،إن هم استمروا في التحريض ورفع العرائض والمظاهرات فقد أصر الملك في إعلان يوم الثالث من آذار على رفض الإصلاح مؤكدا أنه:"استنادا إلى الإعلان الصادر عن الرايخستاج الألماني في جلسته الثانية عشر المنعقد في٣ آذار من هذه السنة ،والمتعلقة بتوفير الضمانات الكفيلة بضمان الحرية الصحفية فإننا نعلن الآتي:

١.الدول الألمانية لها الحرية في إلغاء الرقابة على الحرية الصحفية.

٢.إن هذا ،على أي حال لا يمكن أن يصير نافذا إلاّ بتوفير الضمانات الكفيلة في كافة الدول الألمانية الأخرى ؛ودول الكونفدرالية هي ضد إساءة استخدام الحرية الصحفية ،والتي يجب أن تكون في إطار القانون"[٣].

رفضت المعارضة من جانبها الرضوخ لتهديدات الملك الذي استدعى الجيش الذي رفض من جانبه الاستجابة لطلب الملك بمهاجمة المتظاهرين ،فأذعن الملك لإرادة الشعب وعين حكومة ضمت العديد من الليبراليين[٤].الملك ارنست ملك هانوفر من جانب آخر رفض جميع التنازلات التي طالب بها المعارضون ،ومع توسع الأحداث حاول أن يهدد شعبه بالتنحي عن الحكم ولكن ذلك لم يؤد إلى نتيجة ،فاضطر إلى التسليم لقدره وأجبرته المعارضة على تعيين شتوبه (Stübe) الليبرالي اليساري الذي أمضى عدة سنوات في السجن بسبب معارضته سياسة ارنست التسلطية كأحد الوزراء الليبرالين في الحكومة الجديدة [٥].

---

[1] F.Wilhalm in: Legge, **Rhyme and Revolution**. 167.

[2] Russian Ambassador in :Sheehan, **German History**,p,662.

[3] **Verordnung Seiner Majestät des Königs von Sachsen Friedrich August II. zu Bekanntmachung des wegen Aufhebung der Censur (in den Staaten des Deutschen Bundes) unterm 3ten März 1848 gefaßten Bundes- beschlusses.Vom 9 ten März 1848. Gesetz- und Verordnungsblatt für das Königreich Sachsen 1848**.S. 17-18.

[4] **Gesetz- und Verordnungsblatt für das Königreich Sachsen 1848**..S.19.

[5] Legge, **Rhyme and Revolution**.p.167.

تقدم وفد في اولدينبورج يرأسه البارون فون تانا (von Thanna) أحد أغنى مالكي الأراضي في الدوقية ،بعريضة إلى الدوق الأكبر في العاشر من آذار تضمنت المطالبة بحكومة تمثيلية وبعض المسائل المتعلقة بالدستور ،وقد قام فون تانا بإلقاء خطاب بلغة قوية لم يتعود عليها الدوق ،فقاطعه وسط كلمته قائلا:"أيها السيد هل تقصد تخويفي؟ إن هذا لم يكن قصدي أيها الأمير! أجاب فون ثانا ،ولكن عبرنا عن أمانينا التي هي أماني أجمع عليها الشعب .علق الدوق أنت تطالب بالدستور:هذه مسألة صعبة جدا تحتاج إلى وقت طويل من التفكير والتأمل ،وأكثر من ذلك ففي وقت كهذا يجب ألاّ نستعجل الأمور.اسمح لي سيدي؛قال فون ثانا:علي تذكير سموك أنك قدمت لي نفس الجواب الذي قدمته لي قبل سبع عشرة سنة ،عندما كان لي الشرف تمثيل الشعب بنفس هذه المناسبة!"[١].

٣-٢-٢.الثورة في فينا ١٣آذار-١٥-١٨٤٨م:

راقبت الحكومة النمساوية تصاعد الأحداث بعين عدم الرضا والترقب ،فقد كتب يوزف ماريا فون رادوفيتز[٢](J.Maria von Radowitz) (١٧٩٧-١٨٥٣م) إلى ملك بروسيا في ٦ آذار من فينا :"السلطات مضطربة ومهزوزة...الكثيرون هنا يقولون إن المواجهة الكبرى سوف تكون هنا في فينا..."[٣]. ميترنيخ الذي كان متوقعا لمثل هذه الأحداث حاول أن يبني حلفا مضادا لكنه كان غير قادر على مواجهة الأزمة ،والتي ترافقت مع أزمة مالية ناتجة عن عدم قدرة البنوك النمساوية على تغطية العملة الورقية التي وضعتها للتداول ،وخاصة في ظل رفض التجار التعامل بها ؛مما أدى إلى ارتفاع حاد في أسعار المواد الغذائية [٤].

عمل خصوم ميترنيخ داخل البلاط على استغلال الظروف المواتية للتخلص منه، وتوجيه سير الاحداث لصالحهم ،وبخاصة رجل الدولة النمساوية الأمير فرانتس انتون فون كولوفرات – ليبشتانسكي (Graf Franz Anton von Kolowrat-Liebsteinsky) (١٧٧٨-

---

[1] Letter from von Thaana, 10th March, 1848, in Legge, **Rhyme and Revolution**, pp.167-168.

[٢] ولد في ٦ شباط (١٧٩٧-١٨٥٣م) من أسرة كاثوليكية نبيلة في هنغاريا .وهو أحد جنرالات الدولة البروسية وأحد كبار موظفيها ،وكان صديقا مقربا من الملك فريدريش الرابع وهو لا يزال أميرا ،وبعد أن أصبح ملكا كان من أقرب المستشارين له ،و من أشد المدافعين عن العرش البروسي وداعيا مخلصا لزعامة بروسيا لألمانيا كما كان نائبا في برلمان فرانكفورت عن الكاثوليك في بروسيا ،ومن أشد أنصار ألمانيا الصغر،حيث صوت لصالحها في برلمان فرانكفورت. لمزيد من المعلومات انظر:

Radowitz, Josef von., **Nachgelassene Briefe und Aufzeichnungen zur Geschichte der Jahre 1848-1853**. W. Moring ed. 1922.; Meinecke, Friedrich, **Radowitz und die deutsche Revolution**. Berlin, 1913.

[3] Radowitz, **Nachgelassene Briefe**. S.12-13.

[4] Srbik, Heinrich Ritter von, **Metternich: Der Staatsmann und der Mensch**, 2 Bände. Bruckmann, München, 1925. Bund.2.S.246-247.

١٨٦١م) الذي عمل في وزارة ميترنيخ مابين (١٨٢٦-١٨٤٨م) وزيرا للشؤون الداخلية بالإضافة إلى عدد من الأمراء بتحريض المعارضة الليبرالية المعتدلة في المجالس التمثيلية المحلية ضد سياسة المستشار ؛وبدا واضحا أن الحكومة وإن كان لديها الرغبة في ضرب الحركة المعارضة واستخدام القوة؛فإنها غير قادرة عليها في ظل الأزمة المزدوجة كما أن رجال الشرطة والجيش كانوا غير قادرين على مواجهة شعبية بدت أنها في حالة من التمدد ،والتي بدأت قبل انطلاق الثورة الفرنسية في إيطاليا ،وتعززت في انتشار ووصول الثورة إلى الدول الألمانية في منطقة الراين ،فصارت على أعتاب القصر النمساوي في فينا يوم ١٣ آذار[١].

بدأت الثورة في فينا بمناسبة افتتاح اللاندتاج "مجلس الطبقات الدنيا" يوم ١٣ آذار ١٨٤٨م ،فما إن بدأ المجلس جلسته الافتتاحية بنصف ساعة حتى تمت مقاطعته من قبل أعداد كبيرة من الجماهير الذين دخلوا القاعة وهم يهتفون للإصلاح ورحيل ميترنيخ .الأمير البرت مونتخيلو(Graf Albert Montecuccoli) ١٨٠٢-١٨٥٣م رئيس المجلس ظهر للجماهير التي بدت عليها السمة البرجوازية الليبرالية ؛فالمواطنون متأنقون ومحترمون:طلاب وحرفيون وقسم كبير من الطبقة الوسطى ،لا يبدو عليهم أنهم قادمون من أجل إشعال ثورة .خاطبهم رئيس المجلس لتهدئة الخواطر ودعاهم إلى تقديم عريضة للإمبراطور وتشكيل وفد لهذه الغاية ، ومباشرة ذهبوا إلى القصر تتبعهم الجماهير حيث استقبلهم وزير الداخلية وأخبرهم بأنه ليس لديه الصلاحية لمنح مثل هذه الوعود[٢].

زادت ثقة الجماهير بنفسها بمرور اليوم الأول وخاصة مع وصول أعداد كبيرة من الناس والتحاقهم بالمتظاهرين .وبنفس الوقت زادت حدة توتر الحكومة التي استدعت الجيش إلى العاصمة ،مما أدى إلى صدامات عنيفة في مختلف أرجاء المدينة وسقوط أعداد كبيرة من القتلى وبدلا من تشتيت المظاهرة تجمع المواطنون على الطريقة الباريسية واخذوا يقيمون المتاريس في شوارع فينا ،وعلى الحواجز أظهر المتظاهرون بسالة وشجاعة كبيرة ،وأخذت الجموع الغفيرة بمهاجمة المحلات وبيوت النبلاء ومالكي المصانع من ذوي السمعة السيئة وموظفي الحكومة وجامعي الضرائب ،وما إن قدم الليل حتى كانت المدينة مشتعلة ومنارة من المباني والمحلات المحترقة[٣].

---

(1) Häusler, Wolfgang.,**Von der Massenarmut zur Arbeiterbewegung:Demokratie und Soziale Frage in die Wiener Revolution vom 1848**.Jugend & Volk, Wien & Munchen, 1979.S.153; Srbik, **Metternich** ,Bund.2.S.247.

(2) Legge, **Rhyme and Revolution**.p.168; Häusler, **Von der Massenarmut**.S.154.

(3) Häusler, **Von der Massenarmut**.S.154-155.

هددت المعارضة بالاستمرار وعدم إلقاء السلاح؛مما أجبر الحكومة على سحب الجيش والركون إلى المفاوضات مع قادة المعارضة ،وكانت النتيجة إعطاء مهلة للحكومة حتى الساعة التاسعة من صباح يوم ١٤ آذار ،وجلس المتظاهرون عديمو الخبرة والتنظيم ينتظرون في ساحة القديس ستيفن (St.Stephen Platz) والأضواء والأصوات تملأ الشوارع التي تزيل خوفهم وإرهاقهم وكأنها كابوس لا ينتهي .استمر اجتماع الحكومة طوال الليل وفي تمام الساعة التاسعة صباحا أعلن ميترنيخ استقالته من جميع مهامه وأعلن موافقة الإمبراطور على جميع المطالب التي تقدمت بها المعارضة وأنه ترك المدينة بعهدة الحرس المدني بقيادة الكونت هويز (Hoyos) والطلبة والمواطنين[1].

فتحت استقالة ميترنيخ نهاية عهد من الرجعية ارتبط باسمه بعد أربعين سنة من الحكم البوليسي السري والقبضة الحديدية ؛لتظهر وكأنها فجر جديد سطع على دول وسط أوروبا وعلى الدول الألمانية ،فقد رحل ميترنيخ لينضم إلى قافلة المنفيين إلى لندن :لويس فيليب ملك فرنسا غيزو رئيس وزرائه ،الملك لودفيج ملك بافاريا ،الأمير فيلهلم ولي عهد بروسيا ،وأخيرا لولا مونتيز التي اجتازت القنال الانجليزي على نفس السفينة التي تحمل ميترنيخ. وهنا يظهر التحالف من جديد بين النظام القديم والليبراليين الإصلاحين الذين اكتفوا بإعلان الإمبراطور فرانتس الثاني يوم ١٥ آذار ١٨٤٨م ،والذي نص على:"إلغاء كافة أشكال الرقابة والاعتراف بشرعية الحرس المدني وواعدا إياهم بدستور وبرلمان تمثيلي بأقرب وقت ممكن ،ودعا الحرس المدني للسعي لإعادة الهدوء إلى المدينة"[2].

تم تشكيل حكومة جديدة برئاسة الأمير فرانتس أنتون كلوفرات – ليبشتانسكي والذي قام بالعديد من الإجراءات لتخفيف حدة التوتر بين الناس ،والتي تم إعلانها على التوالي:فقد أصدر العفو العام عن جميع السجناء السياسيين في جيليقيا (Galicia) ومملكة لومبريديا–فينيتاين ؛مئة وخمسون سجينا إيطاليا وبولنديا تم الإفراج عنهم من السجن الشهير في شبيلبيرج (Spielberg) كما عمل على إلغاء المحكمة السرية التابعة للشرطة ،وتم نشر رسالة من وزير الداخلية بهذا المعنى إلى كافة أقسام الإمبراطورية النمساوية ،والتي أكدت على ضرورة التزامهم بالمهام الرسمية لهم وعدم خرقهم للقانون وخاصة فيما يتعلق بتعيينهم الجواسيس وضرورة احترام الحرية الشخصية وحرية الصحافة وإلغاء الرقابة المفروضة عليها[3].

---

(1) Häusler, **Von der Massenarmut**.S.155; Srbik, **Metternich**, Bund.2.S.252ff; Kraehe, **Metternich's German Policy**, vol. II.p.242.

(2) Sheehan,**German History**,p,664; Häusler, **Von der Massenarmut**.S.154-155.

(3) Legge, **Rhyme and Revolution**.p.168.

وبعد هذه الأحداث ظهر تحول في الخطاب السياسي لليبراليين ،إذ أن الثورة التي أوصلت الليبراليين إلى السلطة من خلال العنف يجب أن تتوقف ،وما أصبح يعرف بعد كل الثورات "أعداء النظام الجديد" يجب أن يوقفوا ويتم ملاحقتهم ،فالقائد الجديد للحرس المدني وهو الحرس الذي تشكل أثناء الثورة دعا المواطنين المسؤلين إلى الانضمام إليه ضد ما سماه "المتوحشين والمجرمين المندفعين من البروليتاريا".وخلال عدة أيام استطاعت السلطات بمعاونة الحرس المدني من إعادة النظام والهدوء إلى العاصمة ،لكن الاضطرابات استمرت في الريف وباقي أجزاء مملكة الهابسبورج(١). بعدها تم إعلان الدستور في٢٥ نيسان ،مكملا المرحلة الأولى من الثورة النمساوية ؛ووفقا لهذا الدستور الملكي فإن البرلمان يتألف من مجلسين:المجلس الأعلى والذي ضم (٢٥٠)عضوا ،خمسهم يعينهم الإمبراطور والباقي يتم اختيارهم من بيوت الأمراء من جميع أنحاء الإمبراطورية ،والمجلس الأدنى الذي يتم انتخابهم من قبل أصحاب الأملاك الذين يدفعون أكثر من ألف فلوراين(٢).لقد أصبح الانتخاب مقصورا على دافعي الضرائب الكبار.

٣-٢-٣.الثورة في برلين ١٨ آذار١٨٤٨م:

كانت الحركة البروسية الثورية أقل ديناميكية من جاراتها في منطقة الراين ،فقد كانت المعارضة خجولة في مطالبها ،إذ اكتفت برفع العرائض عن طريق المجالس المحلية إلى الملك طالبة انعقاد اللاندتاج الاتحادي البروسي وبعض الإصلاحات السياسية ،والتي لم يكن لها أي تأثير على الملك في بداية آذار.ولكن مع التغيرات التي سرعان ما امتدت إلى ترير ما بين(١٢-١٣ آذار ١٨٤٨م)،تغيرت الصورة حيث طافت المدينة مظاهرات رفعت الأعلام ذات الألوان الأحمر والأسود والذهبي ،منشدين للجمهورية والتغيير السياسي الجذري ؛وانتهى المتظاهرون برفع عريضة إلى الملك تطالبه بالإصلاح السياسي الحقيقي(٣).

وتشير التقارير في أرشيف كوبلنز إلى أن السلطات البروسية بدأت تتخذ مجموعة من الإجراءات السرية لإنشاء حرس سري مدني هدفه الأساسي متابعة الأعمال والنشاطات الثورية والقيام بأعمال التجسس على الجمعيات السياسية والأشخاص ذوي التوجهات الليبرالية .ولهذه الغاية عقدت وزارة الداخلية اجتماعا ضم رؤساء المقاطعات البروسية نتج عنه تعميم على جميع المراكز الإدارية يقضي بإنشاء مثل هذا الجهاز ،لذا نجد أن الثوار عندما طالبوا بإنشاء ميلشيا

---

(1) Häusler, **Von der Massenarmut**.S.154-155.

(2) Legge, **Rhyme and Revolution**.p.169 .

(3) Rapgen, , **Märzbewegung**.S.60.

مدنية هدفها الحفاظ على الممتلكات واستتباب الأمن من اللصوص والمجرمين ،كانت السلطات البروسية جاهزة[١].

جاء الأثر الأكبر للثورة على بروسيا من فينا وليس من باريس ،فرادوفيتز خشي أن الأحداث الأخيرة في فينا قد هدمت السد المنيع أمام الثورة ،فقد كتب في ١٥ آذار١٨٤٨م:"إن ما حدث هنا ،من الممكن أنه يحدث الآن تحت شباك قصر الملك في برلين..." [٢].وفي رسالة عاجلة إلى الملك كتب له أن يبحث عن مكان آمن خارج برلين إذا أراد أن يظل متمسكا بمواقفه من الإصلاح[٣].شكّلت الأحداث في بروسيا وخاصة في برلين حالة من الخوف والترقب على مستوى الحكومة والمعارضة ؛فالملك لم يقم بأي إجراء من شانه أن يزيل هذه الحالة والمعارضة منقسمة على نفسها فالمعتدلون كانوا يأملون في أن يقوم الملك بخطوة الإصلاح السياسي والراديكاليون متخوفون من النتائج في حالة الفشل .

في مساء يوم ١٧آذار ١٨٤٨موأمام الضغوط الهائلة على الملك وافق على إجراء الإصلاح السياسي حيث أعلن في صباح ١٨ آذار في رسالة من الملك تضمنت تقييما منه للأوضاع العامة التي تمر بها البلاد ،حيث يؤكد أنه" لا نستطيع تجاهل ما يحدث في فينا من أحداث كبرى... فمشاركة فينا في إعادة ترتيب البيت الألماني على أسس الوحدة ضرورية... ولكن تسارع الأحداث جعل مشاركتها متعذرة وبالرغم من ذلك فهي أساسية...وبالرغم من ذلك وأمام التحديات القائمة صار لازما على بروسيا أن تتحرك ...الآن وبعد الأحداث الهامة نجد أنفسنا معنيين بالتحرك ليس في بروسيا وحدها وإنما في كل ألمانيا – إنها إرادة الله– في التوحد جميعا والتي أعلنتها الجماهير بصوت عال وصريح... أول ما نطالب به بأن تتحول ألمانيا من الكونفدرالية إلى الفيدرالية وهذا يتطلب إعادة النظر بالدستور الكونفدرالي ولا يمكن ذلك أن يتم إلاّ بموافقة الأمراء ،لذا يجب تسمية ممثلين عن الدول الألمانية والذين يجب أن يدعوا فورا .إننا نعتقد أن مثل هذا التمثيل لوضع دستور يجب أن يستند إلى المساواة الكاملة للأعضاء الذين يجلسون جنبا إلى جنب..."[٤].

كانت الرسالة وكأنها نسخة أخرى من إعلان هابنهايم١٨٤٧م الليبرالي ،فقد أضاف:"إننا بحاجة إلى دستور اتحادي يعمل على تسوية جميع الخلافات القائمة ما بين الأمراء ومجالس

---

[1] **Landeshauptarchiv Koblenz**,442,No:909.S.3388-90. الملف بالكامل (٤٤٢) يتحدث عن نشاطات الحرس المدني

[2] Radowitz, **Nachgelassene Briefe**.S.31.

[3] Ibid.S.31-32.

[4] Patent Seiner Majestät der Königs von Preußen Friedrich Wilhelm IV. **wegen beschleunigter Einberufung des preußischen Vereinigten Landtages.Vom 18.März 1848**.in: **(RPKF)**. S. 5-7.

الطبقات ،وبين الدول الألمانية فيما بينها ،إننا نطالب بحرية التنقل الكاملة في جميع الأراضي الألمانية.نحن نطالب بإزالة كافة الحواجز والمعوقات أمام حركة النقل على الأرض الألمانية والتي تعمل على إحباط شعبها المثابر ،لذا فإننا نطالب بتسولفراين تتوحد فيه المكاييل والمقاييس وتتوحد فيه كامل الإجراءات ،وقانون جمركي موحد ،يعمل على تقوية الروابط ما بين دول الألمان...نقترح الحرية الصحفية بضمانات المصلحة العليا داخل الأرض الألمانية...هذه هي رغباتنا واقتراحاتنا لإنجاز نفخر ونثق به ،ونحن نتوقع من حلفائنا دعمه ،والمؤكد إشراك الشعب الألماني كله..."[١].

دعا في نهاية الرسالة الألمان إلى الوحدة واستتباب الأمن وأكد التزامه بالوعود السابقة ودعا الأوروبيين إلى السلام :"إننا نأمل في انتشار السلام ،وأن تتوقف حدة التوتر التي تسبب ألما عظيما في وطن الآباء الألماني ؛معطلة حركة المرور والتجارة ،إننا نخشى الانقسام والفرقة...أننا نأمل بالسلام والاستقرار وتوحد أوروبا...إن التأخير الذي هو ضد رغبتنا سوف يلحق الضرر ببلداننا ،ولدينا النية والعزم على المضي بهذه المقترحات قدما والتي هي ضرورية لبلداننا الدستورية ،لقد قررنا الإسراع في تنفيذ هذه المقترحات بعرضها على اللاندتاج الاتحادي وأعطينا توجيهاتنا بهذا الخصوص إلى الوزارة بعقد اجتماع عاجل لهذه الغاية يوم ٢ نيسان من هذه السنة..." [٢].

تكمن أهمية هذه الرسالة أنها تظهر ولأول مرة أن المطالب الليبرالية والوحدوية قد اعترف بها رسميا من قبل قوة عرفت بمحاربة التوجهات الليبرالية وقلعة حصينة من قلاع الحكم المطلق والرجعية ،وأضحت هذه المطالب ليست مطلبا شعبيا يفكر فيه مجموعة من المثقفين في صالاتهم المغلقة كما كان خصومهم يتهمونهم بل مطلب أهم الدول الألمانية فالرسالة يمكن أن تعد نجاحا كبيرا لليبراليين المعتدلين من دون قتال في الشوارع ،كما يمكن عدها اعترافا بشرعية المطالب البرجوازية الناشئة بالدعوة للوحدة الاقتصادية من خلال التسولفراين من جانب آخر نجد أن فريدرش الرابع لا يزال كما كان والده من قبل مؤمنا إيمانا راسخا أن الوحدة الألمانية يجب أن تكون في ظل التاج النمساوي بالتعاون مع الملكية البروسية؛وهذا بالطبع لم يفهمه الذين اجتمعوا في فرانكفورت .

خرج الناس بشكل تلقائي وعفوي مبتهجين ومحتفلين بما تم انجازه ،يملؤهم الأمل بمستقبل جديد وعهد جديد ،توجهت الحشود إلى القصر لتحية الملك فريدريش الرابع ولكن سرعان ما

---

[1] **Ibid.S.**8.

[2] Patent Seiner Majestät der Königs von Preußen Friedrich Wilhelm IV. **wegen beschleunigter Einberufung des preußischen Vereinigten Landtages.Vom 18.März 1848**.in: **(RPKF)**. S. 5-7.

تحول المشهد إلى صدامات عنيفة مع الجيش البروسي الذي امتلأت به شوارع برلين .شعر أهل برلين بخيبة الأمل والخيانة ،كانت حصيلة الصدامات (٣٠٠) قتيل كانت أعمارهم ما بين(٢٥-٣٥) سنة عدد قليل منهم من البرجوازيين ،بعض العمال الحرفيين ،امرأتان فقط ،الغالبية العظمى كانت من العمال المتنقلين وبعضهم من أرباب الحرف ،اثنان من الطلاب وموظف واحد[١].

كانت هذه الأحداث بمثابة الشرارة التي فجرت الأزمات التي كانت تعاني منها بروسيا وخاصة في ظل العلاقة المتوترة ما بين جيش قادته من أبناء النبلاء وجله من أبناء الريف شديدو التعلق والولاء لسادتهم الإقطاعيين ،ومحتجون من أبناء المدينة المدللين والمرفهين كما أعتقد الفلاحون .بدأ إطلاق النار في ساحة القلعة (Schlossplatz) فأخذت الجماهير هناك تهتف بإخراج الجنود من المدينة وزادت حدة التوترات .أمام ذلك لم يكن أمام الملك التي عطلت أحداث ١٨آذار١٨٤٨م مشاريعه نحو برنامج إصلاحي ،كان عليه مواجهة خيار صعب ما بين استخدام القوة أو الاستسلام للإرادة الشعبية ،فقد أخبره القائد العسكري لمدينة برلين بأن نشر النظام يمكن أن يتم بصعوبة وأن ثمن ذلك سوف يكون عددا كبيرا من الضحايا ، ويبدو من ظاهر هذا القول الدعوة للتسليم للإرادة الشعبية على نقيض ما كان يؤيده ولي العهد الأمير فيلهلم-الملك فيلهلم الأول- والذي كان من أنصار الحل العسكري[٢].

وافق الملك في اللحظة الأخيرة على سحب الجنود وكتب رسالته المشهورة "إلى أعزائي أهالي برلين" صباح يوم ١٩آذار١٨٤٨م ،وهي مزيج ما بين العاطفة الجياشة والتبرير وتبادل الاتهامات حيث قال:" ...الأحداث التي كان فيها الناس غاضبين والذين ساروا إلى القصر حيث كانوا يشتمون البلد ؛فما كان إلاّ أن قام جنودي المخلصون بإطلاق النار...أعتقد أن هؤلاء مدفوعون من الخارج والذين لاذوا بالفرار بعد أن فشلت خططهم الشريرة مع ادعائهم الكاذب والمريض والتلاعب بعقول أحبائي أهل برلين الذين فكروا بالانتقام وسفك الدماء ،وهكذا سالت الدماء من الأبرياء ،جنودي هم إخوانكم وأبناء البلد وقد قاموا باستخدام سلاحهم عندما أطلق النار على القصر... إليكم يا سكان عاصمتي المحبوبين ،آن الأوان لمنع شر عظيم ...أطلب إليكم العودة إلى السلام وإرسال رجال لديهم الغيرة على البلد ...وأنا أعدكم بشرفي الملكي بالإخلاء الفوري للجنود من كل الإحياء في المدينة وبقائهم فقط في المواقع المهمة... استمعوا إلى الصوت الأبوي من مليككم ،يا سكان مدينتي المخلصين والأوفياء في برلين ،وانسوا ما حدث

---

(1) Sheehan, **German History**,p.667.

(2) Sheehan, **German History**,pp.667-668; فايت فالنتين،**تاريخ الألمان**،ص٣٠١-٣٠٢.

لأن ما حدث لن ينسى وسوف يبقى في قلبي ،من أجل مستقبل بروسيا ،برعاية الله بروسيا سوف تحيا من أجل ألمانيا كل ألمانيا..."[١].

كانت كل مساعي فريدرش الرابع طمأنة البروسيين وبخاصة أهل برلين أن ما حدث هو نوع من الخطأ ،فهو أب لكل الألمان وما منحه لهم هو وعد صادق ،والذين أثاروا هذه الأحداث متآمرين على البلد وعملاء ،وهي ذريعة قديمة حديثة تقدمها السلطات المأزومة في كل زمان ومكان بهدف المحافظة على السلطة ،فقد نجح الملك في امتصاص الأزمة التي كادت أن تطيح بعرشه من خلال البيانات والقرارات المتلاحقة .

قابلت الجماهير هذه البيانات بالابتهاج ،فثيودور فونتانه(Theodor Fontane) [٢] الذي قدم إلى برلين ،قال مبتهجا وساخرا في نفس الوقت:"ما تم تحقيقه بالثورة ظهر على أنه منحة من الملك وما منحه الملك يمكن بسهولة التراجع عنه..."[٣].في اليوم التالي خرج الملك ببيان اعتذر فيه عما حدث قائلا:" أطلب العفو والمغفرة من كل قلبي...من كل شعبي العفو والسماح...ولأنني أرى فجرا عظيما لبلدنا والذي يجب ألاّ يرتبط بأي ألم أعلن...العفو العام عن جميع المعتقلين لأسباب سياسية أو بسبب أرائهم في الصحف والذين ارتكبوا جرائم أو مخالفات سياسية ..."[٤].وفي نفس اليوم خرج هو وأعضاء حكومته وكبار رجال الدولة في تشييع شهداء يوم ١٨آذار الدموي.

عقد الملك اجتماعا للاندتاج البروسي الموحد حيث خطب فيهم خطابا عرف "نداء إلى شعبي والأمة الألمانية"،حيث أكد في هذا الإعلان على زعامة بروسيا للوحدة الألمانية ،وإقامة وزارة جديدة على أسس جديدة حيث قال:" بكل ثقة توجه الملك –فريدرش الثالث في سنة ١٨١٣م–قبل خمس وثلاثين سنة عندما كان الخطر عظيما إلى شعبه والذي لم يخيب ظنه... وبنفس الثقة أتحدث اليوم في الوقت العصيب والخطر الكبير الذي يتهدد الأمة الألمانية ، فهناك

---

[1] **Proklamation Seiner Majestät des Königs von Preußen Friedrich Wilhelm IV.**"**An Meine lieben Berliner**". **Vom 18./19. März 1848**. in: **(RPKF)**.S. 8-9.

[٢] الشاعر والكاتب والروائي والصحفي الألماني الشهير(١٨١٩–١٨٩٨م) والذي تعود نشأته إلى أسرة بروتستانتية ،له العديد من المؤلفات في اللغة الألمانية حيث يعده الكثيرون أهم الكتاب الألمان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .تنقل بين العديد من الوظائف منها الحكومية وأبرزها العمل الصحفي .للمزيد من المعلومات انظر:

Craig, Gordon, **Theodor Fontane: Literature and History in the Bismarck Reich.** Oxford University Press, New York, 1999.

[3] Theodor Fontane, in Gordon,**Theodor Fontane**.p.32.

[4]**Amnestie-Erlaß Seiner Majestät des Königs von Preußen Friedrich Wilhelm IV.Vom 20. März 1848**. in: **(RPKF)**.S.10

تهديد داخلي وتهديد خارجي من أكثر من جهة ،وحل هذا التهديد المزدوج لن يكون إلاّ إذا توحد الأمراء مع الشعب تحت قيادة واحدة ...وأنا أخذت على عاتقي هذه المهمة... "(١).

وفي نفس الخطاب تبنى الملك علم الثورة ليصبح منذ ذلك التاريخ علم ألمانيا،حيث قال:" اليوم أوافق على الألوان الألمانية القديمة ،وأنا أقف وشعبي تحت راية الرايخ الموقرة ،بروسيا في خدمة ألمانيا وسوف تعمل على أن تكون في الطليعة..." (٢).وأكد على ضرورة بناء جيش قومي موحد يعمل على تأكيد هيبة ألمانيا على الساحة الأوروبية ،وأضاف:" يجب أن نعمل على بناء ألمانيا جديدة ،ليس شكلا وإنما مضمونا ،الوحدة في التنوع الوحدة في الحرية ،يجب الدخول في الحياة الدستورية الحقيقية ،وإدخال المسؤولية الوزارية في كل الدول ،وإقامة محاكم عامة وإدارة مدنية في حالات الجرائم تستند إلى هيئة محلفين ،العمل على المساواة المدنية والسياسية للجميع بغض النظر عن المعتقدات الدينية ،وإقامة إدارة حرة تعمل على توظيف فقط أولئك الذين لديهم حس وطني عالي والمؤهلين للقيام بها..."(٣).

تم تشكيل وزارة جديدة ذات توجهات ليبرالية معتدلة ضمّ إليها وزراء ليبراليون ؛كامب هاوزن نائبا لرئيس الوزراء وهانزيمان(David Hanesman)، وكان شعار الحكومة الجديدة دعم توجهات الملك فريدرش الرابع في الإصلاح الدستوري ،وإنهاء حالة الفوضى في برلين واستعادة النظام (٤)،حيث وجدوا الحرس المدني جاهزا لتنفيذ هذه المهمة ،والذي استطاع خلال فترة قصير إنهاء حالة التمرد والعصيان؛وبالرغم من ذلك فقد استمرت حالات التمرد والعصيان في الريف البروسي ،فقد رفض الفلاحون الانضمام إلى الحرس المدني تحت قيادة السادة الإقطاعيين ،ورفضوا السماح لسكان الغابات الانضمام إلى الحرس(٥) ،ويشير تيلي(Tilly) أن أحداث العنف في مناطق بروسيا قد زادت ،فقد كانت خلال الأشهر الثلاثة الأولى (٣٤)حادثة بينما تصاعدت خلال الأشهر الثلاثة التي تلتها إلى (٥٢)حادثة(٦).وكانت الحركة العامة قد توقفت نتيجة أعمال

---

(1) **Proklamation Seiner Majestät des Königs von Preußen Friedrich Wilhelm IV**."**An mein Volk und die deutsche Nation**".**Vom 21. März 1848**. in: **(RPKF)**.S10-11.

(2) **Ibid**. in: **(RPKF)**.S10-11.

(3) **An mein Volk und die deutsche Nation**".**Vom 21. März 1848**. in: **(RPKF)**.S.11.

(4) Hoffmann, Das **Ministerium Camphausen- Hansemann**.S.116-118;Strauss, **Men Who Have Made the New German Empire,** Vol. II.pp. 289-290.

(5)**Landeshauptarchiv Koblenz**,442,No:909.S.3388ff.

(6) Tilly, Richard, Louise Tilly, Charles Tilly**, The Rebellious Century** 1830-1930. J.M.Dent & Sons, London, 1975.pp.220-222.

الثورة ،ففي شيلزيا بدأ الفلاحون بالهجوم على بيوت النبلاء وجامعي الضرائب ،وفي اجتماع ايلبرفيلد صاح العمال نريد حريتنا في الحصول على الغذاء لا نريد حرية الصحافة[١].

بدأت هجمة مضادة قادها الوزراء الليبراليون ضد من سموهم الرعاع ،جوستاف ميفيسن أشار أنه من الضرورة دعم الحكومة في توجهها لهزيمة الفوضويين الشيوعيين ،روبرت مول (Robert Mohl) تحدث عن بربرية تهدد الحضارة ،رودلف فيرشوف (Rudolf Virchow) كتب بحزن من برلين في نهاية آذار أن هناك ردة فعل قوية ضد الطبقات الدنيا[٢].صار واضحا اتفاق الإصلاحيين الليبراليين وتعلقهم بالسلطة ،لتعمل الثورة ونتائجها على تعميق حدة الانقسام ما بين الليبراليين المعتدلين والدستورين والديمقراطيين من جهة والراديكاليين والشيوعيين من جهة أخرى ليظهر هذا الانقسام واضحا في البرلمان التمهيدي .على أي حال في نهاية نيسان ١٨٤٨م ظهر أن الأعمال الثورية الكبرى قد وصلت إلى نهايتها وتم إقامة حكومات ليبرالية في كل الدول الألمانية عدا النمسا التي ظلت خلال سنة ١٨٤٨م غارقة في مشكلاتها الداخلية مع القوميات المتعددة التي نهضت من أجل الاستقلال[٣].

٣-٣.البرلمان التمهيدي(Vorparlament) :

حركت الأحداث الثورية وروح الشارع التي كانت سائدة مابين نهاية سنة ١٨٤٧م و مطلع آذار١٨٤٨م سلسلة المؤتمرات والبيانات ،فالأحداث الثورية في بادن والتي بدأت في ٢٧شباط ١٨٤٨م ،أفضت إلى تحديد أربعة مطالب رئيسة تمثلت: بتسليح الشعب وانتخاب ضباط الجيش وحرية غير محدودة للصحافة ،وإنشاء هيئة محلفين وفق النموذج البريطاني وبرلمان ألماني .وتبنت الجمعية التشريعية في مانهايم عاصمة بادن هذه المطالب ،ونجاح الليبراليون في تشكيل حكومة بادن برئاسة فردبش رومر(Friedrich Römer)[٤].وفي الخامس من آذار بمبادرة من رومر وفايتزشتاين(١٧٧٥-١٨٥٥م) المقربين من الراديكاليين ،تم عقد لقاء في هايدلبيرج ضم واحدا وخمسين شخصية جلهم من البرلمانيين الليبراليين في منطقة جنوب ألمانيا:عشرون منهم من بادن على رأسهم هيكر ،والأغلبية الباقية من فورتمبيرج وهس-دارمشتات وما بين واحد إلى اثنين من بافاريا ، ناسو ،فرانكفورت ومن بروسيا الراينينية[٥].

---

(1) Repgen, **Märzbewegung.S**.53.

(2) Repgen, **Märzbewegung**.S.16-17.

(3) Nipperdey, **Deutsche Geschichte**.S.600-602; Langwiesche, **Liberalismus**.S.127.

(٤) سيغمان ،**الثورات الكبرى**،ص٢٥٩-٢٦٠؛ Eyck, **The Frankfurt Parliament**,pp.36-37.

(5) Dahlinger, Charles, **German Revolution of 1849: Being An Account of the final struggle in Baden for the Maintenanc of German First National Representative Government** .G.P. Putnam's, New York & London m1903.pp.7-8.

كان الهدف الأساسي من الاجتماع مناقشة مستقبل ألمانيا ،لم يكن هناك ممثلون في الاجتماع للدول ،ولم يحمل الاجتماع أي صفة شرعية ،وقد غلب على المجتمعين صفة الليبرالية وأنهم يتحلون بالشجاعة والجرأة :هانزيمان من بروسيا الإعلامي والمنظر المشهور فيلكر (Welcker) وفون بفوردتن (Von der Pfordten) من سكسونيا وشتوبه (Stube) هاينريش فون جاجرن وغيرهم من الليبراليين من منطقة جنوب الراين .النمسا لم تمثل إلا من خلال صوت واحد أما الجناح المتشدد فقد مثله هيكر وسترافو من بادن .كلا الجناحين الرئيسين الليبراليين والراديكاليين آمن أن الكونفدرالية التي أوجدها ميترنيخ لا تلبي طموحات الشعب الألماني ، وكلاهما وافق بالإجماع على ضرورة انتخاب برلمان قومي تمثيلي على جناح السرعة ،لذا تم الاتفاق في النهاية على تشكيل لجنة من سبعة أشخاص أهمهم :رومر ، جاجرن فايتزشتاين تعمل على دعوة برلمان تمهيدي يعمل الأخير الإجراءات اللازمة لانتخاب برلمان قومي موحد[١].وهنا لابد من الإشارة إلى أن هيكر وسترافو قد حاولا فرض إرادتهم بالقوة لخلق جمهورية ألمانية لكن محاولتهم باءت بالفشل في بادن والتي وصفها فالنتين أنها:"متداعية اجتماعيا وممزقة سياسيا[٢]".

تأثر النظام الكونفدرالي بأحداث الثورة ،وسعت الدول الأعضاء في الكونفدرالية إلى استباق الأحداث وخاصة أن حوالي (١٢) دولة ألمانية كانت قد تشكلت فيها وزارات ليبرالية في مطلع آذار ،فقد أعلن الرايخستاج في التاسع من آذار١٨٤٨م بأن مراجعة دستور الكونفدرالية الألمانية أصبح ضرورة ملحة ،وأن الشكل الكونفدرالي لم يعد صالحا ،واتخذ قرارا يقضي بأن تكون فرانكفورت هي العاصمة الاتحادية ،وأن يكون العلم ذو الألوان الأسود والأحمر والذهبي علم الفيدرالية ،وأن تقوم الدول الألمانية بإرسال وفود لمناقشة الإصلاح الدستوري ووضع صيغة جديدة للدستور القائم لكي يتماشى مع الإصلاحات المزمع تمثيلها ،وقرر في العاشر من آذار تشكيل لجنة من سبعة عشر عضوا (Siebzehnerausschuss) [٣].

طرحت لجنة السبعة عشر في جلستها قرارا للتصويت على مستقبل الألمان ،ولكن في اللحظة الأخيرة رأوا أنهم ليسوا مخولين لاتخاذ مثل هذه الخطوة ،فقامت بتحويل المسألة إلى البرلمان التمهيدي ،وبالتالي أعفت نفسها من المسؤولية السياسية.وافقت الحكومات الألمانية على أن الشؤون الدبلوماسية والقوة العسكرية والجمركية يجب أن تناط بهيئة تنفيذية ،تعمل على

---

(1) سيغمان،**الثورات الكبرى**،ص٢٦٠.؛Der Antrage Struve: 31 März 1848.in:Huber,**Dokumente,Band.I.S**.332

(٢) فالنتين،**تاريخ الألمان** ،ص٣٠٢؛Der Antrage Struve: 31 März 1848.in:Huber,**Dokumente,Band.I.S**.332

(3) Bundesbeschluß über Wappen und Farben des Deutschen Bundes 9 März 1848;Bundesbeschluß über die Berufung von Männern des allgemeinen Vertrauens 10 März 1848.in:Huber,**Dokumente, Band.I.S**.329-330.

مصلحة الكونفدرالية دون أن يكون لها سلطات تشريعية ،وأن تتشكل هذه الهيئة التنفيذية من الوزراء المسؤولين أمام هيئة تمثيلية أعلى يرأسها إمبراطور ،ولهذا طرح التاج في وقت مبكر من أحداث الثورة على إمبراطور النمسا ،في حين فشل الاقتراح بعرض التاج على ملك بروسيا.أصر الرايخستاج بالاستمرار بهدوء بدفع الجهود نحو وضع دستور جديد لألمانيا. وبنفس الوقت انهمكوا في ما كان يشغلهم في إحياء الإمبراطورية[١].

أمام هذه الازدواجية في ادعاء التمثيل قررت لجنة السبعة (المنبثقة عن لجنة الواحد والخمسين) بقوة غير مسبوقة بأن البرلمان التمهيدي سوف يتألف من نواب سابقين أو حاليين من المجالس التمثيلية ومن أساتذة الجامعات المعروفين ووجهاء الولايات البروسية الشرقية التي بقيت خارج الكونفدرالية الألمانية وليس من الدول الألمانية ،وقرروا عقد البرلمان التمهيدي في فرانكفورت في ٣٠ آذار١٨٤٨م[٢]. تعززت شرعية البرلمان التمهيدي بفعل توسع الثورة وسيطرة الليبراليين على مقاليد السلطة وخاصة بعد الثورة في فينا وبرلين .وفي اليوم المحدد قدمت وفودا من كل أنحاء ألمانيا إلى فرانكفورت مزهوة بنصر الثورة حيث اجتمع في فرانكفورت (٤٧٤) ممثلا لكل ألمانيا اجتمعوا في القاعة التي كان يتوج فيها الأباطرة قديما ،مما أشعرهم بالدور التاريخي الذي كانوا يقومون فيه ؛وكانت المدينة قد لبست أحلى حلالها فالشوارع مزينة وتغص بالجماهير والعلم الألماني الجديد يرفرف في كل مكان والبيوت أخذت كل زينة لها والوفود اصطفت بلباس أنيق والحرس كانوا يلبسون زيهم التقليدي [٣].

---

(1) **Bundesbeschluß über Wappen und Farben des Deutschen Bundes 9 März 1848; Bundesbeschluß über die Berufung von Männern des allgemeinen Vertrauens 10 März 1848**.in:Huber,**Dokumente, Band.I.S.**329-330.

(٢) سيغمان،**الثورات الكبرى**،ص٢٦٠.

(3) **Eine Prozession Abgeordneter des Vorparlaments am 30. März 1848 zur Frankfurter Paulskirche. Bildarchiv Preußischer Kulturbesitz,Berlin;**Eyck, **The Frankfurt Parliament**.pp.37-38; Sheehan, **German History**.p.674.

صورة رقم (١) تمثل دخول أعضاء البرلمان التمهيدي إلى قاعة البرلمان.



كان البرلمان التمهيدي أكبر هيئة غير رسمية ممثلة للشعب في ألمانيا ما بين نهاية آذار إلى نهاية نيسان ١٨٤٨م ،فقد أخذ شرعيته من الثورة واصطفاف الجمهير خلفه وبخاصة في ظل فقدان الكونفدرالية وأجهزتها ثقة الشعب .امتلك البرلمان التمهيدي شعبية كبيرة بالرغم من أنه لم يكن ممثلا للبلاد كلها ،فقد كان للنمسا فقط ممثلان اثنان هما :ادولف فيزنر (Adolph Wiesner) ١٨٠٧–١٨٦٧م و تيتوس ماريسك (Titus Mareck)١٨١٩–١٨٥١م ،إلاّ أنها بالرغم من ذلك كانت تسيطر على ثلث المقاعد إذ كان لها (١٤١) عضو في البرلمان التمهيدي ولكن هؤلاء كانوا من البلاد الألمانية .من جانبا آخر أثرت اجتماعات اللاندتاج البروسي في هذا الوقت في برلين على حضور بروسيا في البرلمان التمهيدي .استمرت أعمال البرلمان خمسة أيام تمت مناقشة العديد من القضايا والإجراءات التحضيرية ،حيث انتخب البروفسور ميترماير فون هايدلبيرج(Mittermaier von Heidellberg) من بادن رئيسا للبرلمان. وقد كانت أولى أعمال البرلمان الاستماع إلى تقرير أعدته لجنة السبعة حول مستقبل ألمانيا والذي تمثل بالسعي إلى

إقامة برلمان قومي والعمل بالتعاون مع الحكومات القائمة نحو إقامة نظام فيدرالي بدلا من النظام الكونفدرالي القائم(١).

وبهذا الصدد رفض البرلمان اقتراح تقدم به ستراڤو بالقيام بأعمال راديكالية وإسقاط الأنظمة القائمة ،وأن تحل محلها دولة جمهورية على غرار الفيدرالية الأمريكية ،كانت خطة هيكر وسترافو الوصول إلى ما يريدون من أفكار سواء كان ذلك بطريق سلمي عن طريق البرلمان التمهيدي أو من خلال العنف ،لكن اقتراحهم فشل .ومن جانب آخر أكد على الاقتراح الذي قدمه جوستاف فون قريفينيوس الديمقراطي الثوري الراديكالي وصف فيه الحالة السياسية الديمقراطية وطالب بتخفيض الأعباء الضريبية وتحقيق الوحدة القومية ،وفصل الدولة بالكامل عن الكنيسة ،وضمان الحريات الليبرالية والنضال من أجل التحرر من سيطرة النبلاء ،ودعم فكرة الدولة الجمهورية(٢).

كان طرح المسألة البولندية على جدول أعمال البرلمان هو في إطار تحديد الهوية القومية ،فقد تعامل البرلمان التمهيدي مع غير الألمان على أساس أنهم ألمان وخاصة فيما يتعلق بمشاركة القوميات التي تتشكل منها الإمبراطورية النمساوية ،هذا ما أثاره العضو النمساوي في البرلمان التمهيدي فايسنر عندما قال :"يجب أن لا ننسى السلاف الذين هم أخواننا وشركائنا... فكلمة كل ألماني(Jeder deutsche) التي وردت في كتاب الدعوة تعني استثناء السلاف وابعاد مجموعات كبيرة داخل الامبراطورية الرومانية المقدسة ،لذا يجب أن تستبدل كلمة كل الماني بكلمة كل مواطن(Jeder Staatsangehörige) ..."(٣) . تمت الموافقة على الاقتراح دون أن يكون هناك داعي للتصويت ،بسبب سيطرة الفكرة الليبرالية الإنسانية القائمة على المساواة الكاملة بين الشعوب على أغلب المجتمعين ،ولم يظهر أي اعتراض على الحقوق الثقافية واللغوية ،التي كانت امتداد لطبيعة الحركة الإنسانية والتي أكدت فكرة المواطنة بغض النظر عن القومية(٤).

وافق البرلمان التمهيدي بالأغلبية على طلب بروسيا ضم المناطق التي كانت خارج الكونفدرالية الألمانية شرق وغرب بروسيا لتكون ممثلة في البرلمان التمهيدي والتي من ضمنها أراضي بولندية ،حيث أكد البرلمان فيما يتعلق بالمسألة البولندية :"يعلن الاتحاد الألماني أن

---

(1) **Die Beschlüsse des Vorparlaments 30 März und 1-4 Augest 1848**.in:Huber, **Dokumente, Band.I.** S.332-34.

(2) **Der Antrage Struve: 31 März 1848**.in:Huber,**Dokumente,Band.I.S.**332;Eyck, **The Frankfurt Parliament.p**p.37-38; Sheehan, **German History.p.**674.

(3) **Offizieller Bericht über die Verhandlung zur Gründung eines den deutschen Parlaments**. Frankfurt am Main, 1848(OBVGP).S.14-15.

(4)(OBVGP).S.14-15.

تقسيم بولندا أمر مشين وغير عادل ،وأن من واجب الأمة الألمانية أن تعمل على توحيدها"،وفي هذا ناقض البرلمان نفسه فهو اعترف بعدالة المطالب البولندية ،ومن جانب آخر وافق على الضم البروسي لأراضي بولندية .وطرحت قضية هولشتاين–وشيلسفيق على البرلمان التمهيدي– سوف نأتي على ذكرها بالتفصيل في الفصل الرابع– .وفيما يتعلق بمسألة إقامة برلمان قومي منتخب شكل البرلمان لجنة من خمسين عضوا تكون وظيفتها الإعداد وتنظيم الانتخابات لبرلمان ألماني يعقد في فرانكفورت في أيار[١].

وبهذا الصدد لابد من الإشارة إلى أن بعض الدعوات التي وجهت إلى أشخاص لحضور البرلمان التمهيدي ،كانت تشير إلى ضبابية الفكرة القومية الألمانية ،والتي استندت بدرجة كبيرة على دعوة من كان عضوا في الكونفدرالية الألمانية والتي تضم دولا بالكامل ليست ألمانية ،ويعد رد المؤرخ التشكي بلاسكي(F. Palacky) أوضح دليل على ذلك .ففي رسالة منه إلى البرلمان التمهيدي في ١١ نيسان ١٨٤٨م قال:"...بدعوتي للحضور بصفتي صديقا للوطن الألماني أزحتم تهمة طالما ترددت بالعداء للشعب الألماني ،مع عرفاني لهذا التجمع المتسم بالمحبة والروح الإنسانية والعدالة ،لذ أجد نفسي مجبرا بالرد عليكم بحرية وثقة ودون تحفظ...أيها السادة لا استطيع الاستجابة لدعوتكم بالحضور شخصيا أو إرسال من ينوب عني ،اسمحوا لي أن أقدم الأسباب لهذا باختصار قدر المستطاع :الهدف الأساسي من اجتماعكم هو إقامة رابطة للشعب الألماني (Volksbund) بديلا لفيدرالية الأمراء الموجودة ،لتحقيق الوحدة الحقيقية للشعب الألماني ،ولتقوية المشاعر القومية الألمانية ،ومن ثم الصعود بالقوة الألمانية لتكون قوة على الصعيد الداخلي والخارجي .أنا أحترم هذه التطلعات...ولأنني أحترمها فلا استطيع المشاركة فيها ،فأنا لست ألمانيا –على أي حال أنا لا أعتبر نفسي على هذا النحو– وأنا متأكد أنكم لن ترغبوا بدعوة رجل ليس لديه رأي أو إرادة..."[٢].

ومن ناحية أخرى فإن الصراع مع القوميين التشيك حول بوهيميا[٣] لم يكن متوقعا فلجنة السبعة عندما دعت بلاسكي إلى البرلمان التمهيدي لم يكن في حساباتها مثل هذا الرد الذي صدم الليبراليين الألمان فكان على البرلمان التمهيدي التعامل مع المسألة القومية وخاصة في

---

[1] Die Beschlüsse des Vorparlaments 30 März und 1-4 Augest 1848.in: Huber, **Dokumente,Band.I**.S.332-34.

[2] Palacky, F., **Gedenkblatter**.Prague, 1874.S. 149 ff.

[٣] تبلغ مساحة بوهيميا ٢٥,٠٦٠كم٢،يحدها من الشمال بولندا ومن الشرق مورافيا (Moravia) ومن الشمال النمسا ومن الجنوب الغربي والغرب بافاريا ومن الشمال الغربي سكسونيا ،وتتألف من قوميتين رئيسيتين هما التشكية بأصولها السلافية والألمان بأصولهم الجرمانية .لمزيد من المعلومات انظر:

Prinz, Friedrich, **Geschichte Böhmens** 1848-1948. Langen Müller,München, 1988.S. 44 ff.

بوهيميا ؛ ففي المناقشات التي جرت حول الهوية القومية في برلمان فرانكفورت كان الخلاف يعود جذوره إلى تصاعد الحركة القومية التشكية فيما بعد الثورة الفرنسية وحتى ثورة ١٨٤٨م ،والتي اصطدمت مع التطلعات الألمانية في برلمان فرانكفورت ،فقد اعتبر التشيك والسلاف في بوهيميا أن لهم حقوق قومية بعيدة كل البعد عن الهوية الألمانية ،فتبعية العرش البوهيمي إلى الإمبراطورية الرومانية المقدسة لا يعطي الألمان أي حقوق في بوهيميا[١] .

ذهب البرلمان التمهيدي بعيدا ففرصة التغيير دون الثورة لا جذور شرعية لها ،وإمكانية المضي قدما في التحضير للبرلمان القومي وبالتالي توحيد ألمانيا كان لابد له من قوة قادرة على إجبار السلطات القائمة بقبول ما سيصدر عنه من قرارات ،ومعالجة قضايا غاية في الخطورة: الدستور ،الحكومة ،شكل الدولة وحدودها ؛كان اقتراح هيكر وسترافو مع آخرين في البرلمان التمهيدي في محله في أن يبقى البرلمان في حالة انعقاد ويحل محل سلطة الرايخستاج ويعمل على تشكيل حكومة قومية مؤقتة حتى قيام حكومة تمثيلية ،وإخضاع السلطات في كافة الدول الألمانية لسلطة مركزية .كان هذا الطرح من الممكن أن يؤدي إلى حل جذري وخاصة أن الرايخستاج خلال آذار أصبح ممثلا للحكومات الليبرالية التي تشكلت خلال الثورة فالبعض منهم كانوا أعضاء في الوفود التي اجتمعت في فرانكفورت ،إلاّ أن السلطة الفعلية بقيت بيد الأمراء والملوك والذين كانوا معنيين بتنفيذ القرارات الصادرة عن البرلمان التمهيدي[٢].

قرر البرلمان التمهيدي إجراء الانتخابات الألمانية محددا للجنة الخمسين التي تم اختيارها الأسس العامة في الإعداد وتنظيم الانتخابات لبرلمان ألماني يعقد في فرانكفورت في أيار ،ولعل أبرزها أن التمثيل يكون على أساس أن لكل(٧٠)ألف مواطن نائبا واحدا فقط ويحق فقط للمواطنين البالغين المستقلين التصويت أو الترشيح ،دون أن تحدد هذه اللوائح آلية إجراء الانتخابات: فهل التصويت مباشرا أو غير مباشر ،علني أو سري ،فقد تركت كل هذه المواضيع لتقدير الحكومات الألمانية [٣]. وافق الرايخستاج في الجلسة الأولى يوم ٣٠ آذار على مبدأ إقامة الانتخابات لبرلمان قومي على أساس تعداد سكان عام ١٨١٦م ،والذي لم يأخذ بعين الاعتبار التغيّرات السكانية التي طرأت على ألمانيا ،فالزيادة السكانية وصلت في بعض المناطق إلى أكثر من (٥٠%) ،وبعض الدول الألمانية كانت قد دمجت مناطق جديدة ،أو أن بعضها لم يكن لديه الرغبة بالمشاركة تحت غطاء تلك الدولة كما في حالة اولدينبيرج ،فقد رفضت مقاطعة كينوفسن

---

[1] Prinz, **Geschichte Böhmens**.S. 44 ff.

[2] Valentien ,Veit,**Geshichte der deutschen Revolution von 1848-1849**,2 Bände.Ullstien ,Berlin,1930-1931. Band.I.S.339-340; Sheehan,**German History**,p.675.

[3] **OBVGP**.S. 15 ; Huber, **Deutsche Verfassungsgeschichte seit 1789**, Band. 2, 584ff.

(Kniohawsen) ان تمثلها اولدينبيرج .كما تقرر تأجيل القرارات الهامة إلى حين انعقاد البرلمان القومي في فرانكفورت[١].

كانت النقاشات في البرلمان التمهيدي حادة حول مبدأ سيادة الشعب ،فقد طرح الراديكاليون استمرارية انعقاد البرلمان التمهيدي لحين اجتماع البرلمان المنتخب على أساس عدم الثقة بالأنظمة السياسية الألمانية ،وفي جلسة التصويت حول استمرارية انعقاد البرلمان فشل الطرح المقدم ،وكان واضحا إمكانية إقصاء الاتجاه الراديكالي نهائيا من أي لجنة بحكم سيطرة الأغلبية الليبرالية المعتدلة على البرلمان التمهيدي ،إلاّ أنه لم يكن هناك إمكانية لاستثناء فئة لها تأثيرها القوي على الشارع من جانب ومخالفة ذلك للأعراف الديمقراطية ،لذا كان لا بد من إبقاء بعض رموز هذا الاتجاه في لجنة الخمسين مثل: دالمان وقريفنيوس وهيكر[٢].

---

[1] **OBVGP**.S.15-16 ; Erste Bundesbeschluß über die Wahl der deutschen Nationalversammlungs 30 März 1848. in: Huber, **Dokumente, Band.I.S**.337;Valentien ,**Geshichte der deutschen Revolution von 1848-1849**. Band.I.S.339-340; Sheehan , **German History,**pp.675-576; Eyck, **The Frankfurt Parliament.p**p.43-44.

[2] Die Beschlüsse des Vorparlaments ,1-4 Augest 1848.in: Huber, **Dokumente, Band.I**.S.334-337; **OBVGP**.S.16-17; Eyck, **The Frankfurt Parliament.p**.44.

الفصل الرابع:

برلمان فرانكفورت (Frankfurt Nationalversammlung) والاتحاد الألماني.

الفصل الرابع: برلمان فرانكفورت (Frankfurt Nationalversammlung) والاتحاد الألماني.

٤-١-١.الانتخابات الألمانية العامة وتشكيل البرلمان :

أدى غموض البرلمان التمهيدي في تحديد طبيعة الانتخابات وآلية تنفيذها في تدخل الدول الألمانية ،وتعدد تفسيراتها لمفاهيم الاستقلالية والسن القانونية للانتخاب ؛فدول مثل: فورتمبرق،هيسن-كسل،شيلسفيق-هولشتاين،فرانكفورت وبريمن قامت باستخدام الطريقة السرية والمباشرة في الانتخاب عن طريق تصميم ورقة يقوم الناخب باختيار المرشح الذي يريده عليها في حين أن دولا أخرى كان التصويت فيها علنيا وغير مباشر ،حيث يختار المواطنون منتخبين يقومون بالتصويت نيابة عنهم كما جرى في بروسيا وسكسونيا ،واتبعت دول أخرى مبدأ التصويت غير المباشر مستغلة كلمة (مستقل) ومحددة لمفهوم الاستقلال بالاستقلال المالي ؛أيّ أن من يحق له التصويت فقط أولئك الذين لديهم القدرة على دفع الضريبة ،ففي معظم الدول الألمانية تم استثناء الفقراء من التصويت والترشيح ،وفي بعض الدول مثل بافاريا تمّ حرمان كل من لا يملك بيتا من حق التصويت مثل الخدم وعمال المياومة والبرولتاريا .أما مسألة السن القانونية للانتخاب فقد كانت متفاوتة ما بين دولة وأخرى ففي بعض الدول مثل بروسيا تم تحديد السن بـ٢٤سنة ،وفي دول أخرى تراوح ما بين ٢١-٢٤سنة ،وبالضرورة تم استثناء النساء من عملية التصويت [١].

سعى الليبراليون وخاصة في منطقة الراين ذات التقاليد البرلمانية المتأثرة بشكل كبير بالتقاليد الفرنسية ،إلى توسيع دائرة المشاركة الشعبية في الانتخابات ،وأولت الصحف اهتماما كبيرا في الانتخابات ،وسعى السياسيون لإستخدام هذه الصحف في نشر دعايتهم الانتخابية ،ففي تعليق لصحيفة (Allgemeine Zeitung) حول الانتخابات في كولونيا قالت:"ما زالت تتوالى الرسوم والإعلانات...والمحال التجارية محتفلة بهذه المناسبة والشعارات السياسية مرفوعة جنبا إلى جنب مع الأعلام الألمانية...هناك الآلاف من العمال والفقراء ليس لهم الحق في المشاركة السياسية...وشنت الأحزاب التي كانت في مرحلة التشكل حملات عنيفة تجاه تغيير الأوضاع

---

[1] Huber, **Deutsche Verfassungsgeschichte seit 1789**, Band. 2, S. 584ff; Repgen, **Märzbewegung und Maiwahlen**, S. 148, 226; Obermann, **Die Wahlen zur Frankfurter Nationalversammlung** .S. 108–120.

مما أدى إلى الاصطدام مع الجيش ...الأسلوب الفرنسي في المقاومة كان حاضرا في المواجهات وفي طريقة التنظيم وإقامة المتاريس ..."[١].

كانت الإشكالية الأساسية في الانتخابات في دول تعمل دون دساتير وبخاصة النمسا وبروسيا ،وأنها كانت انتخابات محدودة ومحصورة في أولئك الأغنياء والوجهاء المعروفين من قبل العامة دون أن يكون للتوجهات السياسية أي دور في تحديد النواب المقبلين ، فقد غابت أي إمكانية لوجود مرشحين لديهم برامج سياسية واضحة المعالم أو أي تجمع سياسي يمكن أن يقود الناخبين ،فقد كان المحدد الأساس للنجاح هو الشهرة والظهور في واجهة الأحداث سواء أكان خلال مرحلة الثورة أو ما قبل الثورة ،فمعظم أسماء الليبراليين لمرحلة ما قبل آذار وخاصة أولئك الذين شاركوا في الاجتماعات العامة من المعتدلين أواليساريين قد فازوا في الانتخابات[٢].

كان الإقبال على الانتخابات كبيرا ونسبة المقترعين المسجلين عالية حيث تراوحت ما بين (٦٠-٨٠%) في معظم الدول الألمانية ،وتوجهت الجماهير بكل فئاتها مدفوعة بنشوة النصر والتجربة الجديدة نحو المشاركة في الانتخابات ،فحاجز الخوف من السلطات البوليسية أزالته تجربة آذار ،والشعور بالوحدة كان عظيما .كانت العملية الانتخابية مرهقة وبدائية واحتاجت في كثير من الأحيان إلى التمديد ،فالناخب كان عليه أن يراجع اسمه في دائرة المحكمة:الاسم والكنية والسن والعنوان السكني ،و في كثير من الحالات لم يكن الناخب يجد له اسما في دائرة المحكمة التي لديها سجلات قديمة لتعداد الأنفس ،والتي لم تكن مجهزة لعملية الانتخاب ولعل هذا هو السبب الأساس في تأجيل موعد إجراء الانتخابات إلى بداية أيار بدلا من الأول من نيسان ولإعطاء الناخبين والمرشحين الفرصة الكافية في الاستعداد .وخير مثال على هذه الإرباكات ما حدث في بروسيا والتي شهدت أقل نسبة إقبال على الانتخابات في الدول الألمانية.

---

[1] **Stenographischer Bericht über die Verhandlungen der deutschen Konstituiernden Nationallversammlung zu Frankfurt am Main.Herausgegeben auf Beschluß der Nationallversammlung durch die Redactions Kom- ission und deren Auftrag:Franz Wigard(SBVDKN)** 7 Bände ;**Allgemeine Zeitung, Augsburg, 127, 6. 5.1848.**

[2] Huber, **Deutsche Verfassungsgeschichte seit 1789**, Band. 2, S. 584ff; Repgen, **Märzbewegung und Maiwahlen**, S. 148, 226; Obermann, **Die Wahlen zur Frankfurter Nationalversammlung** .S.108-120 ; Taylor,**German History**,p.74.

جدول رقم(١٤) سن الناخبين المؤهلين لبرلمان فرانكفورت في آخن – بروسيا.

الفئة العمرية	٢١-٢٣	٢٤-٣٠	٣١-٤٠	٤١-٥٠	٥١-٦٠	٦١-٦٥	٦٦ فأكثر
العدد الإجمالي	٧٤٤	٢٥٨٥	٢٩٨٠	١٩٣٤	١١٢٧	٥٨٧	٢٣٤
نسبة عدد الناخبين من الفئة العمرية٪	٤٢.٥	٥٤.٤	٥٩.١	٦٣.١	٦٢.٦	٥٦.٠	٤٤.٠

Tabellen und Amtliche Nachrichten über den Preußischen Staat für das Jahr 1849, Band.IV,Die Resultate der Verwaltungenthaltend, Berlin 1853**(TANPS–IV)**. Nr.4–3, I;Conrad Christoph, **Die Entstehung des modernen Ruhestandes**, in: Geschichte und Gesellschaft 14, 1988, S. 417–447, S. 421–423; Repgen, **Märzbewegung und Maiwahlen** S. 137ff.

من خلال الجدول السابق يتضح أن الفئة العمرية الأولى هي أقل نسبة من بين الفئات العمرية الأخرى ،ويعود السبب إلى أن معظم أبناء هذه الفئة كانوا غير مسجلين في القوائم الانتخابية ،فالنسبة الأعلى في آخن اعتمدت على الفئات العمرية ما بين ٣١-٦٥ سنة ،والتي ضمت حرفيين وصناعيين من مختلف الطوائف الحرفية ،وخاصة أن آخن كانت مدينة صناعية متقدمة على المستوى الألماني ،والتعداد السكاني الأخير فيها يعود لعام ١٨٤١م ،ويوضح الجدول التالي نسبة الإقبال من الفئات العاملة في آخن على الانتخابات ،والذي يتطابق بدرجة ما مع التوجهات العامة لاستبعاد الفئات الفقيرة ،إذ اعتمدت أسس المشاركة في الانتخابات وبدرجة كبيرة على القدرة المالية.

كانت الفئات المتعلمة هي النسبة الأعلى في الإقبال على الانتخابات وهذا ما يوضحه الجدول رقم(١٥)،مما يعطي مؤشرا على تبلور الفكر السياسي لدى هذه الفئات والتي كانت قبل آذار معزولة عن الحركة الجماهيرية العامة ،ويوضح اهتماما خاصا من هذه الفئة بمثل هذه التوجهات ؛حيث أخذت تنشط الأحزاب السياسية بشكل علني وخاصة فيما بعد ثورة آذار .فقد عكست عمليات الفرز النهائية لنواب برلمان فرانكفورت سيطرة الفئة المتعلمة على المقاعد النيابية والمشاركة الكبيرة لهؤلاء في التوجهات العامة لليبرالية الألمانية فيما بعد آذار .

جدول رقم (١٥):الإقبال من أعضاء المهن والمهن الحرفية على الانتخابات في آخن.

المهنة	عدد أصحاب المهن	نسبة المقبلين على الانتخابات ٪
أعضاء مجلس الأمناء والسكرتارية والكتبة والمساعدين في المجالس القضائية	٢٠٠	٦٧.٠
الأطباء	٤٢١	٨٣.٣
المحامون والموثقون العموميون	٤٣	٧٩.١
المدرسون	٩٢	٧٣.٩
الرهبان	٨٦	٦٤.٠
البائعون	٣٥٨	٦٦.٢
الموظفون في المحلات	٢٤٢	٦١.٢
البستاني"،"المستأجر" و "المزارع الأجير"	٣٨٩	٥٥.٥
عمال البناء	٢٧٦	٥٢.٥
عمال الصناعات المعدنية	٦٧٢	٥٦.٧
خباز وجزار	٣٠٤	٥٦.٩
صناع الأحذية	٥٠٥	٦٥.٠
عمال الخياطة	٣٣٠	٦٤.٥
نجار	٤٩٥	٥٩.٤
النساجون واللفافون	٨٧٠	٧٠.٠
غسالون وكواؤون	٢٧٩	٧١.٠
عمال مصانع الغزل	١٦٢	٧٢.٢
معلم في مصنع أو ملاحظ	٥٨	٦٣.٨
عمال مصنع	١٢٥	٥٧.٦
معلمي الخياطة	٢٢٤	٦٤.٧
العمال الحمالون	٢٢٣	٤١.٣
عمال المياومة	٤٠٥	٣٦.٠

(TANPS–IV).Nr.4–3,I;Conrad Christoph,Die Entstehung des modernen Ruhestandes, in:Geschichte und Gesellschaft 14, 1988, S. 417–447, S. 421–423; Repgen,Märzbewegung und Maiwahlen, S. 137ff.

الانتخابات الألمانية كانت مختلفة ما بين دولة وأخرى وعكست في عملية إجرائها والمناطق التي ضمتها ضبابية الفكرة القومية ،فلم تتبلور بعد فكرة ألمانيا الكبرى (Großdeutschland) أو ألمانيا الصغرى(Kleindeutschland) فقد ضمت المناطق الانتخابية

بالإضافة إلى دول الكونفدرالية المناطق التابعة للنمسا [١]،وبينت الانتخابات وبعد الفرز النهائي لها سيطرة فئة المتعلمين وخاصة أساتذة الجامعات ومعلمي المدارس الثانوية والقانونيين الذين يحملون شهادة جامعية في القانون بما فيهم المحامون والقضاة وكبار الموظفين وغيرهم .فقد كان (٩٥%) من النواب يحملون الشهادة الثانوية (Gymnasium) و(٨١%) كانوا يحملون الشهادة الجامعية .حتى أنه أطلق على برلمان فرانكفورت اسم برلمان الأساتذة والمحامين . والعدد الذي كان من المفروض أن يجتمع لأول مرة لبرلمان فرانكفورت (٥٨٥) نائبا (على أساس التناسب ما بين عدد السكان وعدد النواب لكل ٧٥ ألف نسمة نائب ،وبعض المناطق لكل ٢٥ الف نسمة نائب واحد)إلاّ أن هذا العدد كان متفاوتا خلال الفترة ما بين أيار ١٨٤٨- وتموز ١٨٤٩م، نتيجة الاستقالات والوفاة وتطورات الأحداث ؛لذا نجد تباينا كبيرا ما بين المراجع فيما يتعلق بالعدد الإجمالي والعدد المفترض والذي أفرزته الانتخابات ،فتايلور(Taylor) يظهر أنهم كانوا (٨٢٤) بينما يقول فرانك ايكي أنهم (٧٩٩) ويبين هاينرش بيست (Heinrich Best) أن العدد كان (٨١٣) ويذكرهم جميعا مع تفصيلات عنهم بالفترة التي قضوها نوابا في البرلمان حيث يظهر أن بعضهم كانت فترته لا تتجاوز أياما وهو ما يتوافق تقريبا مع ما ذكره رايبقه (Ribhegge) [٢].وهذا ما يوضحه الجدول التالي .

---

[1] Eyck, **The Frankfurt Parliament**,pp.57-96. يقدم تفصيلا كاملا لهذه الانتخابات

[2]Taylor,**German History**,p.74; Eyck,**The Frankfurt Parliament**,pp.94-96; Best, Heinrich und Wilhelm Weege (Hrsg.),**Biographisches Handbuch der Abgeordneten der Frankfurter National-versammlung 1848/49**, Droste, Düsseldorf, 1996, S.40ff;Ribhegge,Wilhelm.,**Das Parliament als Nation die Frankfurter Nationalversammlung 1848/49**, Droste, Düsseldorf,1998.S.35-37; Hoede, Roland,**Die Paulskirche als Symbol. Freimaurer in ihrem Wirken um Einheit und Freiheit.** Bayreuth/Frankfurt, 1999, S. 55-65;Rönnpag, Otto ,**Ein Eutiner in der Paulskirchenversammlung 1848 – Maximilian Heinrich Rüder**. Jahrbuch für Heimatkunde – Eutin Heimatverband ,Eutin,1978. S. 40-45; Obermann, **Die Wahlen zur Frankfurter Nationalversammlung** .S. 108ff.

جدول رقم(١٦):يبين توزيع أعضاء البرلمان على الفئات الاجتماعية.

الرقم	الفئة الاجتماعية أو الحرفة	العدد
١.	موظفون من الفئة العليا	١١٤
٢.	موظفون من الفئة الوسطى	٣٧
٣.	رئيس بلدية	٢١
٤.	قاض ومدع عام	١١٠
٥.	محام	١٠٦
٦.	أستاذ جامعة	٩٤
٧.	معلم مدرسة ثانوي	٣٠
٨.	رجال دين(بروتستانت وكاثوليك)	٣٩
٩.	ناشرون وموظفين في المكتبات	١٠
١٠.	ملاك أراض بما فيهم فلاح واحد	٤٦
١١.	تجار	٣٥
١٢.	صاحب مصنع	١٤
١٣.	معلمون حرفيون	٤
١٤.	نبلاء	١٥٣
-	المجموع	٨١٣

Best, Handbuch der Abgeordneten. S. 40ff;Ribhegge,Das Parliament als Nation die Frankfurter Nationalversammlung .S.35-37.

٤-١-٢.اختيار فرانكفورت مقرا للبرلمان والجلسات الأولى:

ينسب برلمان فرانكفورت إلى المدينة الألمانية العريقة الواقعة على نهر الماين والتي ترتبط بالذاكرة الوطنية الألمانية كونها مقرا للكونفدرالية الألمانية التي نشأت في أعقاب مؤتمر فينا سنة ١٨١٥م،وتم اختيارها مقرا للبرلمان التحضيري بعد ثورة آذارالذي اجتمع في كنيسة القديس بولس[1](Die Paulskirche) التي أصبحت بعد ثورة آذار حاضرة للتقاليد الديمقراطية والليبرالية ؛ففيها تم إقرار أول دستور ألماني ولائحة الحقوق الأساسية١٨٤٩م[1].

---

[1] يعود تاريخ نشأة الكنيسة إلى سنة ١٧٨٩م على يد المهندس المعماري يوهان كريستن هيس (JohannFriedrich Christian Hess) والتي بنيت على أساس العمارة الكلاسيكية الرومانية بالحجر الأحمر،وفي سنة ١٨٥٢م عادت لدورها التقليدي الديني .وفي سنة ١٩٤٤م (الحرب العالمية الثانية) ضربت بالقنابل وتم تدميرها،وأعيد ترميمها بمناسبة مرور ١٠٠سنة على برلمان فرانكفورت،حيث تم افتتاحها من جديد في بداية سنة ١٩٤٨م،ومن خلال مشاهدتي أن الكنيسة لم ترمم على أساس إعادتها كما كانت عليه قبل التدمير ،وهي الآن متحف لبرلمان فرانكفورت.لمزيد من المعلومات انظر:

=

لم يحمل اختيار كنيسة بولس مقرا للبرلمان أي صفة دينية ؛فعندما قررت لجنة الخمسين التي اجتمعت في هايبنهايم دعوة برلمان تحضيري ، لم تتوقع أن يكون العدد كبيرا لدرجة أن القاعة الرومانية القديمة(des Römers Kaisersaal) –المكان الذي كان مقررا الاجتماع فيه في فرانكفورت– لا تتسع لهم ،لذا وبشكل عاجل تقرر عقد البرلمان في كنيسة بولس لأنها المكان الوحيد والمناسب الذي يمكن أن يتسع للممثلين عن الدول الألمانية ويتسع أيضا للحضور المتابعين في القاعات العلوية [٢].

افتتحت الجلسة الأولى للبرلمان الألماني الأول تحت اسم جمعية الرايخ الألماني (Reichsversammlung) يوم ١٨ أيار ١٨٤٨م في الساعة العاشرة صباحا ؛حيث جرت مراسيم الافتتاح باحتفالات صاخبة ،الأعلام الألمانية الجديدة مرفوعة في كل مكان والجماهير المحتشدة تشعر بعظمة الانتصار تملؤها الروح القومية والشعور بالاعتزاز والافتخار بهذا الانجاز الذي تحقق بإرادة الشعب والثورة ،وتم إلقاء الخطب الحماسية التي عبرت عن مثل تلك المشاعر ،وطرحت كل القضايا التي ناضل الشعب من أجل تحقيقها ،وبدا أن البرلمان في طريقه نحو تحقيق الوحدة الألمانية التي أضحت في ظل برلمان فرانكفورت قاب قوسين أو أدنى وبنفس الحماس وفي الجلسة الثانية قدّم النائب هامر (F.A.Hammer) اقتراحا بتغيير اسم البرلمان من برلمان الرايخ إلى الجمعية الوطنية الألمانية (Deutsche Nationalversammlung) حيث حظي الاقتراح بإجماع النواب[٣].

كما تم في الجلسة الثانية للبرلمان انتخاب هاينريش فون جاجرن رئيسا (Präsident) للبرلمان ،وانتخب الكسندرسويرون[٤](Alexander von Soiron) نائبا للرئيس (Vizepräsidenten)

=

Hock ,Sabine und Evelyn Hils-Brockhoff, **Die Paulskirche :Symbol demokratischer Freiheit und nationaler Einheit.** Eine Veröffentlichung des Instituts für Stadtgeschichte und der Frankfurter Sparkasse, Institut für Stadtgeschichte Frankfurt am Main und bei den Künstlern und deren Rechtsnachfolgern,1998.

(1)Hock, **Die Paulskirche :Symbol demokratischer Freiheit und nationaler Einheit**,S.3-4.

(2) Ibid,S.29.

(3) **Stenographischer Bericht über die Verhandlungen der deutschen Konstituierndn Nationallver- sammlung zu Frankfurt am Main.Herausgegeben auf Beschluß der Nationallversam- mlung durch die Redationskomission und deren Auftrag von Prof. Franz Wigard(SBVDKN)** 7 Bände .Band.I ,Nr: 1-33 . S.1-782.Frankfurt am Main.Gedrückt bei Johann David Sauerländer,1848.S.1-2.

(٤) هو يوهان جورج الكسندر فرايهير من سويرون(Johann Georg Alexander Freiherr von Soiron) ولد في منهايم في بادن ١٨٠٦–١٨٥٥م،حيث درس في هايدلبيرج وفي سنة ١٨٤٦ كان عضوا في برلمان بادن ،وفي

=

في ١٩ أيار ١٨٤٩وجرى أيضا إقرار التعليمات العامة لعقد الجلسات بحيث تكون هناك جلسة صباحية في الساعة التاسعة صباحا وحتى الواحدة ظهرا، وتعقد جلسات مسائية بعد استراحة الغداء ومن الساعة الثالثة وحتى الخامسة ، وحددت أيام عمل البرلمان على مدار الأسبوع من الاثنين وحتى الجمعة وتقررت عطلة البرلمان يومي السبت والأحد ،كما تحددت آلية اتخاذ القرارات حسب التقاليد البرلمانية بأغلبية النصف زائد واحد ،وقد جمعت أعمال البرلمان في (٧) آلاف صفحة في تسعة مجلدات خلال فترة انعقاد البرلمان اشتملت على النقاشات والأعمال التي قام بها البرلمان بما فيها أعمال اللجان الفرعية التابعة له[١].في الجلسة الافتتاحية يوم ١٨ أيار١٨٤٨م،تم اختيار أكبر الأعضاء سنا لإدارة الجلسة وفي الجلسة الثانية تم انتخاب جاجرن رئيسا البرلمان. والجدول يوضح أسماء الرؤساء الذين تعاقبوا على رئاسة البرلمان:

=

سنة ١٨٤٧م كان أحد رموز اجتماع هايبنهايم وعضوا في البرلمان التحضيري ورئيسا للجنة الخمسين التي حضّرت لانتخابات نيسان ١٨٤٨م،و انتخب عضوا في برلمان فرانكفورت.وكان محسوبا على الليبراليين الدستوريين.لمزيد من المعلومات:

Wippermann, Karl,**Soiron Alexander.v.** In: **Allgemeine Deutsche Biographie(BAD)**,56 Bände. Band.34. Duncker & Humblot, Leipzig1881- 1911.S.556ff.

[1] **(SBVDKN)** .7 Bände.

جدول رقم (١٧):رؤساء برلمان فرانكفورت ١٨أيار١٨٤٨- ١٨تموز ١٨٤٩م.

الاسم	حياته	فترة الرئاسة	الاتجاه السياسي
فريدرش لانج Friedrich Lang	١٧٧٨-١٨٥٩م	١٨أيار-١٩ أيار ١٨٤٨	لانديسبيرج
هاينرش فون جاجرن Heinrich von Gagern	١٧٩٩-١٨٨٠م	١٩أيار-١٦كانون ١٨٤٨م	الكازينو
ادورد سيمسون Eduard von Simson	١٨١٠-١٨٩٩م	١٨كانون ثاني١٨٤٨م - ١١ أيار ١٨٤٩م	الكازينو
ثيودور ريه Theodor Reh	١٨٠١-١٨٦٨م	١٢أيار-١٨أيار ١٨٤٩م	تنقل بين فورتمبورج هوف - فيستن هال- نورمبيرج هوف
فريدرش فيلهلم لوفا. F.W. Loewe	١٨١٤-١٨٨٦م	٦تموز-١٨تموز ١٨٤٩م	دويتشر هوف- نورنبيرج

G, Kaufmann. Heinrich von Gagern. in: (ADB). Band 49. S. 654–676. Frank, Möller, Heinrich von Gagern. Charisma und Charakter, in: Ders (Hg.): Charismatische Führer der deutschen Nation. München, 2004, S. 43-62. Petersdorff ,Herman von, Eduard von Simson. in: (ADB). Band 54. 1908, S. 348–364. Ruppel, Hans, Georg und Birgit Groß, Hessische Abgeordnete 1820-1930. Darmstadt, 1980,S. 214-215; Mann, Bernhard, Cornelia Rauh ,Martin Doerry und Thomas Kühne, Biographisches Handbuch für das Preußische Abgeordnetenhaus,1867–1918. Droste, Düsseldorf, 1988. S. 251.

وكان شعار الجلسة الافتتاحية صورة رمزية كبيرة تمثل ألمانيا(Gemania) رسمها الفنان باول فايت (Paul Veit)،وهي صورة امرأة تحمل سيفا بيد والعلم الألماني الجديد باليد الأخرى وهي تقف والشمس تشرق من ورائها ،وعلى رأسها تاج من ورق البلوط ،وبجانبها حذاء فيه أغلال قد خلعته كناية عن تخلصها من النظام القديم.



المصدر:.Gemania in: Best, **Handbuch der Abgeordneten**.S.28

٤-٢.الاتجاهات السياسية في برلمان فرانكفورت:

ظهرت ملامح التوجهات السياسية داخل البرلمان منذ الشهرين الأولين **(**أيار وحزيران**)** من انعقاده ،بتشكل جماعات سياسية من ذوي التوجهات السياسية الواحدة ،أسسها مجموعة من البرلمانين الذين كانوا يجتمعون في أماكن متعددة خارج البرلمان لتنسيق مواقفهم داخل البرلمان ،وعرفت هذه الجماعات بالمكان الذي كانت تجتمع فيه نتيجة غياب الأحزاب السياسية المنظمة لتبدأ مرحلة التنظيمات السياسية على خلفية هذه المجموعات،وهو الأمر الذي أكدته وأبرزته ثورة آذار بالتمييز الواضح ما بين الليبراليين الديمقراطيين والليبراليين اليساريين والدستوريين والمحافظين بدرجة كبيرة [١].

---

[1] **Demokratische Hauptstadt vom 24.06.1848; in: Angermünder Anzeiger** , Frankfurt am Main 1848. (DHAA) Nr. 29, 15.07.S. 228;**Findbücher und Inventare Des Brandenburgischen Landes-hauptarchivs**; Band. 5, Frankfurt am Main 1998, S. 177,und S. 200.

وصف النائب روبرت فون مول(Robert von Mohl) ١٧٩٩-١٨٧٥م من بروسيا في مذكراته عملية تشكيل تلك المجموعات:"لقد كان لدينا مجموعات رئيسة تشكلت في أعقاب وضع السياسات الرئيسة ،فعلى سبيل المثال في موضوع النمسا وانتخاب الإمبراطور،فقد ظهر الانقسام بشكل كبير بين هذه الاتجاهات... والتي قامت في كثير من الأحيان ليس على مواقف سياسية و لكن على العلاقات الشخصية ،وأثناء عمليات التصويت التي كانت تتم بشكل مستقل وآني..."[١]. وقد كتب النائب بيدرمان(Karl Biedermann) في مذكراته حول نفس الموضوع: "تأثرت عملية تشكل الاتجاهات والأندية السياسية بفعل تطور الأحداث ،كانت الأحزاب تناقش المسائل قبل طرحها للنقاش العلني للوصول إلى نقاط مشتركة بشكل غير رسمي وكانت الأجواء صاخبة وحماسية وتشبه أجواء الأندية..." [٢].ويمكن تصنيف المجموعات السياسية في برلمان فرانكفورت على النحو التالي :

٤-٢-١.ليبراليي الوسط:وهي المجموعة السياسية الأكبر داخل البرلمان،والتي تشكلت من الليبراليين بمختلف توجهاتهم وطروحاتهم السياسية والتي ضمت :

أ.مجموعة الكازينو(Die Casino Fraktion):

ظهرت هذه المجموعة السياسية منذ ٢٥أيار ١٨٤٨م في برلمان فرانكفورت أي بعد الاجتماعات ،وهي إحدى أبرز وأكبر المجموعات المؤثرة فيه؛وسميت بذلك نسبة إلى المكان الذي اجتمعت فيه "الكازينو القريب من البرلمان "، كان أعضاء هذه المجموعة من القوميين الليبراليين وأغلبهم من الصحفيين والمحامين الذين شاركوا في اجتماع هايبنهايم والبرلمان التحضيري،وتحالفوا مع الملكيين الدستوريين الذين كانوا يجلسون في الجناح الغربي في البرلمان؛على أساس قيام ملكية دستورية يرأسها إمبراطور ،وبهذا التحالف شكل الليبراليون القوميون والدستوريون الملكيون الأغلبية العظمى من البرلمان .ترأس هذه المجموعة جاجرن و ادورد سامسون[٣](M. E. Simson) ١٨١٠-١٨٩٩م محامي وسياسي بروسي يهودي اعتنق

---

(1) Robert von Mohl **in:Marquardsen Heinrich,** (ADB). Band. 22, S. 745–758.

(2)Biedermann,Karl,**Erinnerungen aus der Paulskirche**,Leipzig 1849.S.168.

(٣) وهو(Martin Eduard Sigismund Simson) كان أحد ابرز الليبراليين الألمان ،درس القانون في كونقيسبيرج حيث اشتغل في القضاء في نفس المدينة وفي مدينة اودر، وخلال الفترة من تشرين الأول ١٨٤٨-أيار ١٨٤٩م ترأس البرلمان في فرانكفورت ،وما بين ١٨٤٩-١٨٦٧،تنقل ما بين مراكز مختلفة من عضو في البرلمان البروسي إلى رئيسا له ،وترأس العديد من اللجان في البرلمان البروسي ،ورئيسا لأول برلمان قومي ألماني بعد الوحدة ١٨٧٠م، وما بين ١٨٧٩-١٨٩١م رئيسا للمحكمة العليا في لايبزيج.

Blum, Hans, **Die Präsidenten des deutschen Reichstags. Erinnerungen und Skizzen**.Band I. Eduard Simson. Westermanns Monatshefte Oktober,Bierlen, 1896, S. 1823.

المذهب البروتستانتي .وهانز ايردمان ١٧٩٢-١٨٤٨م (H. E. von Auerswald) أحد ابرز الضباط البروسيين ومن عائلة نبيلة ملكية وتوفي أثناء انعقاد البرلمان في ١٨ تشرين الأول ١٨٤٨م ،وهيرمان فون بيكيرات (Hermann von Beckerath) ١٨٠١-١٨٧٠م وهو مصرفي وسياسي بروسي وكان عضوا في الحكومة الليبرالية في بروسيا بعد ثورة آذار ،ووزيرا للمالية في الحكومة الألمانية في برلمان فرانكفورت في عهد الرئيس كارل (Karl zu Leiningen) [1].

انشقت عن هذه المجموعة مجموعة لاندسبيرج (Landsberg Fraktion) والتي سميت بهذا الاسم نسبة إلى المكان الذي كانت تجتمع فيه ،وكان انشقاقها عن مجموعة الكازينو في تشرين الأول على خلفية اتفاقية مالمو١٨٤٨م مابين بروسيا والدنمارك ودعم مجموعة الكازينو لبروسيا كانت المجموعة تشكل الجناح اليساري في اليمين الليبرالي ،والذين دعموا وجود حكومة مركزية قوية في ظل وجود برلمان قومي قوي ،ولعل أبرز قادتها يوهان فريدرش كريستوف باور (Johann Friedrich Christoph Bauer)١٨٠٣ -١٨٧٣م وهو أستاذ اللاهوت في جامعة ايرلنجن ،وأحد أعضاء برلمان بافاريا ،ولعب دورا مميزا في العديد من اللجان ،كارل اوتو دامير (Karl Otto Dammers) ١٨١١-١٨٦٠م وكان محاميا وسياسيا بارزا في هانوفر ،فيلهلم يوردان (Wilhelm Jordan)١٨١٩-١٩٠٤م وهو كاتب وروائي وصحفي من بروسيا الشرقية،وهاينرش جيرهارد فون كفانتيس ايسليوس (Heinrich Gerhard von Quintus Icilius) ١٧٩٨-١٨٦١م أحد ابرز الفقهاء في القانون والقضاء الألماني من برلين، و ماكسيمليان هاينرش رودر (Maximilian Heinrich Rüder)١٨٠٨-١٨٨٠ وهو محامي وصحفي من اولدنبيرج[2].

---

[1]هو ابن الأمير اميش كارل (Emich Karl) أمير لاينقين وهو أخ الملكة فيكتوريا من أمه ،درس القانون في جامعة قوتنجن ،وكان يمضي عطله في لندن مع أمه ومع أخته الأميرة فكتوريا في تلك الفترة ،حيث أولع بالفن وخلال الفترة ما بين ١٨٢٣-١٨٤٢ انشغل بإدارة شؤون إمارة لاينيقن ومنذ إنشاء منصب مجلس النبلاء كان هو رئيسه في بادن ،وعمل ضابطا كبيرا في جيش بادن، وبسب مؤهلاته وسمعته كأحد الإصلاحيين الليبراليين تم انتخابه في ١٥ تموز ١٨٤٨م رئيسا لأول حكومة في برلمان فرانكفورت.لمزيد من المعلومات حول حياته انظر :
Nehlsen, Hermann., **Fürst Karl zu Leiningen (1804–1856)**.In: Köbler, Gerhard und Hermann Nehlsen(Hg.), **Wirkungen europäischer Rechtskultur**. Festschrift für Karl Kroeschell zum 70. Geburtstag. Verlag C.H. Beck, München 1997, S. 763–65.

[2]Biedermann, **Erinnerungen aus der Paulskirche**, S.168–169;Hoede,**Die Paulskirche als Symbol. Freimaurer in ihrem Wirken um Einheit und Freiheit**. S. 65–67;Kurschmann ,Heinrich., **Blaubuch des Korps Hannovera (1809–1899)**.Göttingen,2002. Nr. 215 S. 82;Rönnpag,**Ein Eutiner in der Paulskirchenversammlung 1848**.S. 47–56; Best, **Handbuch der Abgeordneten** .S. 40ff.

ب.مجموعة فورتمبيرج هوف (Württemberger Hof):

ظهرت هذه المجوعة في تموز ١٨٤٨م ،وهي أخذت اسمها من المكان الذي كانت تجتمع فيه فورتمبرقر هوف ،كان الهدف الجامع بين أعضاء هذه المجموعة هو إقامة ملكية برلمانية مع تمثيل شعبي قوي ودستور فيدرالي و مسؤولية الحكومة أمام البرلمان وأيد أعضاؤها فكرة ألمانيا الكبرى،ولعل أبرز ممثلي هذه المجموعة بيدرمان (Karl Biedermann)١٨١٢-١٩٠١م وهو أستاذ الفلسفة في جامعة لايبزيج ،ورئيس البرلمان التمهيدي ميتيرماير، وقد انشق عنها مجموعة وصفت أنها الأشد محافظة وهي مجموعة اوقسبيرجر هوف(Augsburger Hof) وهي مجموعة برلمانية أخذت اسمها من المكان الذي كانت تجتمع فيه في السوق الذي كان يقيم فيه التجار من اوقسبيرج،وقد أيد هؤلاء فكرة ألمانيا الصغرى بسلطة مركزية أقل [1].

ج.باريس هوف(Pariser Hof) :

ظهرت هذه المجموعة في ٢١ كانون أول ١٨٤٨م في برلمان فرانكفورت ،على خلفية المناقشات الحادة حول رئاسة الدولة وشكلها والدستور الاتحادي ،ومثلت الاتجاه الليبرالي المحافظ من مجموعة الكازينو،وكان انقسامهم على خلفية معارضتهم التشدد في المطالبة بحكومة مركزية قوية وضرورة التعاون مع الدول في المسألة الدستورية وابرز من مثلهم كارل فيلكر [2].

٤-٢-٢.الليبراليون الديمقراطيون اليساريون . وضمت:

أ.مجموعة "الدويتشرهوف" (Deutscher Hof):

أخذت هذه المجموعة من البرلمانيين اسمها من المكان الذي كانت تجتمع فيه المعروف بقاعة المحكمة ، وهي مجموعة من اليساريين والذين نادوا بإقامة جمهورية والمساواة الكاملة ما بين المواطنين بغض النظر عن جميع الفروق ،والحرية الصحفية والفصل الكامل ما بين الدين والدولة ،وكانت الولايات المتحدة الأمريكية المثال الأعلى لهم،وبعد أيار ١٨٤٩م عمل هؤلاء على تأسيس نادي آذار المركزي (Der Zentralmärzverein) وهو أول حزب حديث في ألمانيا علني محدد البرنامج والأهداف[3].ولعل أبرز قادة هذه المجموعة:روبرت بلوم (Robert Blum) ١٨٠٧-١٨٤٨م- ويعود في جذوره العائلية إلى الطبقة الدنيا عمل تاجرا ثم موظفا في المسرح وهو روائي وشاعر وكان أحد نواب الرئيس الأربعة في البرلمان التحضيري ،ويوهان اتزشتاين

---

[1] Kurschmann , **Blaubuch des Korps Hannovera (1809-1899)**. S. 82;Rönnpag,**Ein Eutiner in der Paulskirchenversammlung 1848**.S. 47-56

[2] Hoede,**Die Paulskirche als Symbol**. S. 67;Best, **Handbuch der Abgeordneten** . S. 98ff.

[3] Wehler,Hans-Ulrich, **Deutsche Gesellschaftsgeschichte**. Band.2: **Von der Reformära bis zur industriellen und politischen "Deutschen Doppelrevolution" 1815-1845/49**. München, 1989. S.713,

(Johann Adam von Itzstein)١٧٧٥-١٨٥٥م وهو برلماني مخضرم من بادن ونتيجة لمواقفه السياسية فقد نال شهرة واسعة وتعرض أثناء حياته للملاحقة والاعتقال،وبعد حل البرلمان هاجر إلى سويسرا[١]

ب.مجموعة نورنبيرج (Die Nürnberger Hof):

ظهرت هذه المجموعة في أيلول ١٨٤٨م في برلمان فرانكفورت ،وسميت بذلك نسبة إلى المكان الذي كانت تجتمع فيه ،وقد انفصلت هذه المجموعة عن الدويتشرهوف ،على خلفية تشدد الدويتشر هوف في طرحها الثوري ،ولعل أبرز من قام بهذه الحركة جورج فريدرش كولب Georg) (Friedrich Kolb،و قابيريل رايزر (Gabriel Riesser) ١٨٠٦-١٨٦٣م وفيلهلم لوفه وقادت هذه المجموعة الاتجاه الإصلاحي في الدوتشر هوف ومثلت الجناح اليميني في اليسار ،ولقد لعب أعضاء هذه المجموعة دورا هاما في الحملة الدستورية والبرلمان في شتوتجارت[٢].

ج. جناح فيستنهال (Die Westenhall Fraktion) :

مجموعة تأسست في آب ١٨٤٨م ،وسميت بذلك نسبة إلى الفندق الذي كانت تجتمع في(Westenhall) في فرانكفورت وهي مجموعة انفصلت عن الدوتشر هوف والجناح اليساري من فورتمبيرجر هوف،ودعمت هذه المجموعة فكرة الدستور القومي ،وكانت معارضة لفكرة التعاون مع الدول الألمانية ،وطرحت فكرة الشكل الجمهوري للدولة؛ووافقت مبدئيا على الطرح القائل بتشكيل حكومة الأغلبية ودعمت مجموعة الكازينو بالتصويت معهم باختيار الشكل الإمبراطوري لرئاسة الدولة الألمانية ولعل ابرز ممثلي هذه المجموعة: هاينرش سيمون Heinrich) (Simon١٨٠٥-١٨٦٠م[٣].

د. جناح الدونرسبيرج (Die Donnersberg Fraktion):

مجموعة من اليساريين الراديكالين مثّلت يسار الدويتشر هوف ؛وسموا بذلك نسبة إلى المكان الذي اجتمعوا فيه في فرانكفورت على نهر الدونرسبيرج في هولتزبفورتشن (Holzpförtchen) ، ودعت هذه المجموعة إلى بعث الثورة وتأسيس نظام ديمقراطي يستند بالكامل إلى الإرادة الشعبية وضمان الحقوق المدنية والقضاء على نظام النبلاء الجديد القائم على

---

(1)Wehler, **Deutsche Gesellschaftsgeschichte,** Band.2, S.754.;Weech, Friedrich von, **Johann Adam von Itzstein in: ADB**. Band. 14.S. 649 ff.

(2) Hoede,**Die Paulskirche als Symbol**. S. 67-69;Rönnpag,**Ein Eutiner in der Paulskirchenversammlung** .S. 55-56 ; Best, **Handbuch der Abgeordneten** . S. 98ff. Biedermann , **Erinnerungen aus der Paulskirche**. S. 169.

(3)Hoede,**Die Paulskirche als Symbol**. S. 69;Rönnpag,**Ein Eutiner inderPaulskirchenversammlung**. S. 56;Best, **Handbuch der Abgeordneten**. S. 101ff.

كبار البرجوازيين وأصحاب الملكيات الكبرى .وتأكيد السيادة الشعبية على نمط الجمهورية في الولايات المتحدة ،وكانوا ضد فكرة ألمانيا الصغرى طارحين فكرة ضم الألمان في المناطق التي كانت تتبع الإمبراطورية الرومانية المقدسة ؛لذا فقد طرح هؤلاء فكرة إقامة الحكم الذاتي لمناطق مثل شلسفيج وبوهيميا ومورافيا وبوزنان (Posen) البولندية وبعض المناطق الايطالية التابعة للنمسا ،وكانوا من المتشددين القوميين .ولعل أبرز الممثلين لهذا الاتجاه لورينتز برينتانو (Lorenz Brentano) ١٨١٣-١٨٩١م من مانهايم في بادن وهو محامي قضى معظم حياته في المنفى في الولايات المتحدة وكارل دام(Karl Damm)١٨١٢-١٨٨٦م،وهو قس كاثوليكي درس علم اللاهوت و اشتغل معلما في بادن ومدير مدرسة وبعد أحداث بادن هاجر إلى كندا،فرانتس داميان يونجهانز(F. Damian Junghanns)١٨٠٠-١٨٧٥م وهو محامي من بادن ومن المشاركين في ثورة بادن ١٨٤٨-١٨٤٩م ،ارنولد روقه(Arnold Ruge) ١٨٠٢-١٨٨٠م وهو كاتب وناشر وصحفي،وهو أول من دعا في البرلمان إلى إعطاء بوزنان الحكم الذاتي أثناء معالجة المسألة البولندية يوم ٢٩ تموز ١٨٤٨م.وفي كانون ثاني ١٨٤٨م[١].

٤-٢-٣. المحافظون: جناح مقهى ميلانو (Die Fraktion Kaffee Milani).

تشكلت هذه المجموعة في نهاية تشرين أول في المنزل الحجري (Steinernes Haus) والذين استمروا في الاجتماع في مقهى ميلان،حيث أخذوا تسميتهم منه –وهو مقهى ايطالي يوجد في وسط فرانكفورت – والذي اجتمع فيه المحافظون الألمان الذين أرادوا استمرار الأوضاع على ما هي عليه ؛أي وجود كونفدرالية الأمراء مع وجود برلمان محدد الصلاحيات وقد سعت هذه الجماعة بكل قواها لتأكيد فكرة ألمانيا الكبرى القائمة على دستور يشتمل على المبادئ العامة للدولة مع وجود دساتير محلية واحتفاظ كل دولة بدستورها وقوانينها وجيشها الخاص ،وكان معظم هؤلاء من بروسيا والنمسا وبافاريا وأبرزهم البرت ديتز (Albert Deetz) ١٧٩٨-١٨٥٩م وهو أحد الضباط من بروسيا وكان عضوا في لجنة الأسطول التابعة للبرلمان ،وجورج فينكه (Georg von Vincke)١٨١١-١٨٧٥م،وهو أحد ابرز الموظفين البروسيين وأحد كبار الملاكين ،ومن أبرز مناصري بسمارك ،ورادوفيتز الصديق المقرب من الملك فريدرش الرابع والمستشار البروسي سنة ١٨٥٠م[٢].

---

[1]Biedermann , **Erinnerungen aus der Paulskirche**, S. 169;Hoede,**Die Paulskirche als Symbol**. S. 69-70;Rönnpag,**Ein Eutiner inderPaulskirchenversammlung**. S. 57;Best, **Handbuch der Abgeordneten**. S. 101.

[2]Deetz Eduard ,Major Albert Deetz,**der Abgeordnete für Wittenberg in der Nationalversammlung, Chef des Zentralbürous des Reichskriegsministeriums und Kommandant von Frankfurt am**

=

وتجدر الإشارة إلى وجود عدد من النواب الذين لا ينتمون إلى أيّ من الاجنحة البرلمانية السابقة والذين عرفوا بفراكتسيونلوزر (Fraktionsloser Abgeordneter) أيّ (المستقلين) وأيضا عددا من الأعضاء الذين تركوا جماعتهم أو الذين استغنت عنهم جماعتهم ،والذين تشكلوا كمجموعة من المستقلين وكان عددهم متفاوتا ومرتبطا بتطورات البرلمان نفسه ،ولعل أبرزهم فيليب لودفيج آدم(Philipp Ludwig Adam) من اولم١٨١٣-١٨٩٣م ،جوستاف فون ايشيلبورج (Gustav von Aichelburg)١٨١٣-١٨٨٢م .من جانب آخر عُدّ النواب الكاثوليك وخاصة القساوسة منهم على الجانب المستقل الذين غالبا ما يميلون نحو الاتجاه المحافظ، والاساقفة البروتستانت لجانب الكازينو .وبنفس التقسيم السابق كان لدينا تقسيم إقليمي حسب مناطق التجمع فكان فيه:النمساويون ،والبافاريون والبروسيون ومن المناطق الأخرى[1].

٤-٣-١.المناقشات الأولى في البرلمان:

ظهرت التوجهات الأولى للبرلمانيين مباشرة بعد الاجتماع الثاني يوم ١٩أيار حينما قدموا طلبات تميزت بواقعية كبيرة ومنسجمة مع محاولاتهم إعطاء تصوراتهم وأفكارهم الأولى حول مستقبل ألمانيا . كانت أبرز المواضيع المبكرة التي طرحت في الجلسات الأولى علاقة البرلمان مع بروسيا ومع البرلمان الموحد "اللاندتاج الموحد" الذي بدأ اجتماعاته أيضا بالتزامن مع برلمان فرانكفورت ٢٢أيار١٨٤٨م ،وأيضا من أبرز الطلبات المقدمة للمناقشة اقتراح النائب من مدينة كولونيا فرانتس رافوكس(Franz Raveaux) ١٨١٠-١٨٥١م وهو أحد أعضاء البرلمان التمهيدي وعضوا في لجنة الخمسين وبنفس الوقت عضوا في البرلمان البروسي وأحد الممثلين للجمهوريين اليساريين في البرلمان ،وجوهر اقتراحه يدور حول الدور السيادي لبرلمان فرانكفورت كممثل للأمة الألمانية فهو يقول :" اليوم يبدأ الاجتماع للبرلمان الموحد لبروسيا ... لا نستطيع أن نتكلم ونتكلم بينما برلمان برلين يتخذ خطوات عملية ...هل نحن الممثل الحقيقي لألمانيا ...هل بروسيا ألمانيا؟ يجب أن لا نسمح بوجود مجلسين يمثلان الأمة الألمانية...يجب أن لا نؤجل"[2].

عقّب العديد من النواب على كلمة رافوكس وكان أبرزهم النائب بيرنارد آيزنشتوك (Bernard Eisenstuck) ١٨٠٥-١٨٧١م من مدينة خمنيتس (Chemnitz) حيث قال:"لا ينبغي النقاش حول هذه النقطة مرة أخرى ...رئيسنا في الكلمة الافتتاحية أعلن أن هذا البرلمان هو

=

Main 1848-1854. In: Archiv für Frankfurts Geschichte und Kunst (AFGK), F. 4, Band. 5, S. 89-114.

[1] (AFGK), F. 4, Band. 5, S. 89-114; Biedermann , **Erinnerungen aus der Paulskirche**, S. 170.Roland, **Die Paulskirche als Symbol ,S70-71; Best, Handbuch der Abgeordneten**. S. 30ff.

[2] Franz Raveaux in: **(SBVDKN)** . Bande.I,S.4-5

البرلمان الوحيد لألمانيا ووافق الجميع على هذا وهو الممثل الوحيد ولا يوجد غيره ...إذا أعطيناهم الحق في إصدار الدساتير فليس لدينا الحق في أن يكون لنا سيادة عليهم ،ولن نسمح لهم أن يقرروا قضايا دستورية لأننا أصحاب الشرعية ،لذا أرفض تشكيل لجنة لمناقشة هذا الموضوع ... [١]".

طرحت أراء مختلفة ولكن الأغلبية أيدت فكرة رافوكس تحت حجج ومسوغات كثيرة أكدت جميعها على ضرورة معالجة هذه القضية لأنها كما قال النائب فيرت (A.Wäert) ١٧٩٨-١٨٤٨م من فينا ": العلاقة بين البرلمان القومي والبرلمانات المحلية صعبة جدا ...يجب أن لا يتحول الأمر إلى صراع لمصلحة الأمن والسلم ..." [٢].النائب مايزن دونكه (Meisen Donke) من دوسلدورف قال :"لقد ضيعنا يومين في أمور إجرائية...يجب أن نتخذ قرارا عاجلا ...يجب أن لا نخيب أمل الشعب ولن نقنع الشعب بالاستمرار بهذا الأسلوب...أقترح طرح الموضوع للتصويت... [٣]".وأخيرا اقترح النص النهائي للقرار على النحو التالي":لا يحق للبرلمانات المحلية أن تصدر قرارات تناقض قرارات البرلمان القومي ؛وإذا ما حصل ذلك يجب تصحيحها لتناسب قرار برلمان فرانكفورت[٤]".

كانت هذه القضية غاية في الأهمية-استمر النقاش حولها حتى ٢٧أيار١٨٤٨- ولكنها لم تعالج بقوة ولم تحسم ؛فالبرلمان لم يكن حاسما في قضية الازدواجية في السلطة والشرعية ،إذ استمرت البرلمانات المحلية أعمالها و اتخاذ قراراتها دون أن تأخذ بعين الاعتبار الطبيعية القومية لبرلمان فرانكفورت ،ودخل البرلمان في القضية الأصعب دون أن يكون هناك تحديد واضح للعلاقة بين البرلمان كممثل سيادي وتبعية الدول الألمانية لهذا البرلمان ،ولعل هذه القضية هي ما أدت إلى بروز الاتجاهات داخل البرلمان في وقت مبكر،والالتقاء خارج البرلمان للاتفاق حول مواقف موحدة منها ،فكان لدينا بداية اليساريون الجمهوريون الذين أرادوا إنشاء دولة ديمقراطية موحدة ،والليبراليون المعتدلون الذين أرادوا تفادي التصادم مع الحكومات والبرلمانات المحلية وأخيرا المحافظون الذين أردوا ألمانيا مبنية على أساس التعاضد والتكاتف ونظروا إلى المؤسسات المركزية وعدم الارتياح[٥].

---

[1] E.Stück **in:(SBVDKN)** . Bande.I,S.8.

[2] A.Wäert **in:(SBVDKN)** . Bande.I,S.38.

[3] Meisen Donke **in:(SBVDKN)** . Bande.I,S.39.

[4] **(SBVDKN)** . Bande.I,S.39- 40.

[5] **(SBVDKN)**.Bande.I,S.35- 40; Bieermann, **Erinnerungen aus der Paulskirsche**. S.11.

ذكر النائب فيلهلم شافرت (W.Schaffarth) ١٨١٤-١٨٩٣م من الجناح اليساري حول موضوع الازدواجية في السلطة والشرعية:"إننا إذا أهملنا هذه القضية بأننا أصحاب القرار هنا نستطيع أن ننسى أمر الوحدة ...فلا تستطيعون التفاوض مع (٣٨) دولة بخصوص كل نقطة ،فإذا اعترفنا بحق كل دولة بحق النقض فإننا سنجعل الوحدة الألمانية مستحيلة ..." [١] من جانب آخر أكدّ روبرت بلوم (Robert Blum) أنه: "إذا أردنا أن نبني ألمانيا فينبغي أن ننجز هذا البناء هنا...إنكم ستكتشفون في النهاية إذا سمحنا للدول الـ ٣٨ ببناء دساتيرها وحكوماتها فنحن نرسخها ؛في الواقع نبني (٣٨)أمة !-بسخرية-...[٢]".

كما تحدث فينكه(von Vincke) ١٨١١-١٨٧٥م من مدينة هاقن(Hagen) من المحافظين تعليقا على بلوم قائلا:"أنا أدعي الآن بأن الشعب البروسي و الشعب البافاري والشعب النمساوي يتمتعون بالسيادة مثلهم مثل الـ٣٥ شعبا الموجودون في ألمانيا ...أنا آسف لأن أقول أن ثمان وثلاثين أمة مختلفة تعيش في ألمانيا ،ولكن هذا هو الواقع ...لا نستطيع أن نغنّي مع السيد ارندت عندما تكلم وقال إن ألمانيا هناك إذا تكلم الناس اللغة الألمانية أو إنها السيمفونية التي تعزف في السماء ... هذا لا يتعلق بشعب كارل الكبير...إنه الشعب الذي يتألف من ٣٨ أمة ،إذا لم نستطع كسب الدول والأمراء ...فلن نستطيع التقدم... يجب كسبهم لصالح ألمانيا " [٣].ثمّ علّق النائب رومر(Römer)على ما قاله فينكه :"نحن نملك السيادة إذا استطعنا أن نكسب الشعب...ونستطيع كسب الشعب إذا أصدرنا قرارات مسايرة لروح العصر ،وإذا لم نستطع كسب الشعب فإننا لن ننجز شيئا حتى لو قلنا مرتين أننا نملك السيادة ونملك الشرعية... [٤]".

فاجأ كارل فلكر(Karl Theodor Welcker) ١٧٩٠-١٨٦٩م المجلس- وحتى البرلمانيين من أنصاره- عندما قال:"يجب ألا نستعجل مبدأ السيادة في إفراط...(يحدث صخب في القاعة)...كلا يا سادتي إنني أدافع عن نفس المبادئ منذ ثلاثين سنة ...إنني حاربت امتيازات النبلاء ولن أتصرف اليوم بجبن وأدفع بآراء آنية ،يجب أن لا نبدل باستبداد الأمراء استبداد الشعب ،إننا نريد سلطة للشعب بمكوناته وحكوماته ... نريد أن نتفادى كل الأمور التي سوّدت تاريخنا ..." [٥]، فلكر كان قد طرح تصورا مشابها لهذا الطرح في اجتماعات لجنة

---

(1) W.Schaffarth in: **(SBVDKN)** . Bande.I,S.133.

(2) Robert Blum in: **(SBVDKN)** . Bande.I,S.133.

(3) von Vincke in: **(SBVDKN)** . Bande.I,S.136.

(4) Römer in: **(SBVDKN)** . Bande.I,S.136.

(5) Karl Theodor Welcke in : **(SBVDKN)** . Bande.I,S.136.

الخمسين عندما علق على موضوع الدستور الأمريكي بأنه أعطى حقوقا للحكومة المركزية أوسع من حقوق الولايات[١].

خلص البرلمان بعد أسبوع من المداولات بقدرة اليسار على تمرير مطلبه الأساس في تأكيد مبدأ سيادة الشعب حيث ذكر القرار الذي حظي بإجماع أغلب أعضاء البرلمان:"إن البرلمان الألماني المنطلق من إرادة الأمة الألمانية يؤكد سيادته على كافة الوحدات السياسية الألمانية ،إن أي قرارات صادرة عن البرلمانات المحلية أو أي مواد دستورية تتعارض مع إرادة البرلمان القومي تكون لاغيه"[٢].

طرحت أيضا قضية توسيع حدود الاتحاد الجمركي الألماني من خلال إلغاء كافة التعرفات الجمركية في ما بين الدول الألمانية ،وإنشاء لجنة خاصة مهمتها الأساسية إلغاء كافة المعيقات أمام حرية التبادل التجاري وانتقال الأفراد والسلع بحرية ،وحماية الإنتاج القومي الألماني وتم اقتراح تشكيل لجنة لمعالجة هذا الموضوع [٣].كما طرحت المسألة البولندية وعلاقتها مع بروسيا لتتناقض مع ما أقره البرلمان التحضيري الذي أعلن من قبل تعاطفه مع توحيد وحرية بولندا ؛فقد أكد تبعية بوزنان البولندية لبروسيا منذ التقسيم الثالث لبولندا سنة ١٧٩٥م ،بالتالي تبعية هذا الجزء من بولندا إلى ألمانيا [٤].

تصاعدت المسألة البولندية في برلمان فرانكفورت في ٢٤تموز١٨٤٨م عندما قال النائب كارل فريدرش فيلهلم (Karl Friedrich Welhelm) : إن مسالة تقسيم بولندا ما بين الدول الثلاث:النمسا وبروسيا وروسيا هي مسألة تعني الدول الثلاث للتصرف بها ،وليس الهدف منه التوسع شرقا،فالاحتقار من الجيران للسلاف هي المفتاح فحقّنا في المناطق التي تم ضمها بالقوة هو حق طبيعي للفاتحين ،والذي تم بطريقة الفتح لا يمكن التراجع عنه ...فتفوّق العرق الجرماني على معظم القبائل السلافية باستثناء وحيد هو روسيا ،هي حقيقة يجب أن تقنع أي مراقب للأحداث ...فالفصل الأخير من تقسيم بولندا لم يكن كما كان يقال إنه إبادة جماعية،وإنما هو إعلان أخير عن جنازة لجثة لا يمكن أن تعامل على أنها بين الأحياء..."[٥].

وانتقد يوردن أولئك الذين يدافعون عن استقلال بولندا بمن فيهم روبرت بلوم والشاعر هاليرموند‌ه (August von Platen-Hallermünde) ١٧٩٦-١٨٣٥م المعروف بقصائده المتعاطفة

---

[1] Bieermann,**Karl, Erinnerungen aus der Paulskirsche,leibzeg,1849**. S.168.

[2] Karl Theodor Welcker: **(SBVDKN)** . Bande.I,S.155.

[3] **(SBVDKN)** . Bande.I,S.7-10.

[4] **(SBVDKN)** . Bande.I,S.31ff.

[5] Karl Friedrich Welhelm **(SBVDKN)** . Bande.I,S.31ff.

مع البولنديين، أو يوهان فيرت (Johann Georg August Wirth) ١٧٩٨-١٨٤٨م أحد أعضاء برلمان فرانكفورت – توفي أثناء انعقاد البرلمان في ٢٦تموز١٨٤٨م – وأحد أبرز الطلبة المؤسسين لاتحاد الطلبة الألمان وأبرز السياسيين الليبراليين الألمان ،و فيليب ياكوب زيبنبفايفر (Philipp Jakob Siebenpfeiffer) ١٧٨٩-١٨٤٥م [١].

٤-٣-٢.السلطة المركزية الانتقالية (Provisorische Zentralgewalt) وتشكيل الحكومة:

منذ أن استهل البرلمان القومي عمله فإنه لم يمثل الدول الألمانية وإنما مثل الشعب الألماني حيث كان ينقصه دستور ينظم الدولة المزمع إنشاؤها وشكل الحكومة،وينقصه الشرعية في ظل وجود نظام كونفدرالية الدول والقانون الكونفدرالي .وهذا تطلب تغييرا للقانون الفيدرالي وحلا لسلطات النظام الكونفدرالي المعمول به.إلاّ أن البرلمان لم يتخذ بداية مثل هذه الخطوات كإلغاء المؤسسات القائمة وإقامة مؤسسات انتقالية تقوم بتسيير شؤون الكونفدرالية لحين قيام مؤسسات دائمة .وبدلا من ذلك قام البرلمان بإيجاد السلطة المركزية الانتقالية لألمانيا في ظل وجود سلطات الدول وسلطة الكونفدرالية .

وجاء في القانون المحدد للسلطة المركزية الذي أقره البرلمان:"حتى يتم إنشاء سلطة حكومية محددة لألمانيا فإنه سوف تقوم سلطة مركزية انتقالية بإدارة جميع الشؤون الألمانية...وممارسة السلطة التنفيذية في جميع المسائل التي تعنى برفاهية وسلامة الدول الألمانية ... والقيام بكل الإجراءات التي من شأنها فرض السلطة على الجيش وتعيين قائد له وتطبيق القانون الدولي للتجارة الحرة وتعيين الممثلين التجاريين الأجانب في ألمانيا ،وتعيين السفراء والمجالس المتعلقة بهذا الشأن ..."[٢] .وفي ٢٨حزيران ١٨٤٨م صوت البرلمان بالموافقة على ذلك بأغلبية (٤٣٦) صوتا مقابل (١٠٠) صوت معارض وذلك من أصل (٥٤٨) نائبا حضروا جلسة التصويت– صوتوا –بانتخاب الرايخ فيرفايسر[٣] (الوصي الإمبراطوري) (Ein

---

(1)**(SBVDKN)**. Bande.I,S.33.Gehrke, Roland, **Der polnische Westgedanke bis zur Wiedererrichtung des polnischen Staates nach Ende des Ersten Weltkrieges**.Genese und Begründung polnischer Gebietsansprüche gegenüber Deutschland im Zeitalter des Nationalismus, Verlag Herder-Institut Marburg 2001, S. 74-76.und S. 116-121.

(2) **Reichsgesetz über die Einführung einer provisorischen Zentralgewalt für Deutschlandvom 28. Juni 1848**, in:Huber, **Dokumente zur deutschen Verfassungsgeschichte**, Band 1,S.180.

(٣) كلمة يعود أصلها إلى الألمانية القديمة وتعني الممثل أو الوصي(Jemandes Stelle vertreten) وظهر هذا المنصب في برلمان فرانكفورت لفترة قصيرة ،وكان النائب الإمبراطوري في الإمبراطورية الرومانية المقدسة يقوم مقام الإمبراطور في منطقة معينة ،وقد ظهر هذا المنصب لأول مرة في سنة١٣٥٦م في منطقة الراين ،وقد ظهر مثل هذا المنصب بعد الحرب العالمية الأولى في ألمانيا وعادة ما يكون في مرحلة انتقالية.

=

(Reichsverweiser وتطلب هذا القرار قيام البرلمان بتشكيل حكومة جديدة وفي اليوم التالي يوم ٢٩ حزيران تم تسمية الأمير يوهان من النمسا(Graf Johann von Österreich) ١٧٨٢-١٨٥٩م رئيسا مؤقتا للرايخ الألماني [١].

عُدّت هذه الخطوة تأكيدا على سيادة البرلمان من خلال انتخاب الوصي يوهان ،وأعلن جاجرن أن هذه الخطوة هي الخطوة الأولى في سبيل قيام الدولة الألمانية الموحدة ،فانتخابه تم ليس لأنه أمير نمساوي والأخ الأصغر لفرانتس الثاني آخر أباطرة الإمبراطورية الرومانية المقدسة فقط بل لسمعته وشهرته كأحد الإصلاحيين. جاجرن كان يحب أن يسمي ذلك بالضربة على الرأس والتي عززت الخلاف ما بين الليبراليين والديمقراطيين الراديكاليين، وبالتالي تعكس الطبعة المحافظة للقوميين الليبراليين الألمان ويعيد إلى الأذهان النقاشات الأولى لما قبل آذار [٢].

ظهر الاصطدام الأول ما بين البرلمان وقوات الدول الألمانية في فرانكفورت على خلفية رفض هذه القوات تأدية يمين الولاء للوصي ،فقد ماطلت الدول في إعطاء أوامر لقواتها بتأدية مثل هذا القسم ،وأعتبر القادة العسكريون مثل هذا القسم نوعا من ازدواجية الولاء ؛لذا رفضوا تأدية القسم وعملوا على تفريق الحشود القادمة للاحتفال بالوصي على أساس أنه يمثل إرادة الأمة الحرة ،فتحول الأمر إلى تظاهرة صاخبة ضد تدخل الجنود، وظهرت انقسامات حادة في منطقة الراين وحول فرانكفورت ما بين الكاثوليك والبروتستانت ،حيث رأى البروتستانت أنه تم مكافأة الكاثوليك بتعيين الأمير يوهان ،لذا كانت ردة فعلهم غاضبة فقد رفض أهل كارفيلد ومونشن قلادباخ رفع الأعلام الألمانية ورفعوا بدلا منها الأعلام البروسية ،وأعلن أهل ايلبرفيلد رغبتهم في البقاء تحت ظل ملكهم ورفضهم الولاء للوصي [٣].

=

Hans Wagner,**Johann von Österreich** In:(NDB). Band 10, Berlin 1974, S. 505-508; Schlossar, Anton, **Erzherzog Johann von Österreich**. Styria, Graz und Wien 1908, S. 2.

[١] وهو أخو الإمبراطور فرانتس الثاني، وهو أحد الضباط الكبار في الجيش النمساوي ،وكان لديه اهتمامات بالزراعة في الدوقية الصغيرة التي كان يملكها حيث ظهرت مجموعته الزراعية التي عرفت باسمه ،وفي منطقة شتاير عرفت أعماله الإصلاحية ونالت شهرة واسعة على مستوى الإمبراطورية ،وكانت علاقاته مع الشعب يسودها الحب بحيث أنه أصبح رمزا من رموز أهالي شتاير هناك ،وكان منزله محجّا لكبار رجال الأدب والساسة الألمان.لمزيد من المعلومات انظر:

Wagner,**Johann von Österreich** ,Band 10, S. 506-508; Anton, **Erzherzog Johann von Österreich**. S. 35, 25, 36, 64.

[2] Valentin,Geschichte der deutschen Revolution,Band.2,S.26-26; Botzenhart, Manfred, **Deutscher Parlamentarismus in der Revolutionszeit:1848-1850**, Handbuch der Geschichte des deutschen Parlamentarismus,Dusseldorf , Droste-Verlag, 1977.Band I.S.163ff.

[3] Ibid, band 2.S.91-92

استنادا للقرار السابق الذي نص على تنصيب الوصي يوهان رئيسا مؤقتا للرايخ،فقد تضمن أيضا تشكيل حكومة ألمانية لحين إقرار الدستور تم تشكيلها يوم ١٥ تموز ١٨٤٨م،وقد تعاقبت ثلاث حكومات خلال فترة انعقاد البرلمان ،وفيما يلي جدول يوضح ذلك:

جدول رقم(١٨) يوضح رؤساء الحكومات الألمانية (Ministerpräsidenten der Reichsregierung):

الرقم	الاسم	حياته	الفترة	الاتجاه
١.	**كارل آل لاينيجن** **Karl zu Leiningen**	**١٨٠٤– ١٨٦٥م**	**١٥تموز–٥ أيلول١٨٤٨م**	**الكازينو**
٢.	**أنتون فون شميرلنج** [١] **Anton von Schmerling**	**١٨٠٥–١٨٩٣م**	**٢٤أيلول – تشرين أول ١٨٤٨م**	**كافيه ميلان**
٣.	**هاينرش فون جاجرن** **Heinrich von Gagern**	**١٧٩٩–١٨٨٠م**	**١٧كانون أول–١٠ تموز ١٨٤٩م**	**الكازينو**

Biedermann, **Erinnerungen aus der Paulskirche**.S.169;Hoede,**Die Paulskirche als Symbol**.S.69-70; Rönnpag, **Ein Eutiner inderPaulskirchenversammlung**. S.57;Best,**Handbuch der Abgeordneten**. S. 101.

٤-٣-٣.قضية شلسفيج-هولشتاين (Schleswig-Holstein)

اعتبرت هذه القضية مسألة رأي عام في ألمانيا وأخذت حيزا كبيرا من مناقشات برلمان فرانكفورت ، وتعود جذور هذه القضية عندما كانت شلسفيج-هولشتاين تجمعات سكانية صغيرة تطورت لتصبح دوقيتين على ساحل البلطيق و كانتا تحت حماية الدنمارك منذ سنة ١٤٦٠م. هولشتاين كانت بالكامل تتحدث اللغة الألمانية وذات ثقافة ألمانية وعضوا في الكونفدرالية الألمانية ،بينما شلسفيج نصفها الجنوبي من الألمان والنصف الشمالي من الدنماركيين ،و لم تكن عضوا في الكونفيدرالية الألمانية ،إلا أنها كانت على صلات عائلية وثيقة بهولشتاين منذ القرون الوسطى ، بدا واضحا في ثلاثينيات القرن التاسع عشر أن النسب الملكي الدنماركي من الذكور في طريقه إلى الانتهاء في شلسفيج .بالنسبة إلى ألمان شلسفيج -هولشتاين فقد طالبوا بحقهم

---

[١] وهو سياسي ومحامي نمساوي يعود في أصوله العائلية إلى طبقة النبلاء ،وكان أحد أعضاء البرلمان التمهيدي وعضوا في برلمان فرانكفورت،وعمل وزيرا للخارجية في الحكومة الأولى وقد استقال من البرلمان احتجاجا على عرض التاج الإمبراطوري على بروسيا ،وعاد إلى النمسا في أيلول ١٨٤٨م.لمزيد من المعلومات انظر: Rumpler, Helmut, **Anton Ritter von Schmerling**. In (NDB). Band 23. 2007, S. 132-134.

بالعودة إلى ملكهم الأصلي فون أوجستنبيرج (von Augustenburgs) ، وقطع جميع الروابط مع الدنمارك ،بالمقابل عارض الدنماركيون بشدة هذه الادعاءات وقالوا إنه على الأقل شلسفيج هي دنماركية بالكامل بتنظيمها ومؤسساتها ،لذا سوف تبقى تحت الحكم الدنماركي[١].

عندما أصبح كريستيان الثامن (Christian VIII) ملكا على الدنمارك وعلى هولشتاين-شلسفيج حاول إقناع أوجستنبيرج بالتخلي عن مطالبه الانفصالية ،وحاول الملك كريستيان تطبيق نظام الوراثة النسائية على هولشتاين وشلسفيج ؛بالرغم من أن القانون حدد أن حق العرش محصور فقط بالذكور ولا ينتقل عن طريق الإناث ، بالتالي فإن الحق يكون ضمن القانون بالعودة للفون أوجستنبيرج .في سنة ١٨٤٤م خول مجلس الطبقات الدنماركي كريستيان لإجراء التعديل وضم الدوقيتين ،وأظهر الملك وحكومته تعاطفه مع الايدردانيش(Eiderdanich) الحركة القومية الدنماركية في شلسفيج [٢].أثار ذلك جدلا واسعا في ألمانيا وأخذت المسألة طابعا قوميا.فهيكر القائد الليبرالي الجنوبي من بادن قال معلقا:" إنها سفينة النجاة وحصن الإمبراطورية الألمانية...إن أي أحد ينتمي إلى أرض الآباء الألمانية ...يجب عليه أن يفعل ما يستطيع بالكلمة بالفعل ،بالسيف للدفاع عن كل شبر من الأرض الألمانية..." [٣].

بعث الملك كريستيان رسالة مفتوحة في سنة ١٨٤٦م؛إلى الشعب الألماني والدنماركي أكد فيها بأن قانون الوراثة النسائي يطبق على شلسفيج وأجزاء من هولشتاين.أدت هذه الرسالة إلى عاصفة من الاحتجاجات في الدوقيتين ،وخرج الألمان من مجلس الطبقات واستقال العديد من الموظفين .وسادت في ألمانيا موجة من المشاعر القومية تذكر بمطلع الأربعينيات عندما هددت فرنسا بالهجوم على الراين فإذا كانت فرنسا هي العدو القومي سنة ١٨٤٠م فقد أضحت الدنمارك هي العدو سنة ١٨٤٦م ،قامت الجامعات والمتعلمون ومجالس الطبقات بضم صوتها إلى المحتجين مطالبة الرايخستاج باتخاذ الإجراءات لدعم الدوقيتين ،ووقف جميع الأمراء موقفا واحدا ؛ملك بافاريا أعلن تعاطفه صراحة مع أسرة أوجستنبيرج ،ملك بروسيا أعلن عدم موافقته على ما جاء في الرسالة المفتوحة ،وميترنيخ أعلن أنه يتوجب على ملك الدنمارك احترام الحقوق العائلية لأوجستنبيرج.الرايخستاج أعلن أنه يتوجب على كافة الأطراف احترام جميع الحقوق ،ولكنه حث الدول الأعضاء على الضغط على المظاهرات الشعبية لأنها من تنظيم الليبراليين [٤].

---

[1] Carr, **A History of Germany**,pp.31-32; Eyck, **The Frankfurt Parliament**,pp.43-45;

[2] Siemann,**Die deutsche Revolution,**S.152-153; Carr, **A History of Germany**,pp. 32; Eyck, **The Frankfurt Parliament**,pp. 45-46.

[3] Hecker in: Carr, **A History of Germany**,p. 31.

[4] Siemann,**Die deutsche Revolution,**S.153; Carr, **A History of Germany**,pp. 32; Eyck, **The Frankfurt Parliament**,pp. 46.

على المستوى الشعبي فإن عام ١٨٤٦م مثّل الروح القومية ،وهو ما عبّرعنه الشاعر الألماني أرندت[١] :

أننا نصيح لا	Wir rufen Nein
الآن أيضا لا لأي ضم..........	Und aber Nein zu schem
لا نريد أن نصبح دنماركيين.........	Wir wollen keine Dänen sein
نريد أن نبقى ألمانا....................	Wir wollen Deutsch bleiben

لم تقم أي مظاهرة شعبية دون أن ترتفع فيها الأعلام الحمراء والبيضاء والزرقاء ألوان علم شلسفيج وهولشتاين ،وكانت تنتهي بنشيد وخطابات حماسية ،لقد أبقت هذه المسألة قضية الوحدة حية قبل قيام الثورة وبقيت مسيطرة على الحياة السياسية حتى نهاية الأربعينات[٢] .

في أعقاب ثورة آذار شكل الليبراليون الألمان حكومة ليبرالية في كيل (Kiel) باسم حكومة شلسفيج–هولشتاين المركزية،وفي الوقت نفسه قام الليبراليون الدنماركيون في كوبنهاجن (Copenhagen) بتشكيل حكومة ليبرالية .أعلن ممثلو البوندزتاج في رندسبيرج (Rendsburg) يوم ١٨ آذار عن إرسال وفد إلى الملك البروسي فريدرش الرابع باسم هولشتاين –شلسفيج يحمل مطلبا أساسيا واحدا هو دستور حر تكون فيه شلسفيج عضوا كاملا في الكونفدرالية الألمانية ،وأن يشكل الشعب جيشه الخاص تحت قيادة ضباط منهم ،وانفصال كامل لشلسفيج وهولشتاين عن الدنمارك .كما عقد في العشرين من آذار لقاء حاشد في كوبنهاقن وأسفر عن اتخاذ قرارا بالطلب من ملك الدنمارك إخضاع حركة التمرد في شلسفيج –هولشتاين وتعيين حكومة مركزية .في اليوم التالي خرج ما بين ١٥-٢٠ ألف متظاهر تأييدا لقرار الملك .من جانب آخر احتفل الثوار في شلسفيج – هولشتاين بمناسبة النصر الذي تم تحقيقه وشكلوا حكومة نبعت من الثورة التي قامت فيها. وفي اليوم التالي لإعلان الحكومة الثورية أعلنت الدنمارك الضم الكامل لهما[٣] .

أكد الملك البروسي في خطاباته بعد ثورة آذار تمسكه الكامل بشلسفيج على اعتبار أنها قضية الشعب الألماني ودعا إلى إرسال قوات إلى هناك[٤] وفي يوم ٢٧ آذار أمر الملك بتجهيز

---

(1) Arndt in: Carr, **A History of Germany**. p. 31.

(2) Siemann,**Die deutsche Revolution,**S.153-154; Carr, **A History of Germany**,pp. 32; Eyck, **The Frankfurt Parliament**,pp. 46-49.

(3) Görtenmaker,Manfred, **Deutschland im 19. Jahrhundert**. 4. Auflage. Leske&Budrich, Opladen , 1994, S.123ff.

(4) **(RPKF)"An mein Volk und die deutsche Nation".Vom 21. März 1848**. S.10-11.

هذه القوات[١] . في بداية نيسان طلبت الحكومة المركزية من البرلمان التمهيدي إرسال الدعم العسكري لهم ضد الدنماركيين وأضحت الحرب مسألة أساسية لهيبة البرلمان الذي أعلن الدعم والنصرة لشلسفيج –هولشتاين بتشكيل قوات من مختلف الدول الألمانية وتم إعلان الحرب القومية (ReichsKriege) باسم ممثل الأمة البرلمان وباسم الكونفدرالية الألمانية ،وكلف البرلمان بروسيا بقيادة القوات الألمانية تحت العلم الألماني الجديد لتحرير الأراضي التي يحتلها العدو وإعادتها إلى أحضان الوطن [٢].

تم توقيع اتفاقية مالمو(Malmö) يوم ٢٦آب ١٨٤٨ بضغط من القوى الأوروبية :فرنسا وروسيا وبريطانيا تضمنت: وقف إطلاق النار بين القوات الألمانية بقيادة بروسيا والقوات الدنماركية ،وانسحاب كافة الأطراف وتشكيل حكومة بروسية – دنماركية برعاية روسية–بريطانية ،و أبقت الاتفاقية شمال شلسفيج تحت السيطرة الدنماركية وجنوبها تحت سيطرة بروسيا[٣] . بروسيا قامت بعمل منفرد بالتوقيع نيابة عن الألمان حتى دون أدنى إشارة إلى البرلمان ،وبدا واضحا تخلي بروسيا عن القضية القومية ،وشكل ذلك إحراجا لحلفائها.المعارضة استغلت ذلك في شن حملة منددة بهذا العمل الذي عُدّ في أبسط ما قيل عنه أنه تخاذل بروسي وقاد هذا الاتجاه في البرلمان دالمان وهيكر ؛حيث أكدوا عدم رضاهم وسخطهم على الاتفاقية لأنها تجاوزت على حد تعبيرهم السلطة المركزية في فرانكفورت[٤] . ومن جانب آخر بيّنت هذه الاتفاقية عجز البرلمان عن ممارسة سلطته وسيادته وخاصة أن الوصي على العرش وحكومته كانا في بداية عملهم ،وظهر مفهوم الوحدة ضعيفا أمام التحدي الأول[٥] .

أكد الديمقراطيون وخاصة نواب الدويتشر هوف أن ملك بروسيا – الذي لا يزال يحكم باسم الرب والكونفدرالية الألمانية – قام بتجزئة الأمة إلى قطع بالتوقيع على تلك الاتفاقية ،وفي هذا الصدد وصفت صحيفة شباير الجديدة (Neue Speyerer Zeitung) الاتفاقية:"إنها أكثر خدعة مخجلة من سياسة الخيانة ...والتي أنتجت اتجاهات محققة نحو الانفصال ... [٦]".

---

[1] **Tagesbefehl des Prinzen Friedrich zu Schleswig-Holstein an dieTruppen der Herzogtümer am 27 März 1848**.in : Huber, **Dokumante**,Band.1.S.594.

[2] **Bundesbeschluß über das Eingreifen im Bundesland Holstein,**4 Apreil 1848. in:Huber, **Dokumante**, Band.1.S.595-596.

[3] **Waffenstillstandsvertrag von Malmö 26 Augest 1848**. in : Huber, **Dokumante**, Band.1.S.596ff.

[4] **(SBVDKN)**.Band.III.S.1868-1869.

[5] **Die Frankfurt Nationalversammlung und der Waffenstillstandsvertrag von Malmö,3. September,1848**. in: Huber, **Dokumante**, Band.1.S.598ff.

[6] **Neue Speyerer Zeitung,6 September,1848**.

وبتأثير من كارل ماركس وفريدرش انجلز عقد لقاء جماهيري في كولونيا انتهى بإرسال رسالة مفتوحة عبر الجريدة الراينانية الجديدة قالوا فيها "أيد البرلمان الثورة المضادة في ايطاليا وفي براج وضد البولنديين في المناطق التي يسيطر عليها البروسيون ،ولكن وقف البرلمان إلى جانب الثورة في شلسفيج-هولشتاين أليس هذا مستغربا ...لتسحبوا التفويض الممنوح لبروسيا في التفاوض باسم الأمة الألمانية ... على البرجوازيين ومالكي الأراضي في فرانكفورت ألا يخدعوا أنفسهم...فإذا رفضوا التوقيع على الهدنة فإنهم يوقعون على قرار سقوطهم ...وإذا وقعوا معها يضعون أنفسهم تحت وصاية بروسيا ..." [١].

استجاب البرلمان إلى الأصوات الديمقراطية واليسارية وصوت برفض المعاهدة ب (٢٣٨) صوتا ضد (٢٢١) صوت ،واعتبر القرار الاتفاقية لاغيه[٢].واستمر الجدل لمدة أسبوعين وخاصة مع وصول أنباء حل وزارة هانزمان في برلين-الوزارة التي تشكلت في أعقاب ثورة آذار- ، وسرت الإشاعات عن قرب التدخل العسكري البروسي.ففي جلسة ١٦ أيلول والتي حظيت بحضور غير مسبوق من جماهير ودبلوماسيين أجانب وصحفيين تمّ إعادة التصويت على المعاهدة لتحظى بموافقة البرلمان بأغلبية بسيطة (٢١) صوتا [٣].

ولعل أبرز تحليل هو ما قدمه فريدرش انجلز بتحليله السابق عندما وضع الخيارين الصعبين أمام البرلمان فقد اختار البرلمان التصديق على المعاهدة ،فقادة الوسط الليبرالي وعلى رأسهم جاجرن لم يكن باستطاعتهم الدفاع عما جرى ويضيف:"لو كان كرومويل ١٥٩٩-١٦٥٨م (Oliver Cromwell)- قائد وعسكري وسياسي انجليزي هزم الملكيين في الحرب الاهلية الانجليزية - في ألمانيا لما تردد طويلا ليقول:أنتم لستم برلمانا...أقسم عليكم أن تتصرفوا..."[٤].ويضيف انجلز:"يفتقد الجانبان الثوري وجانب الثورة المضادة الشجاعة...إذا استمرت الأوضاع الحالية فإنها سوف تؤدي إلى اشتباكات دموية ...فقد اتفق الطرفان بشكل غير معلن على تجميد الصراع إلى أطول وقت ممكن ...إن النضال الأساسي يجب أن يكون من أجل توحيد ألمانيا وتنظيمها ديمقراطيا ...وأن يؤدي هذا الصراع إلى تحرير ألمانيا من أغلال الماضي ..."[٥].

---

[1] **Neue Rheinische Zeitung,9 September,1848**.

[2] **Die Frankfurt Nationalversamlung und der Waffenstillstandsvertrag von Malmö, 3-September,1848**.in: Huber, **Dokumante**, Band.1.S.598ff.

[3] Huber, **Dokumante**, Band.1.S.599.

[4] **Neue Rheinische Zeitung,20 September,1848**.

[5] **Neue Rheinische Zeitung,20 September,1848**.

شعر اليساريون أنه تم خداعهم بجرهم إلى التصويت مرة أخرى ،فدعوا الجماهير للقدوم لفرانكفورت لمساندتهم في قرارهم الانسحاب من البرلمان وتشكيل هيئة ثورية.الجماهير زحفت بشكل منظم هذه المرة ويوم ١٩ أيلول اصطدمت هذه الحشود مع القوات العسكرية ليجدوا أن البرلمانيين اليساريين انسحبوا من موقفهم ،كما أصبح الصدام مع عشرة آلاف جندي غير ذي جدوى أو نتيجة ،لذا عادت الأوضاع إلى الهدوء في فرانكفورت والمناطق المحيطة فيها(١) .

٤-٤-١.الهوية القومية الألمانية في برلمان فرانكفورت:

مثّل تحديد الهوية الألمانية أصعب المهام التي واجهت برلمان فرانكفورت ،والتي بقيت مسألة مفتوحة حتى بعد سقوط البرلمان،متاثرة إلى حدا ما بنتائج مسألة شلسفيج –هولشتاين ومعالجة المسألة البولندية ،وهي امتداد طبيعي لطبيعة التنافس المحتدم مابين بروسيا والنمسا على زعامة الدول الألمانية ،فخارج حدود التعريف اللغوي للقومية الألمانية – أي أن الألمان هم أولئك الذين يتحدثون اللغة الألمانية – كانت المسألة تطرح نفسها بقوة ما بين ألمانيا الكبرى والتي تستند بشكل كبير إلى مفهوم الإمبراطورية الرومانية المقدسة ،أو ألمانيا الصغرى التي تمثلها الكونفدرالية الألمانية بدون النمسا والشعوب التابعة لها مع ما يرافقها من إشكاليات نظرا للتنوع العرقي ، وهو ما عبر عنه النائب من الدويتشرهوف كارل فوقت(٢) (Karl Vogt) ١٨١٧-١٨٩٥م :"بأنها حرب مقدسة ما بين الثقافة الغربية ضد همجية وبربرية الشرق"(٣).

صوت البرلمان في ٢٧ تشرين أول ١٨٤٨م لصالح مشروع ألمانيا الكبرى بضم المناطق النمساوية الألمانية فقط ولكن الإمبراطور النمساوي ومستشاره رفضوا هذا العرض على أساس أنه يجزئ الإمبراطورية ؛لذا كان الخيار الآخر هو البديل أي ألمانيا الصغرى بزعامة بروسيا الأمر الذي أدى إلى اتساع الخلاف ما بين البرلمان والنمسا ،واعتبرت النمسا أن البرلمان تجاوز حدوده بفرضه على الدول الألمانية قواعد جديدة وعمليات التصويت كانت تجري كلها ضد المصالح النمساوية (٤).

---

(1) **Neue Rheinische Zeitung,20 September,1848**.

(٢) وهو صيدلي سياسي راديكالي ألماني كان أحد قادة الحرس المدني أثناء ثورة آذار وعضوا في لجنة الخمسين التي أعدت للبرلمان التحضيري وعضوا فيه ،وكان من أواخر الذين تركوا البرلمان ،والذي هرب إلى سويسرا وحصل على جنسيتها بعد سنة ١٨٤٩م.لمزيد من المعلومات انظر:

Krause ,Ernst, **August Christoph Karl Vogt** In: (ADB). Band 40. 1896, S. 181-189.

(3) Karl Vogt in: Winkler, Heinrich August, **Der lange Weg nach Westen**. Band. I. **Deutsche Geschichte vom Ende des Alten Reiches bis zum Untergang der Weimarer Republik**. 5.Auflage. C.H. Beck, München, 2002, S. 122.

(4) Winker, **Der lange Weg nach Westen**. Band. I.S.122-123;

وجاء الجدل حول القومية الألمانية ليفتح ليس فقط الصراع ما بين الديمقراطيين الراديكاليين،الليبراليين والمحافظين الألمان ،ولكن أيضا من خلال المناقشات الليبرالية وحدود التنافس من أجل الهيمنة السياسية والاقتصادية والثقافية التي خاضها البروسيين وإمبراطورية النمسا وسط أوروبا ،فالقيم الأساسية لليبرالية البرجوازية خلال الأربعينيات كانت تدور حول أن التوسع يفرض آلية معينة: الوحدة والنظام وتحديد الهوية الجديدة .وعلى نفس المنوال اعتبرت ألمانيا الصغرى استجابة قومية أكثر من كونها انعطافا لما سمي بحل المسألة الاجتماعية وهي ما كان يجب فعله لعنونة الانفعالات أو تحويل الاهتمام عند أولئك الذين لديهم تصورات أو عايشوا التفكك الاجتماعي والتي أحدثها انتقال ألمانيا من الاقتصاد الزراعي نحو الاقتصاد الصناعي، وما رافق التحول الصناعي من تحول اجتماعي. فقد نظر إلى مفهوم التوسع الألماني على أنه فرصة لتحويل الجماهير بعيدا عن المشكلات الاجتماعية المتأصلة ولجعل الألمان يؤمنون أن المسألة الاجتماعية لا وجود لها أو أنها اقل أهمية، أكثر منها محاولة لحل هده المشكلات من خلال وضع خطط اقتصادية واجتماعية [١].

كان مثل هدا الشكل من التبرير للسياسة التوسعية هو طابع ليبراليي ١٨٤٨ وتم ربطه بالجانب الاقتصادي الامبريالي، فيوهان تيلكامبف (Johann Tellkampf) ١٨٠٨-١٨٧٦م أحد أبرز جماعة فورتمبورج هوف، تحسر على عدم وجود مستعمرات ألمانية وعلق الرئيس جاجرن بمرارة أن مثل هدا الموضوع الذي أثاره تيلكامبف هو أمر يتفهمه جميع الأعضاء و أعلن بأنه سوف يحفز المطالب لتبني سياسة تقوم فيها الدولة في هذا الشأن ،وأضاف:" " أن المسألة لن تتوقف هنا ببساطه،لكن الأسطول سوف يعزز من موقع التجارة الخارجية الألمانية وسوف يدخلها حلبة الصراع الاستعماري .وأنه لا يجب أن ننظر إلى الحرب التي أمام أعيننا ولكن إلى المدى البعيد في وقت السلام... فبدون حماية الأسطول سوف نجد صعوبات كبيرة في توسيع تجارتنا واستمرار عقودنا التجارية ،إننا نرى في كل مكان أن الأمم الأخرى قد وصلت إلى بلاد كان لا يمكن أن تصل إليها دون أسطول...الأسطول ضروري لمد سيطرتنا واستعمار أراض جديدة...إذا كان لدينا أسطول سوف نفتح به أراض جديدة فيما وراء البحار..." [٢].

---

(1)Vick.B.E., **Defining Germany: The 1848 Frankfurt Parliamentarians and National Identity**. Harvard University Press.Cambbrige,2002.pp.1-3; Eley,G., **Defining social Imperialism:Use and Abuse of an Idea**, Social History, Cambridge University Press vol. 19, 3October 1976. pp.265-90. pp.266-267.

(2) J.Tellkampf in:**(SBVDKN)**.Band.II.S.1057.

لقد بدا واضحا أن مطالب الحركة البرجوازية ذات الجذور القوية قد تركزت على ضرورة توسيع التجارة البحرية والتجارة العالمية،وأيضا من خلال عهد التجارة الامبريالية والتي قادتها الطبقة الوسطي و ليس الإقطاعيون التقليديون ولا الطبقة العسكرية العليا وسعت جاهدة لتكوين هيبة بحرية وعالمية لألمانيا .وهنا تجدر الإشارة إلى أن برلمان فرانكفورت هو أيضا نتاج الطبقة الوسطى الليبرالية التي سعت لبناء دولة قومية ،لذا ظهرت رغبة الطبقة الوسطى الصاعدة في تحقيق مستوى ما من المشاركة السياسية بما يتلاءم مع نجاحها الاقتصادي والاجتماعي،والتي نستطيع القول أنها بعد عدة عقود شكلت السياسة التوسعية الخارجية للدولة الألمانية(١).

رؤية برلمان فرانكفورت في بناء أسطول بحري قادر على الدفاع عن السواحل الألمانية كان أولوية أساسية وخاصة في ظل التهديد والحصار الدنماركي للسواحل الشمالية في ذلك الوقت ،واعتبر تأسيس أسطول بحري ألماني مسألة ملحة للدفاع عن الأراضي الالمانية أمام الدنمارك ، فمن الخطأ اعتبار الرغبة التي أظهرها البرلمان في ضرورة قيام أسطول ألماني بحجة الحرب مع الدنمارك وخاصة في ما يتعلق بمسألة شلسفيج وهولشتاين على أنه ردة فعل فقط وإنما هو في جانب كبير منه سعي لتأكيد الهوية القومية التوسعية(٢).

وابعد من ذلك فان الدفاع عن المصالح التجارية الألمانية عبر البحار ،والرغبة في أن يكون لألمانيا موقع بين الدول الاستعمارية،وتنظيم عملية الهجرة الألمانية إلى العالم الجديد،كانت مسائل مثيرة للنقاش والجدل بين أعضاء البرلمان.وفي هذا الإطار يمكن رؤية قيام أسطول بحري ألماني كضرورة ومطلب أساسي لأعضاء برلمان فرانكفورت،ووسيلة للحفاظ على الوحدة ووسيلة لإظهار قوة ألمانيا على الساحة الأوروبية.وهذا ما تقدمت به لجنة الأسطول بوضع خطة بناء أسطول ألماني تم تقديمها من قبل الأمير هاينرش ادلبرت(٣) (H.Adalbert) ١٨١١-١٨٧٣م البروسي والتي أضحت أساس نقاشات برلمان فرانكفورت ، وأيدت لجنة الأسطول في البرلمان هذه الخطة وتبنتها على شكل مرسوم صادر بالإجماع من البرلمان(٤).

---

(1) Huber, **Deutsche Verfassungsgeschichte seit 1789**, Band. 2, S. 655-556.

(2)Huber, **Deutsche Verfassungsgeschichte seit 1789**, Band. 2.S.556.

(٣) هو الأمير البروسي (Prinz Heinrich Wilhelm Adalbert von Preußen) وهو الأخ الأصغر للملك فريدريش الرابع ،وقائد الأسطول البروسي،وأحد اكبر مؤسسيه،وعمل وزيرا للحربية سنة ١٨٥٨م،وقاد الحرب مع الدنمارك بصفته قائدا للأسطول الألماني ١٨٦٤م.

Wiechmann ,Gerhard, **Die preußisch-deutsche Marine in Lateinamerika 1866 - 1914: eine Studie deutscher Kanonenbootpolitik**, Kap. 2. Diss., Oldenburg 2000, S. 24ff.

(4)**(SBVDKN)**.Band.II.S.1057ff. Adalbert,Wilhelm von Preußen(1811-1873):,**Denkschrift über die Bildung einer deutschen Flotte**,Berlin,1848.S.4-5;

بدأت مناقشات ادلبرت ببعض الإشارات إلى الصراع مع الدنمارك والأكثر أهمية الإشارة إلى الأهداف الحقيقية وراء بناء الأسطول البحري"ألمانيا الموحدة تريد بقوة الحفاظ على كرامة دولها ،وتريد أن يحترم علمها،وأن ترى تجارتها تزدهر من جديد وفي المستقبل أن تعد نفسها للبحار،على هذا النحو الأمة بكاملها تريد أسطولا ألمانيا والذي يجب أن يكون ألمانيا بالكامل يمثل حقيقة إعادة ولادة وحدة أرض الآباء"(١).بعد ذلك عرضت ثلاثة نماذج مقترحة لبناء الأسطول :أسطول قادر على الدفاع عن سواحل البلاد.أسطول ذا قدرات هجومية قادر على الدفاع عن تجارة البلاد.أسطول مستقل من الدرجة الأولى قادر على منافسة الأساطيل البريطانية والفرنسية والروسية وقادر على التدخل في أي منطقة يطلب منه ذلك(٢).

رحب البرلمان بالمقترحات التي قدمها ادلبرت وظهر كصوت واحد في هذا الاتجاه الذي يصب في وحدة الأمة الألمانية وأكد النواب في نقاشاتهم على أن الأمة الألمانية تحتاج مستقبلا إلى أسطول قوي يساهم في تشكيل رايخ عالمي،وكما رأوا أن الأسطول هو الابن الحقيقي الذي سوف يجعل الأمة الألمانية حرة وديمقراطية وفي مصاف الأمم الحرة الكبرى كما أشار يورج دوبلر (Jörg Duppler) ،فمن بين جميع الاتجاهات داخل البرلمان وحده هيرمن قروبيرت (Hermann Grubert) من بريسلاو (Breslau)عارض فكرة إنشاء الأسطول وبالرغم من ذلك فقد قال"إن الأسطول الألماني يجب أن يكون الإشارة الأولى لوحدة ألمانيا"(٣).

٤-٤-٢.الدستور الألماني(Verfassung des Deutschen Reiches) :

قرر البرلمان في جلسته يوم ٢٤ أيار١٨٤٨م تشكيل اللجنة الدستورية من ثلاثين عضوا وكان أغلب أعضاء اللجنة من ليبرالي الوسط ،وكان تمثيل اليسار فيها محدودا إلاّ أن تأثيرهم كان كبيرا.لعبت ثلاث شخصيات في اللجنة دورا محوريا ورئيسيا :فريدريش دالمان،فريدرش بيكر ودرويسون(٤) (Johann Droysen)١٨٠٨-١٨٨٤م من برلين.وكان لدالمان الأثر الأكبر بصفته وخبرته الأكاديمية في النظرية الدستورية حتى أنه يُعد بحق أبا الدستور الألماني ،وأما الآخران

---

(1) Ibid,S.27.

(2) **(SBVDKN)**.Band.II,S.34.

(3) Adalbert, **Denkschrift über die Bildung einer deutschen Flotte**,S.34-35; **(SBVDKN)**.Band .II.S.1077.

(٤) سياسي ومؤرخ بروسي درس الفلسفة والفيلوجيا في برلين وأحد أبرز أساتذة جامعة كيل ،وظهر اسمه خلال احداث شلسفيج –هولشتاين وهو من ليبرالي الوسط "الكازينو" في برلمان فرانكفورت .لعل أبرز مؤلفاته تاريخ بروسيا السياسي صدر سنة ١٨٥٥م.ولعب دورا في العديد من اللجان الأكاديمية في بروسيا.

Schieder ,Theodor, **Johann Gustav Droysen** (ADB). Band 48. 1904, S. 82-114.

فكانا خبيرين في النظرية الدستورية .بالإضافة لهم كان هناك من المحافظين هيرمان بيسلر[١] (Hermann Beisler) ١٧٩٠–١٨٥٩م.وكانت اللجنة برئاسة ماكسيمليان قريتسنر[٢] (Maximilian Joseph Gritzner)١٧٩٤–١٨٧٢م ومثل اليمين المحافظ الفيلسوف ايرنست فون لاسو[٣] (Ernst von Lasaulx)١٨٠٥–١٨٦١م وهو يميني كاثوليكي محافظ[٤].

قررت اللجنة الدستورية في الجلسة الثانية يوم ٢٦ أيار تشكيل لجنة فرعية للنظر في الحقوق الأساسية للشعب الألماني والتي استمرت في عملها حتى نهاية تموز حيث أخرجت لائحة الحقوق الأساسية والتي رفض البرلمان التصديق عليها بحجة أنها تحمل توجهات راديكالية .ولكن اللجنة واللجان الفرعية بضغط من حركة الشارع الذي كان متلهفا لكي يسمع من البرلمان قيامه بخطوات عملية نجد أنه في الثالث من تموز عام ١٨٤٨ م يعيد النظر في لائحة الحقوق ويعلنها للناس كالتزام من البرلمان بالقضايا الألمانية [٥] .من جانب آخر أثارت اللجنة الدستورية عدة مسائل وملفات تسببت في زيادة الجدل و الخلاف حولها وخاصة فيما يتعلق برئاسة الدولة والسلطات الثلاث:التشريعية والتنفيذية والقضائية وتحديد صلاحيات كل منها .وبعد مخاض طويل حقق البرلمان أكبر انجازاته بوضع الدستور الألماني الذي تم تضمينه لائحة الحقوق الأساسية .

---

[١] وهو سياسي وعسكري بافاري درس القانون والتحق بالجيش ،وبعد خدمته العسكرية نشط في المناصب الحكومية البافارية حتى تم انتخابه في برلمان فرانكفورت وكان عضوا في الكافيه ميلان "المحافظين" وترأس المحكمة العليا في بافاريا بعد حل البرلمان .لمزيد من المعلومات انظر:

Heigel ,Karl Theodor von, **Beisler ,Hermann Philipp Joseph**. (ADB). Band. 2, Duncker,1875, S.294.

[٢] صناعي ألماني – نمساوي ،درس القانون في فينا وتقلد العديد من المناصب في الحكومة النمساوية وكان عضوا في جماعة الدونيرسبيرج في برلمان فرانكفورت ،شارك في أحداث ١٨٤٩ في النمسا واعتقل ،وهاجر بعدها إلى كارولينا في الولايات المتحدة.لمزيد من المعلومات انظر:

Dvorak,H., **Biographisches Lexikon der Deutschen Burschenschaft**, Band.1,Teil 2, Heidelberg, 1999.S.15-17.

[٣] سياسي محافظ ومؤرخ تقليدي من كوبلنز ،وبعد رحلة طويلة في جنوب أوروبا ،وحاز كرسي الأستاذية في جامعة فورتزبيرج،وعضوا في أكاديمية بافاريا للعلوم ،ونتيجة لموقفه من لولامونتيز فقد نال شهرة دفعته ليكون عضوا في برلمان فرانكفورت؛وقد كان أبرز ممثلي الكافيه ميلان.وبعد حل البرلمان عاد إلى عمله الاكاديمي.لمزيد من المعلومات انظر:

Stölzle ,Remigius, **Ernst von Lasaulx (1805-1861), ein Lebensbild**,Berlin,1904.

[4] **(SBVDKN)**.Bande.I.S.680-700.

[5] **(SBVDKN)**.Bande.I.S.700-732.

قرر البرلمان القومي الألماني في ٢٨آذار ١٨٤٩م إعلان الدستور على أنه دستور الإمبراطورية الألمانية وجاء في مقدمته:"الإمبراطورية الألمانية تضم دول الكونفدرالية الألمانية باستثناء شلسفيج – التي سيحدد وضعها لاحقا –... الدستور والقانون الألماني قوة ملزمة لكل الدول الألمانية..للدولة الألمانية رئيس واحد على أن يكون مقيما في أحد الدول الألمانية والذي يخضع للدستور الألماني ،ويخضع التاج الإمبراطوري لوصاية البرلمان لحين اختيار الإمبراطور"(١).ولعل أبرز ما جاء في الدستور المواد الآتية:

أ.**التنظيم الداخلي للإمبراطورية**:ولعل أهم ما تضمنه الدستور فيما يتعلق بتنظيم الدولة (٢):

١.تتمتع الدول الألمانية بدستايرها وقوانينها الخاصة على قدم المساواة على أن تكون خاضعة للسلطة الإمبراطورية.

٢.تمارس السلطة الإمبراطورية صلاحياتها الخارجية باسم الدول الألمانية من خلال ممثلين عنها في الخارج ،ولا يحق للحكومات الألمانية أن يكون لها سفراء في الخارج.ويجب على القناصل الأجانب داخل ألمانيا الحصول على أوراق اعتماد من السلطات الإمبراطورية .

٣.للحكومات الألمانية الحق في عقد اتفاقات مع بعضها البعض ،ولكن التوقيع مع جهات غير حكومية يجب أن يكون ضمن قوانين خاصة،على أن لا تتعارض مثل هذه الاتفاقيات مع مصالح حكومات ألمانية أو غير ألمانية أخرى وفقا للقوانين والأعراف الدولية.

٤.السلطات الإمبراطورية بيدها إقرار السلام وإعلان الحرب ،وهي المعنية بالتعبئة العامة إذا دعت الضرورة لذلك .والجيش الإمبراطوري يمثل الجميع،والجيش الألماني هو جيش يستند في تنظيمه إلى حق الدول في الدفاع عن نفسها .والدول التي عدد سكانها أقل من (٥٠٠)ألف نسمة تكون قواتها جزءا من الجيش الإمبراطوري أو أنها تنضم إلى دولة أخرى في عمليات التنظيم العسكري ،والقيادة الموحدة مسؤولة عن النظام العسكري العام والقطاعات العسكرية في الدول المختلفة من خلال المتابعة والسيطرة .وتقوم الدول بشكل فردي بتدريب قواتها ضمن القانون الإمبراطوري ،وتحت إشراف السلطة الإمبراطورية والقوانين المحلية للدولة اعتمادا على الاتفاقيات ألاثنتي عشرة المقرة سابقا مع الدول.وعلى أفراد الجيش في البداية أن يقسموا يمين الولاء للإمبراطور والدستور .

٥. يكون الأسطول بما فيه من سفن حربية وتجهيزات تابعا للدولة بشكل فردي ولها الحق بالكامل عليه،على أن يكون جزءا من عمل ألماني جماعي وقيادته مستقلة عن القوات البرية ،

---

(1) **Verfassung des Deutschen Reiches. vom 28. März 1849**.in:Reichs-gesetz-blatt(RGB), Berlin,1867, S. 101.

(2)(RGB), Artikel 2-67,S. 101-113.

ويتم تنظيم مهامه بالاتفاق ما بين السلطة الإمبراطورية والدولة التابعة على أساس قانون الدولة ،و قيام السلطة الإمبراطورية بتنظيم التجهيزات والتدريب والبناء وبناء الموانئ الخاصة على أسس القوانين الإمبراطورية .الموانئ البحرية والنهرية الألمانية وصيانتها وتنظيمها متروك للدول التابعة لها ،على أن يتم وضع قوانين تنظم الملاحة النهرية والبحرية . وللسفن الألمانية الحرية الكاملة في المرور في جميع الأنهار الألمانية .

٦.تمارس السلطة الإمبراطورية سلطتها الكاملة على السكك الحديدية وعملياتها ،وله الحق في استخدامها لحماية المصالح الألمانية وحركة المرور عبر الحدود ،وقانون الرايخ يحدد تلك الحقوق لاحقا ،وهذا الاستخدام دون مقابل .

٧.السلطة الإمبراطورية هي صاحبة الحق في تشكيل المراكز الجمركية والتجارية على الحدود وتحديد التعرفة الجمركية ،وهي صاحبة الحق في عقد الاتفاقات سواء كانت داخلية أو خارجية لتحديد التعرفة الجمركية .وجميع العائدات الجمركية تصب في الخزينة العامة وسوف يصار وضع قانون لذلك.

٨.السلطة الإمبراطورية هي صاحبة الحق في وضع التشريعات والإشراف على النظام البريدي بما فيه التنظيم والتعرفة والنقل فيما بين المراكز البريدية داخليا وخارجيا على غرار الأنظمة المعمول بها دوليا .و السلطة الإمبراطورية معنية بأنظمة التلغراف وتوصيلها .

٩. السلطة الإمبراطورية هي المعنية بوضع أنظمة وقوانين الأوزان والمقاييس الموحدة وخاصة للذهب والفضة وهي المسؤولة عن البنوك وإصدار العملة الورقية وفقا للقانون الإمبراطوري الخاص بذلك.

١٠. السلطة الإمبراطورية هي المسؤولة عن الإنفاق على جميع مؤسساتها ومجالسها من مصادر الإمبراطورية ،ولها الحق في توسيع مصادر دخلها للقيام بمهامها والتي منها زيادة الضرائب .

١١. تخول صلاحيات المحكمة العليا إلى الإمبراطور بوصفه رئيسا لكافة السلطات شريطة التزام الامبراطور بالضمانات الدستورية والعمل على نشر الأمن والاستقرار والنظام ، والمحكمة العليا معنية بالتدخل في الحالات الآتية:

- تدخل دولة في شؤون دولة أخرى أو تدخلها في السلام الداخلي لها .
- في حالة الخطر على السلم الداخلي أو النظام العام من قبل قوة محلية أو خارجية أو حتى في احتمال حدوث ذلك ؛وفي هذه الحالة فإن تدخل السلطة المركزية سوف يكون فوريا سواء طلبت الدولة ذلك أو لم تطلب ،كما في حالة تهديد المصالح المشتركة أو المس بالدستور الألماني بتغييره بالقوة ،ولم يكن هناك إمكانية لعقد المحكمة العليا على الفور فمن حق السلطة الإمبراطورية التدخل.

- في حالة الاضطرابات المحلية فإن السلطة الإمبراطورية تتدخل في فرض النظام في الإمبراطورية من خلال :المراسيم الصادرة باسمها وإرسال مفاوضين عنها أو استخدام القوة العسكرية على أن يحدد القانون الإمبراطوري هذه الأعمال بقانون .

ب. **القيصر(Das Reichsoberhaupt) :**

استعرض الدستور في القسم الثاني تحت العنوان السابق المواد المتعلقة بتحديد صلاحيات القيصر الألماني ،ولعل أبرز ما جاء فيه المواد الآتية [١] :

١. يترأس الإمبراطورية أمير من الأمراء الألمان ،وتكون الوراثة فيه للابن البكر من خط الذكور،ويحمل عندها لقب قيصر ألمانيا ،ومقر إقامة القيصر الدائم هو مقر إقامة الحكومة ، وشخص القيصر مصون ويمارس صلاحياته من خلال هيئة الوزارة ،وجميع المراسيم الصادرة عنه تحمل توقيع الوزير أو رئيس الحكومة الذي يعتبر مسؤولا عنها .والقيصر هو رأس الدولة ويمثلها خارجيا من خلال القناصل والسفراء .

٢. القيصر بيده إعلان الحرب والسلام ويعقد التحالفات والمعاهدات الأجنبية.

٣. القيصر بيده عقد المجلس التشريعي ،وله الحق في حل البرلمان ،واقتراح القوانين للمصادقة عليها من قبل السلطة التشريعية والتي تعلن باسمه في جميع أنحاء الإمبراطورية،ضمن اللوائح الدستورية.

٤. يصادق القيصر على العقوبات الجنائية وله الحق في تخفيف العقوبة أو إصدار العفو .وهو راعي السلام في الإمبراطورية.

ج.الرايخستاج (Der Reichstag) يتألف من مجلسين:

الأول. مجلس الدول [٢](Staatenhaus) :

١. يتألف من ممثلي الدول الألمانية وعددهم (١٩٢)عضوا على النحو الآتي :بروسيا (٤٠)عضوا ،النمسا (٣٨)عضوا ،بايرن (١٨)عضوا ،سكسونيا ،هانوفر و فورتمبيرج لكل منها ٩ أعضاء .و كورهسن (Kurhessen) دوقية هسن الكبرى ،هولشتاين – شيلسفيق ولكل منها (٦)أعضاء .ماكلينبيرج–شفيرين (٤) أعضاء .دول لها ثلاثة أعضاء: لوكسمبورج–ليمبورج(Luxemburg–Limburg) وناسو . دول لها عضوان :براونشفايج واولدينبورج. دول لها عضوا واحدا: سكسونيا – فايمار ،سكسونيا –كوبيرج– جوتا ،سكسونيا– ماينجن– هيلدبيرجهاوزن ،سكسونيا– التنبيرج ،ماكلينبورج– شتريليتز (Mecklenburg–Strelitz) انهلت– ديساو (Anhalt–Dessau) انهلت – بيرنبورج(Bernburg) ،انهلت– كوتن(Köthen) شفارتزبورج–

---

[١] **(RGB)**, Artikel 68-84,S. 113-116.

[٢]**(RGB)**, Artikel 85-93,S. 116-126.

سوندرهاوزن ،شفارتزبورج – رودلشتادت (Schwarzburg–Rudolstadt) هوهنتسولرن– هيشنيجن ،ليشتن شتاين ،هوهنتسولرن–سيجمارينجن،فالدك(Waldeck) رويس التره لينيه (Reuß ältere Linie) ،شاومبورج– ليّبه(Schaumburg–Lippe) ،ليّبه–ديتمولد(Lippe–Detmold) هسن–هومبورج (Hessen–Homburg)لوبيك ،فرانكفورت بريمن وهامبورج.

٢. ما دامت الأراضي الألمانية النمساوية خارجة عن سلطة الدولة الاتحادية ،سوف يوزع الأعضاء التابعون لها على الدول التالية ليصير لها :بافاريا (٢٠)، سكسونيا (١٢)،هانوفر(١٢)، فورتمبيرج (١٢)،بادن (١٠)،دوقية هسن الكبرى (٨)،كورهيسن(٧) ، ناسو (٤) ،هامبورج (٢).

٣. تقوم الدول الألمانية بتعيين نصفهم وتقوم المجالس البرلمانية المحلية بتعيين النصف الآخر ،وفي حالة وجود عدد من المقاطعات أو الدول التي ليس لها دستور وتنظيم برلماني تقوم هذه الدول أو المقاطعات بتعيين الأعضاء جميعهم .

٤. يعين الأعضاء لمدة ست سنوات ويجدد نصفهم كل ثلاث سنوات،وتكون مهامهم التعاون مع المجلس المنتخب من الشعب والحكومة وتمثيل مصالح الأمة الألمانية.

٥. يجب أن تتوافر في العضو المعين الشروط التالية :أن يكون مواطنا في الدولة التي عينته وأن يكون قد أتمّ ٣٠ سنة ميلادية بالكامل ،وأن يكون متمتعا بالحقوق المدنية والسياسية لتلك الدولة.

الثاني.مجلس الشعب[1](Volkshaus) :

١. يتألف من ممثلين عن الشعب الألماني ينتخبون لمدة أربع سنوات على أن يحدد فيما بعد قانون انتخابي عام .

٢. تكون قرارات مجلس الشعب ملزمة للحكومة بتنفيذها.

٣. لا يجوز ازدواجية العضوية في المجلسين.

٤. تتخذ القرارات في كلا المجلسين بالنصف زائد واحد ،ويسقط القرار في حالة تساوي الاصوات على أن يكون نصاب الجلسة مكتملا بحضور النصف.

٥. التصويت على منح الثقة للحكومة يكون بالنصف زائد واحد ،ويجوز التصويت بالثقة على وزير واحد،ويتوجب على الحكومة عرض ميزانيتها على المجلس للحصول على الموافقة عليها .

---

(1) **(RGB)**, Artikel 94–103,S. 126–130.

يجتمع الرايخستاج الموحد مرة واحدة كل سنة بحضور الحكومة ،وتعقد الجلسة برئاسة القيصر ،ويمكن أن يجتمع في أي وقت آخر إذا دعت الضرورة لذلك.للقيصر الحق في حل الرايخستاج على أن يعقد الرايخستاج الجديد خلال ثلاثة أشهر .ويجب على كلا المجلسين انتخاب رئيسه ونواب للرئيس ،والجلسات التي تعقد للمجلسين هي جلسات مفتوحة للعموم يتمتع الأعضاء في المجلسين بالحصانة الكاملة ما لم يرفع المجلس المعني عنه الحصانة .ومن حق أي عضو في المجلسين توجيه المسائلة لأي وزير ويجب على الوزير الرد في اقرب وقت [١].

د.المحكمة العليا (Das Reichsgericht) :

يرتبط عمل السلطة القضائية العليا في الرايخ ومهامها المحددة بالنظر في المسائل المتعلقة بتفسير وتعديل القوانين الإمبراطورية ومدى مطابقتها للدستور،والنظر في إصدار السندات المالية أو في حالة فرض ضرائب خارج إطار الميزانية،وفي منح الأذون للسفن الأجنبية في الملاحة الداخلية النهرية أو في حدود المياه الإقليمية الألمانية.وتتدخل المحكمة العليا في الحالات الآتية[٢]:

١. قيام دولة بالتعدي على الحكومة الإمبراطورية وعدم التزامها بالقوانين والأنظمة والتشريعات الصادرة عنها أو مخالفتها للدستور .

٢. الخلافات التي قد تنشأ ما بين مجلس الشعب ومجلس الدول أو بين أيّ منهما مع الحكومة.

٣. الخلافات التي قد تنشأ ما بين حكومة أي دولة مع مجلس الشعب المحلي فيما يتعلق بالمسائل الدستورية .

٤. الجرائم المتعلقة بالوزراء الذين لا زالوا على رأس عملهم .

٥. المشكلات التي قد تظهر ما بين أي دولة وأخرى أو دولة ومجموعة دول حول مسائل تتعلق بالحدود والمصالح المشتركة أو تفسير اتفاقيات قائمة ما بين الدول الألمانية .

هـ. الحقوق الأساسية للشعب الألماني(Die Grundrechte des deutschen Volkes)

جاء في مقدمة الإعلان الذي ضُمّن في الدستور:"يكفل الدستور الألماني الحقوق الواردة والتي يجب أن تضّمن في الدساتير المحلية ،وأن أي دستور أو تشريع يجب ألا يناقض هذه الحقوق..." [٣] ولعل أبرز ما جاء فيه[٤]:

١. يتألف الشعب الألماني من المواطنين في الدول الألمانية التي تؤلف دول الرايخ الألماني .

---

[1][1]**(RGB)**,,Artikel ,104-112,S. 130-131

[2] **Ibid,**Artikel ,104-112,S. 131-133.

[3]**Ibid**, Artikel, 130,S.133.

[4]**Ibid**,Artikel, 130-190,S.133-144.

٢. كل ألماني له الحق في المواطنة الكاملة في الرايخ،وهذا الحق يكفل له ممارسة السلطة في دولته ،والحق في انتخاب البرلمان القومي .

٣. لكل مواطن ألماني الحق في الإقامة والتملك في أي منطقة داخل الرايخ .

٤. لا يسمح لأي دولة ألمانية أن تقيم أي فروق في المعاملة والحقوق ما بين الألمان أو أن تعتبر القادمين من دولة ألمانية أخرى أجانب .

٥. وقف العمل بعقوبة الإعدام بكل صورها .

٦. المساواة الكاملة أمام القانون بين جميع الطبقات ،وإلغاء جميع الحقوق والألقاب والامتيازات الخاصة لأي فئة كانت ؛فالألمان جميعا سواسية أمام القانون.

٧. الخدمة العسكرية واجب على الجميع بشكل متساو ،والتجنيد فردي وإلزامي على الجميع .

٨. الحرية الشخصية مصونة ،ولا يجوز اعتقال أي مواطن إلا بإذن من المحكمة ،وفي حالات إلقاء القبض يجب الحصول على الإذن خلال أربع وعشرين ساعة على أن يعرض في اليوم التالي لاعتقاله على المحكمة .

٩. لا يجوز تفتيش أي بيت إلاّ بإذن خطي من المحكمة أو لسبب يقنع المحكمة في اليوم التالي لعملية التفتيش.ويجب أن يكون التفتيش بحضور صاحب المنزل .

١٠. سرية المراسلات البريدية ،وفي الحالات الجرمية على التحقيق أن يسير بالقواعد القانونية المتبعة بالحصول على الإذن من المحكمة .

١١. لكل ألماني الحق في التعبير بالكلمة ،الكتابة ،الطباعة وتوزيع الصور والمنشورات.

١٢. حرية الصحافة مصونة ،ويمنع ممارسة أي نوع من الرقابة عليها والتي من ضمنها قوانين السلامة والأمن،والأنظمة الحكومية ،أو فرض قيود على الطباعة أو تجارة الكتب أو فرض قيود على انتقالها عبر البريد .

١٣. ضمان حرية الاعتقاد فليس هناك ما يلزم المواطن عن كشف معتقداته الدينية ،وله الحق في ممارسة شعائره الدينية في إطار حريته الشخصية داخل منزله أو معبده. ولكل مواطن الحق في التمتع بالحقوق السياسية والمدنية بغض النظر عن دينه أو معتقده ،واعتناقه لدين معين لا يحرمه من هذه الحقوق .ولكل جماعة دينية الحق في إدارة شؤونها بنفسها شرط أن تكون خاضعة للقوانين العامة للدولة ،ولا توجد أي امتيازات خاصة لأي جماعة دينية .وعقد الزواج المعترف به هو العقد المدني الذي يحمل موافقة الدولة ويمكن عمل احتفال ديني بعد ذلك.

١٤. العلم والتعليم مجاني ،وتحت إشراف الدولة بما فيها التعليم في المدارس الدينية ،وتُعين الدولة المعلمين والموظفين العموميين.

١٥. كل مواطن ألماني له الحق في التقدم بشكوى خطية إلى السلطات وممثلي الشعب.

١٦. للمواطنين الألمان الحق في التجمع الحر بصورة سلمية دون الحاجة إلى الإذن المسبق

من السلطات بذلك،إلا في حالة وجود خطر على النظام العام .

١٧. الألمان لديهم الحق في تأليف الجمعيات السياسية السلمية.

و. كفالة الدستور (Die Gewähr der Verfassung):

اختتم الدستور بمجموعة من الكفالات الدستورية لعل أبرزها(١):

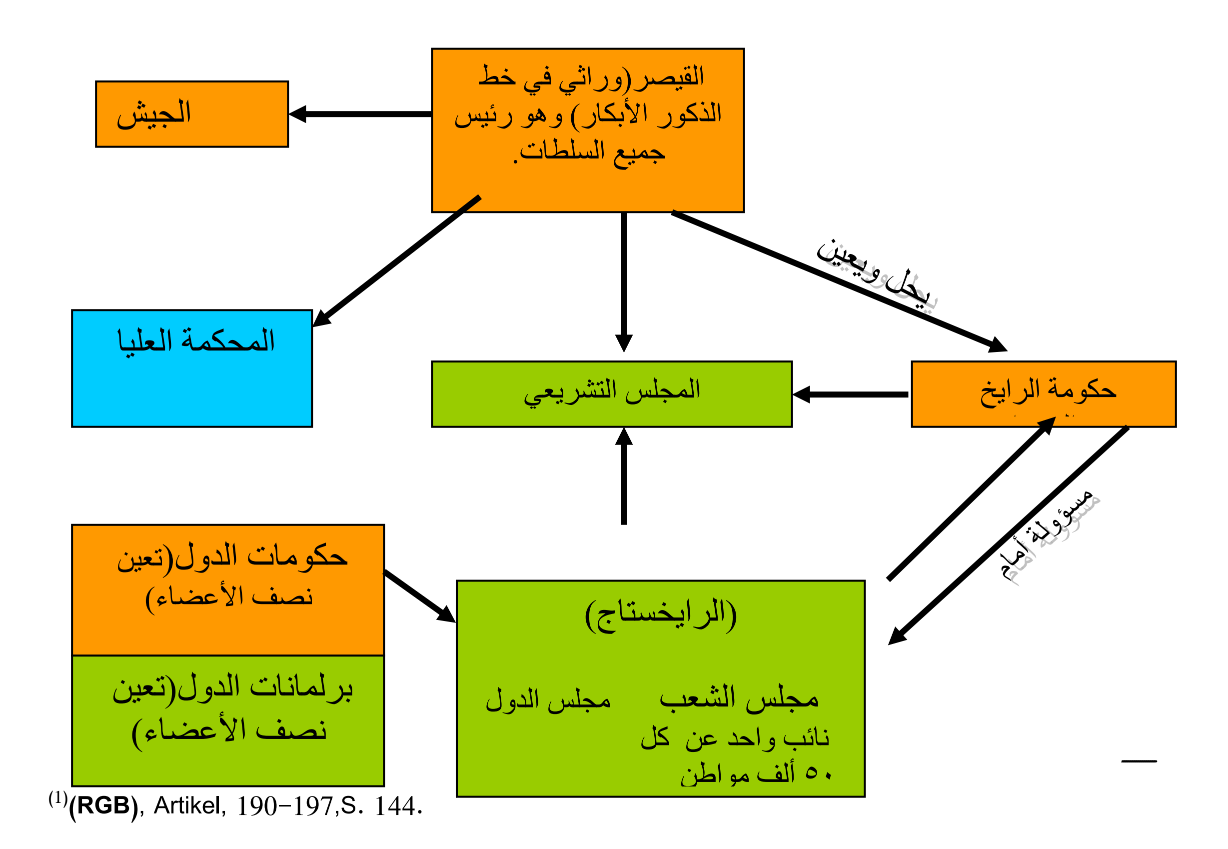
١. كفل الدستور أنه مع كل تغيير وزاري يتم داخل الرايخ ،فعلى القيصر أن يدعوا الرايخستاج للانعقاد ،حيث يعيد الإمبراطور تأدية قسم الولاء للدستور و نص القسم :" اقسم على حماية الإمبراطورية وحماية حقوق الألمان ،واحترام الدستور وتحمل المسؤوليات بكل إخلاص.ساعدني يا رب".

٢. كفل الدستور بأن يؤدي الوزراء وكبار الموظفين القسم عند استلامهم مهامهم .

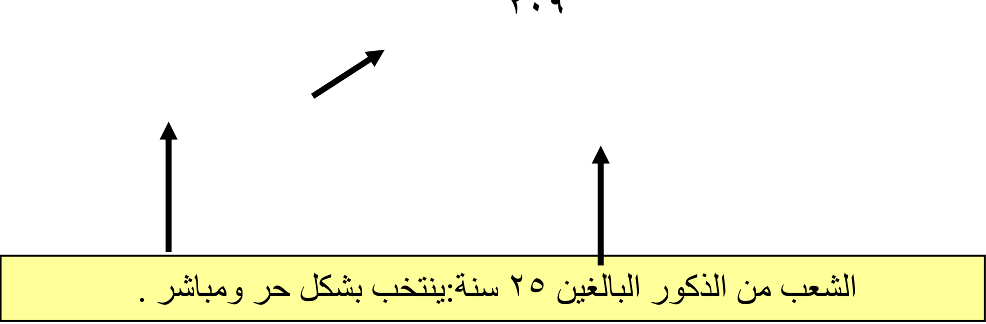
٣. كفل الدستور بأنه لا يمكن تغيير الحكومات في الدول الألمانية دون موافقة السلطة الإمبراطورية ،وغير ذلك يتطلب تغييرا في الدساتير المحلية .

٤. كفل الدستور بأنه لا يمكن تعديل الدستور إلا بموافقة الرايخستاج والقيصر معا .

وفيما يلي الشكل التوضيحي لهيكل نظام الرايخ السياسي :



(1)**(RGB)**, Artikel, 190-197,S. 144.



٤-٥-١.فريدرش الرابع والتاج الإمبراطوري:

أظهرت أحداث فرانكفورت في أيلول ١٨٤٨م في أعقاب معاهدة مالمو بداية التراجع للبرلمان القومي أمام ما سماه كارل ماركس بالثورة المضادة[١]، التي بدأت في النمسا في سعيها للقضاء على الثورة الهنغارية ،والتي انطلقت في تشرين أول ١٨٤٨م ،فقد أرسلت النمسا جيشها إلى هنغاريا تاركة فقط ما يحفظ الأمن العام ،مما أعطى الراديكاليين الديمقراطيين الفرصة للقيام بالثورة ،ولكن فشل الثورة أعطى قوة كبيرة لفرض الأحكام العسكرية على البلاد .وكان موقف برلمان فرانكفورت إلى جانب النمسا وضد الثورة أو ما سماه البرلمان المحاولة الانفصالية في جلسته في ١٢ تشرين أول[٢] .

على الجانب الآخر بقيت أثار ثورة آذار حاضرة في نفوس الألمان ، وارتفعت الأصوات العالية عبر تنظيمات سياسية راديكالية بالرغم من أنها ذات طابع إقليمي ولكنها كانت تنذر بالخطر على الأنظمة السياسية التي كانت استسلمت في آذار ،ولكنها بدأت تحضير نفسها لمعركة حاسمة (أي الأنظمة السياسية)، ففي منطقة الراين نشطت مثل هذه الحركات فقد هاجم يوليوس فولف (J.Wulff) أحد الراديكاليين في ماينز تلك الأنظمة قائلا:"إن ثورة آذار ١٨٤٨م تركت اللصوص وقطاع الطرق في مراكزهم ...جامعي الضرائب لصوص مثلهم مثل الأمراء"[٣].وقال كيفن هايمر(K.Heimer) وهو أحد الديمقراطيين الراديكاليين في بلاتنيا :"الأمراء وكبار موظفي الدولة يأخذون النصيب الأكبر من الضرائب ،الملك وحده ينفق أكثر من ٢مليون تايلر سنويا وهي ما تعادل نفقات ١٠آلاف أسرة فقيرة..." [٤].وفي بيان صدر في الثالث من تشرين الأول١٨٤٨م عن اجتماع في بلاتنيا قالوا فيه عن خطط برلمان فرانكفورت:"إذا كان

---

[1] Marx in:**Neue Rheinische Zeitung, Nr:104,11 Oktober,1848**.

[2] **(SBVDKN)**.Band.IV.S.2557ff.

[3] J.Wulff :Sperber, **Rheinland Radicals**, p.257-258.

[4] K.Heimer in:Sperber, **Rheinland Radicals**, p.257-258.

(٣٤) أميرا كل واحد بحكومته وحاشيته وجيشه لا يكفون فإن برلمان فرانكفورت باختياره النظام الملكي ...فإنه يضيف نظاما جديدا آخر وهو آخر ما تحتاجه البلاد..." [١].

كانت كل هذه الأحداث مقدمة نحو الأزمة في برلين ،فنظرية الوفاق التي طرحها كامبهاوزن رئيس وزراء بروسيا ما بين اللاندتاج الموحد والملك كانت هدنة مؤقتة ،كما أن الدستور البروسي لم يقر بعد ،بالتالي فأن الملك كان لا يزال مطلق التصرف ،فقد حلّ الوزارة وعين وزارة جديدة برئاسة قائد حرس برلين هاينرش أدولف الذي كان سببا في اشتعال ثورة آذار الدموية في برلين ،وكان ذا سمعة سيئة عند أهالي برلين وخاصة لليساريين في اللاندتاج البروسي[٢] .

تسارعت الأحداث في هذه المرحلة إذ كان برلمان فرانكفورت في سباق مع الزمن وخاصة بعد رفض النمسا التاج الذي اقترحه البرلمان ،وظهور انتصار الرجعية من جديد في برلين وفينا .قام البرلمان بإرسال وفد برئاسة باسرمان إلى بروسيا للتوسط ما بين الحكومة والبرلمان في الفترة ما بين (٩-١٤) تشرين الثاني حيث كانت الازمة ما بين الحكومة والمعارضة في أوجها،حيث عمل الوفد خلال هذه المرحلة على امتصاص نقمة الغاضبين من البرلمان وبخاصة الراديكاليين ،ولكن السلطات البروسية لم تعطه الفرصة بل عملت على تأجيج الموقف وخاصة مع الجناح اليساري ،مما أدى إلى فشل الوفد في مهمته .وقدم باسرمان تقريره إلى البرلمان حيث أعرب عن أسفه لما شاهده أمام مبنى اللاندتاج وكيفية معاملة اليساريين من البرلمانيين [٣].أدى ذلك إلى الاصطدام ما بين الحكومة واللاندتاج الموحد على خلفية منع الحكومة انعقاد جلسات الأخير ،فأعلنت حركة عصيان مدني يوم ١٥تشرين ثاني ١٨٤٨م:"اعتبارا من اليوم دفع الضرائب ملغى ويعد دفع الضريبة خيانة .وعدم الدفع الواجب الأول على كل مواطن ... "[٤].

أرسلت الحكومة المركزية وفدا جديدا إلى برلين لمقابلة جناحي اللاندتاج اليمين واليسار في محاولة لتسوية الخلاف بعد استقالة باسرمان .وصلت اللجنة برئاسة نائب رئيس البرلمان الكسندر سايمون يوم ٢٠ تشرين الثاني ،وفور وصوله أرسل يقول أن الموقف معقد ويحتاج إلى تدخل رئيس البرلمان شخصيا أيّ جاجرن[٥].جاجرن من جانبه توجه بتكليف من البرلمان إلى برلين حيث سعى على المستوى الشخصي لإقناع الملك فريدرش الرابع بضرورة الاستجابة

---

[1]Landeshauptarchiv in Koblenz **(LAK).441.Nr.12929.3 November,1848**.

[2] **Neue Rheinische Zeitung, Nr:145,17 November,1848**.

[3] **(SBVDKN)**.Band.V.S.3407-30.

[4] **Neue Rheinische Zeitung, Nr:145,17 November,1848**.

[5]**(SBVDKN)**.Band.V.S.3505-16.

للبرلمان بإقرار الدستور ،بهدف تحسين صورة الملك أمام البرلمان من جهة وتحسين صورته أمام الشعب الألماني من جهة أخرى ،وذلك لكي يصل إلى هدفه الآخر– بدون تفويض من البرلمان – بعرض التاج الإمبراطوري على الملك موضحا له أنه يملك أغلبية في المجلس قادرة على إقرار هذا العرض ،و يريد موافقته المبدئية لكي يطرح ذلك بقوة على البرلمان [١].

تفاجأ جاجرن من ردة فعل الملك فريدرش على عرضه له بالتاج الإمبراطوري ،حيث عاد جاجرن بخفي حنين ،ولكنه حصل من بعض الدوائر القريبة من العائلة المالكة وخاصة الأخ الأصغر للملك الامير كارل ؛الذي أكد لجاجرن على أنه سوف يبذل أقصى جهده لكي لا يذهب التاج الإمبراطوري خارج عائلة الهوهنتسولرن وأن الحكومة البروسية تدعم هذا التوجه[٢] .

كانت اللجنة الدستورية تسعى جاهدة في ظل هذه التناقضات إلى بلورة الدستور في أقرب وقت ممكن ،وتأثرت بطبيعة المفاوضات الجارية وخاصة مع استقالة العديد من النواب النمساويين أمثال شميرلنج(Anton Ritter von Schmerling) ١٨٠٥–١٨٩٣م الذي أقصي من رئاسة الحكومة على خلفية التوجهات التي قادها رئيس البرلمان جاجرن تجاه بروسيا ،والطرح الأقرب لصالح ألمانيا الصغرى بدون النمسا ،وأصبح جاجرن رئيسا للحكومة بعد استقالته من رئاسة البرلمان ليعمل على تنفيذ مخططه بعرض التاج الإمبراطوري على بروسيا ،لذا سعى بكل قواه لتكون رئاسة الدولة الألمانية بصلاحيات أكبر من أجل إرضاء الملك البروسي ليوافق على التاج [٣].

بعد مفاوضات طويلة وشاقة بين كانون الثاني وحتى نهاية آذار ١٨٤٩م حول مشروع الدولة والرئاسة والحقوق الدستورية وتقديم اقتراحات مختلفة ،تمت الموافقة على اقتراح جاجرن و سيمسون(Eduard Simson) ١٨١٠–١٨٨٨م بإقامة ملكية دستورية بقيادة ملك بروسيا بفارق (٤) أصوات فقط (٢٦٧) ضد (٢٦٣) يوم ٢٧ آذار ١٨٤٩م ،وفي اليوم التالي ٢٨ آذار تم إعادة الانتخابات حيث حصل العرض على (٢٩٠) صوتا مقابل (٢٤٨) صوتا معارضا من الجمهوريين واليساريين بالإضافة إلى أنصار ألمانيا الكبرى النمساويين[٤]،وتم تبرير مثل هذا القرار من قبل أنصار ألمانيا الصغرى من الليبراليين الدستوريين وبعض المحافظين بالتأكيد على كلمة الملك البروسي "نداء إلى شعبي والأمة الألمانية "والتي قال فيها بذوبان بروسيا في ألمانيا،

---

[1]**(SBVDKN)**.Band.V.S.3537-40; Reininghaus, Wilfried und Axel Eilts, **Fünfzehn Revolutionsmonate. Die Provinz Westfalen vom März 1848 bis Mai 1849. Für Freiheit und Recht. Westfalen und Lippe in der Revolution 1848/49.** Münster, 1999. S.32-37.

[2] Reininghaus, **Fünfzehn Revolutionsmonate.** S.65-73.

[3]**(SBVDKN)**.Band.VI.S.4220-25.

[4]**Ibid,**Band.VIII.S.6025-30.

وكذلك الإعلان الصادر عن الكونفدرالية الألمانية بأن الملك البروسي لن يعارض قبول التاج الإمبراطوري ،بضغط من الحكومة البروسية وأعضاء الرايخستاج يوم ٢٣ شباط ١٨٤٩م[١] .

قرر برلمان فرانكفورت يوم ٣٠ آذار ١٨٤٩م انتداب وفد(Die Kaiserdeputation) إلى الملك فريدرش الرابع مؤلفا من (٣٢) عضوا برئاسة سيمسون في مسعى لإقناع الملك بما تم الموافقة عليه بحل ألمانيا الصغرى [٢]،ولكن رفض الملك للعرض قضى على مساعي البرجوازية الألمانية ومفهوم الوحدة من الأسفل ،وعلى الجهود الكبيرة للدستوريين الذين علقوا آمال كبرى على إلزام الدول الألمانية بالموافقة عليه،كما قوض جهود الملكيون الدستوريون"الكازينو" في هذا الأمر .

من جانب آخر كانت بروسيا قد بدأت تقرأ ملامح جديدة في التغير على الصعيد الألماني بعد أن وافقت الممالك الألمانية الرئيسة بافاريا وفورتمبيرج وساكسونيا وهانوفر على المسودة الأولى من الدستور ،وحاول أعضاء من السلطة المركزية التابعة للبرلمان التحالف مع بروسيا لبناء تحالف ضد الاتجاه الراديكالي اليساري ؛مدعيّن أن مثل هذا الحل سوف ينقذ بروسيا ويعطيها فرصة تاريخية في قيادة ألمانيا كملكية برلمانية دستورية [٣]. ولكن فريدرش الرابع ذا الشخصية المتقلبة المؤمنة بالحق الإلهي بالحكم اعتبر نفسه قد هزم أمام المد الثوري في آذار وأُجبر على القبول بعقد اللاندتاج الموحد ،فالتاج الملكي بالنسبة له بعيد المنال وهو غير راغب فيه وخاصة من برلمان ديمقراطي، فهو كما أخبر رادوفيتز في ٢٣ كانون الأول ١٨٤٨:"إنه تاج متسخ بالوحل والطين الريفي...كل نبيل ألماني قاد المعارك أو دخل الجيش لن يقبل إكليلا ملطخا بالوحل وطين الثورة ،والتي هي خيانة للثقة والولاء ...فالتاج القديم منذ ١٨٠٦م هو تاج الأمة الألمانية الذي هو منحة من الله ...فالتاج هو من حق الإمبراطور فرانتس جوزف الأول ،والذي يعود له وليس لأحد غيره !فويل له إن وافق وويل لنا إن وافقنا ..." [٤].

بالإضافة إلى ذلك كانت مكانة الليبراليين في تراجع وخاصة مع صعود الجناح اليساري مثل فريدرش هيكر وسترافو أو كارل ماركس من خلال مطالبهم الثورية الراديكالية ، مما أضعف خصومهم من جماعة الكازينو أو المحافظين أو الملكيين الدستوريين .وفي ٣ نيسان ١٨٤٩م أعلن فريدرش الرابع في برقية إلى الوفد المجتمع في برلين أنه لن يقبل عرضهم إلا إذا وافق عليه

---

[1]**Ibid,**Band.VIII.S.6060-65.

[2]**Ibid,**Band.VIII.S.6090-6000.

[3]**(SBVDKN).**Band.VIII.S.6122-30.

[4] **Der Köng von Preußen Friedrich IV in** : Reininghaus, **Fünfzehn Revolutionsmonate**. S.72-73.

الأمراء والملوك الألمان بمن فيهم رؤساء المدن الحرة [١]،وبنفس الموضوع كتب إلى ملك هانوفر "الإجابة المناسبة لهذا الوفد هي الرفض لم يكن هناك إمكانية لقولها له...فهذا التاج المعروض من كنيسة بولس ليس تاجا وإنما هو طوق كلب يريدون أن يربطوني به بعد ثورة ١٨٤٨م..." [٢].

بعثت الحكومة البروسية في ٢٨ نيسان رسالة إلى الحكومة الانتقالية في فرانكفورت تضمنت التفاصيل التي دفعت الملك لرفض العرض والتي دارت في مجملها حول موقف الأمراء الألمان الآخرين الذين يجب أن يعترفوا أولا بالملك البروسي إمبراطورا عليهم ،وأن مثل هذا الاعتراف يلقى معارضة ،بالإضافة إلى بعض المسائل المتعلقة بالدستور الذي لا يعطي حقوقا كافية للإمبراطور لإحداث التغيرات المطلوبة[٣].

أدرك الملك طبيعة برلمان فرانكفورت وكيفية وصوله للقرار من نقاشات وتصويت داخل البرلمان ،فالقرار لم يحصل على الأغلبية الكبرى وإنما تم تمريره بشق الأنفس ،هذا إذا أخذنا طبيعة الملك المترددة وتصوراته السابقة التي اتضحت بصورة لا تقبل الشك بأنه لن يقبل كما قال سابقا بورقة تحدد العلاقة ما بينه وبين شعبه فهو خيار الإرادة الإلهية. فرفض التاج الإمبراطوري كان النهاية لما يسمى بثورة آذار ونهاية لبرلمان فرانكفورت وفشلا ذريعا له، ومثّل هزيمة مذلة لليبراليين الاصلاحين مما أدى في النهاية إلى انهيار كل الجهود التي بذلت من أجل الوحدة الألمانية ،ففكرة الوحدة الألمانية من الأسفل فشلت فشلا ذريعا ودفعت بسمارك الذي قاد الوحدة من الأعلى ما بين ١٨٦٦-١٨٧١م ،ليقول:"ألمانيا لا تنظر إلى بروسيا بوصفها دولة ليبرالية ،فورتمبورج وبادن وبافاريا تمثل هذه الليبرالية ،إلاّ أن أحدا لا يتطلع إليها...ولكن تنظر إلى ما تمثله من قوة ،إن بناء ألمانيا ووحدتها لن يتم من خلال الأغلبية والخطابات هذه كانت غلطة ثورة ١٨٤٨-١٨٤٩م وبرلمان فرانكفورت بل من خلال الحديد والنار..." [٤].

---

[1] **Erwiderung König von Preußen Friedrich IV an die Deputation der deutschen Nationalversa-mmlung 3-4-1848**.in :Huber,**Dokemente,** Band.I. S.405.

[2] **Der König von Preußen Friedrich IV zur Hanovr König in:** Reininghaus, **Fünfzehn Revolution-smonate.** S.773.

[3] **Die endgültig Preußische Ablehnug der Reichsverfassung 28-4-1848**. in:Huber,**Dokumente**, Band.I. S.412ff.

[4]Bismarck, Otto von, **Reden 1847-1869**. Wilhelm Schüßler, Band. 10, **Bismarck: Die gesammelten Werke**.Hermann von Petersdorff. Otto Stolberg, Berlin, 1924-35.S. 139-40.

٤-٥-٢.انتقال مقر برلمان فرانكفورت (البرلمان الشكلي[١] Rumpfparlament).

بسبب رفض الملك البروسي لقرار البرلمان والعرض المقدم من وفد البرلمان بأن يترأس الدولة الألمانية ،وبسبب تلكؤ الدول الألمانية في تبني الدستور الذي أقره البرلمان أصبح البرلمان بحكم المنتهي ؛فالممالك الكبرى مثل:بروسيا والنمسا وبافاريا وسكسونيا وأيضا هانوفر أمرت نوابها بالانسحاب من البرلمان .فاجتمع من تبقى من البرلمان وكان عددهم (١٥٤) نائبا برئاسة الرئيس الجديد للبرلمان فيلهلم لوفه (W. F. Loewe) ١٨١٤-١٨٨٦م- طبيب ليبرالي يساري تم اختياره بسبب استقالة الرئيس الأخير للبرلمان ثيودور ريه[٢](Theodor Reh) - والذين تقلص عددهم مع تصاعد أعمال العنف في بادن وسكسونيا وبلاتنيا إلى مئة عضو كانوا في أغلبهم من الجناح اليساري ،مما حمل السلطات البروسية على طردهم .وكان قد سبق ذلك قرار من مجموعة من النواب على رأسهم جاجرن ودالمان بالاستقالة في ١٥ أيار، وفي ٣٠ أيار وافق بقية نواب البرلمان على دعوة من فورتمبيرج من النائب كريستوف رومر[٣] (Christof Römer) لتنظيم عملية انتقال من تبقى من برلمان فرانكفورت إلى شتوتجارت [٤].

اجتمع من تبقى من برلمان فرانكفورت في شتوتجارت من السادس وحتى الثامن عشر من تموز في عاصمة مملكة فورتمبيرج، ضم البرلمان الليبراليين الذين كان لديهم أمل بأن تستجيب الأمة والحكومات الألمانية لإنقاذ آخر معاقل الديمقراطية في ألمانيا، لتأتي ثورة أيار القصيرة لتكون النهاية لكل المحاولات لإحياء الوحدة عن طريق الإرادة الشعبية.عاد النواب بعد ذلك كل إلى عمله الخاص بعد إعلان حل البرلمان في أيار ١٨٤٩م، ولكن بقي الجناح اليساري متمسكا بخيار أن برلمان فرانكفورت وما تبقى منه يمثل الشعب الألماني ؛داعين في نفس الوقت

---

[١] سمي بالبرلمان الشكلي أو الرديف على غرار البرلمان البريطاني بعد إبعاد كافة عناصر البرلمان الراديكاليين بقيادة كرومويل (Oliver Cromwell) سنة ١٦٤٨م ،حيث شكّل البرلمان الرديف و أعلان الجمهورية في بريطانيا .

[٢] (Theodor Reh)١٨٠١-١٨٦٦م أحد نواب مجموعة الكازينو من دارم شتات(Darmstaat) والذي كان عضوا في البرلمان التمهيدي وعضوا في لجنة الخمسين ،وعمل في لجان مختلفة أبرزها اللجنة المالية وكان نائبا للرئيس وأصبح رئيسا للبرلمان ما بين ١٠ أيار إلى ٣٠ أيار حتى استقالته من الرئاسة.

Ruppel, Hessische Abgeordnete 1820-1930,S.214-215.

[٣] هو **(Christof Gottlob Heinrich Friedrich Römer)** ١٧٩٤-١٨٦٤م محام من شتوتقارت شارك في لقاء هايبنهايم و اجتماع هايدلبيرج وهو أحد أعضاء لجنة السبعة ومن المشاركين في ثورة آذار وعضوا في برلمان فرانكفورت.لمزيد من المعلومات انظر:

Schneider ,Eugene, **Friedrich von Römer** .ADB. Band. 29. S. 117-120.

[4]**(SBVDKN)**.Band.VI.S.4220-25.

إلى الثورة وإقامة نظام اجتماعي جديد. ولعل أبرز الأعمال التي قام بها البرلمان في شتوتجارت هي الإعلان عن الوصاية على التاج الإمبراطوري ،فهذا الادعاء لم يخف حقيقة أن البرلمان لم يكن لديه القوة ولا السلطة ليفرضها على ألمانيا ،والذي بالكاد كان معروفا في ألمانيا وهذا ما أكده لوفه:"لن أتجادل معك حول شرعية مئة عضو من البرلمان حتى وان تقلص العدد إلى ثلاثة أعضاء ،يجب علينا أن نخلق شيئا جديدا غير فكرة الشرعية..." [١].

وبسبب الاضطرابات المنتشرة في المناطق القريبة من شتوتجارت ،وانتشار الإحجام عن دفع الضرائب التي دعا لها البرلمان في شتوتجارت ،وخشية فورتمبيرج من التدخل العسكري المحتمل نظرا لوجود ما تبقى من البرلمان في شتوتجارت ،قام ملك فورتمبيرج بإقالة البرلمان ،وصدر إعلان باسم السلطات الرسمية للدول الألمانية والتي من ضمنها فورتمبيرج بحل البرلمان وأعلن تعليق جلساته حتى إيجاد مقر مؤقت له ،وفي ١٧ تموز أعلن رومنز المتحدث باسم البرلمان أن شتوتجارت لم تعد المقر للبرلمان القومي ،وفي ١٨ تموز ١٨٤٨م داهمت القوات العسكرية المقر ولكن دون أن يكون هناك إراقة للدماء وأجبر الأعضاء من خارج فورتمبيرج على المغادرة[٢].غادرت لجنة الوصاية على التاج الإمبراطوري بقيادة رافوكس إلى بادن ،حيث اجتمعت في ٢٠ تموز وانضم لهم عدد من نواب الكارلسروهه"البرلمان" في بادن للعمل على استمرار البرلمان القومي هناك بمساعدة الحكومة الثورية فيها [٣].

وبشكل مواز تشكّلت الحملة الدستورية(Reichsverfassungskampagne)التي شنها الجناح الديمقراطي اليساري في برلمان فرانكفورت بعد رفض الملك البروسي التاج الذي عرضه عليه البرلمان،- تشكلت - أساسا من المعارضين في البرلمان لفكرة التاج البروسي من الديمقراطيين اليساريين،ومن الذين غادروا شتوتغارت بعد طلب السلطات منهم ذلك، وتعود فكرة الحملة إلى شخصين هما:فريدرش كولب (G. F. Kolb)١٨٠٨-١٨٨٤م وهو ناشر وسياسي ديمقراطي والذي كان عضوا في اجتماع هايبنهايم وعضوا في لجنة الخمسين وعضوا في برلمان فرانكفورت عن الدوتشر هوف،وهاينرش ريمان(Heinrich Arminius Riemann) ١٧٩٣-١٨٧٢م والذي كان أحد المتطوعين في حرب التحرير ضد نابليون تحت قيادة الجنرال فون لاتزورف،ومن المشاركين في تأسيس الاتحاد العام لطلبة ألمانيا[٤]وقبل يوم واحد من معركة

---

(1) W.F.Leove in: Winker, **Der lange Weg nach Westen**. Band. I.S187.

(2)Mann,**Biographisches Handbuch für das Preußische Abgeordnetenhaus**.S.251ff; Hans Georg Ruppel und Birgit Groß: Hessische Abgeordnete 1820-1930, Darmstadt 1980. S. 214-215.

(3) Ibid,S.215-217.

(4) Braeuer Walter **,G. F. Kolb** in:Neue Deutsche Biographie(NDB). Band.12 ,1980, S. 441-412.

فاجهويزل (Gefecht bei Waghäusel) تلك المعركة التي جرت ما بين القوات الثورية في بادن مع القوات البروسية يوم ٢١ تموز – والتي حققت القوات البروسية نصرا كبيرا عليهم بقيادة الجنرال فرانز سسيجل (Franz Sigel) ١٨٢٤-١٩٠٢م الذي أصبح فيما بعد أحد جنرالات الجيش الأمريكي – حيث أجبرت القوات البروسية الثوار على الانسحاب و تم تشتيتهم في مناطق مختلفة الى سويسرا وفرنسا والولايات المتحدة وكندا [1] .وكانت هذه المعركة حاسمة فيما يتعلق بنهاية برلمان فرانكفورت .

أعلنت هذه النهاية رسميا وفاة الفكرة القومية الألمانية من خلال البرلمان استناد إلى القاعدة والإرادة الشعبية، الأمر الذي قاد لاحقا لتطورات كبيرة في عقلية القادة الألمان المؤمنين بالوحدة باللجوء إلى أساليب أكثر قوة في فرض الوحدة ،وبناء أمة ألمانية على أسس موضوعية على رأسها الشعور القومي والضرورات السياسية الملحة لقيام دولة قومية ألمانية تماثل الدول القومية في أوروبا ، وأن تجد لنفسها موقعا على الخريطة السياسية الأوروبية ، وهو الأمر الذي تحقق لاحقا بعد مجهودات بسمارك ونجاحه في تأسيس الوحدة والدولة ألألمانية ،والتي لعبت دورا مهما ومحوريا في أوروبا والعالم منذ ذلك الوقت وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ م بسقوط هتلر ،وتلاشي حلم الإمبراطورية ألألمانية والتفوق العرقي الجرماني ،وكان ذلك سببا رئيسا في تغيير الخارطة السياسية العالمية بظهور القطبين الجديدين وانهيار النظام القاري الأوروبي القديم.

---

[1] Adam,Thomas, **Germany and the Americas: Culture, Politics, and History** (Transatlantic Relations), ABC-Clio Inc, 2005.p.971 ff.

الاستنتاجات والتوصيات:

شكلت تجربة الاتحاد الألماني من خلال برلمان فرانكفورت بعثا جديدا للفكر القومي الألماني بصورة مجسدة بقيت حية في العقلية الألمانية ،والتي كانت قبل البرلمان تحمل في طياتها تضادا كبيرا ما بين الفكرة القومية والفكرة الوطنية المحلية ، مابين الكاثوليك والبروتستانت وما بين ألمانيا الكبرى وألمانيا الصغرى ، ناهيك عن التوترات الاجتماعية ،فبرلمان فرانكفورت طرح كل هذه المسائل في وقت مبكر ليدور حولها النقاش والبحث ما بين ١٨٤٩م هزيمة الثورة والبرلمان – وحتى مطلع حروب بسمارك التي استهلها عام ١٨٦٣م بالحرب على الدنمارك، والتي انتصرت فيها الثورة الفوقية ولكن ليس من خلال الإصلاح الدستوري ورغبة العيش المشترك كما تخيل برلمانيو فرانكفورت ،بل بالحديد والنار وبنفس الطرح الذي كان يطرحه الليبراليون الراديكاليون بأن هؤلاء الأمراء لن يستجيبوا لكل التطلعات الجماهيرية بالوحدة ،وإن الحفاظ على عروشهم وسلطاتهم وامتيازاتهم هو أمر طبيعي بانتصار النزعة الإقليمية،والتي لن تتم من خلال الخطابات أو صناديق الاقتراع .فمثل هذا الطرح كان في النتيجة واحدا ولكن مع البون الشاسع في الآلية ما بين سلطة الشعب وسلطة مطلقة تفرض ما تراه هي أنه يصب في المصلحة القومية العليا .

صبغت نقاشات برلمان فرانكفورت الفترة اللاحقة ووضعت الخطاب السياسي الألماني في أطر وتوجهات سياسية جديدة ،وكان البداية لظهور الأحزاب السياسية ذات البرامج والأهداف

المحددة ،وطرحت القضايا الاجتماعية والاقتصادية في إطارها نحو القيام بالإصلاح وإعادة البناء ،وترسخت مفاهيم الثورة والإضراب كوسائل ناجعة في الحصول على الحقوق وبلورة المطالب العمالية وحتى بلورة التوجهات البرجوازية وحصولها على حقوقها والتي تمثلت في الدستور القومي الألماني ولائحة الحقوق الأساسية ،وتأكيد فكرة ألمانيا الصغرى كمفهوم أساس للدولة الألمانية القادمة ؛فإذا كان تخوف الدول الألمانية الذي كان له ما يبرره من ذوبان ألمانيا في بروسيا فقد تم تأكيده في برلمان فرانكفورت بطرح التاج الألماني على الملك البروسي،بالتالي تهيئة الجماهير إن لم نقل الحكام الألمان لتقبل زعامة بروسيا للرايخ الألماني .

كانت الثورة الفرنسية وبطلها نابليون حاضرة في جميع مراحل التكون الجيو–سياسي لألمانيا فالتغيرات التي أحدثتها الثورة الفرنسية على الصعيد الفكري والسياسي الألماني كان كبيرا وإن حاول بعض رموز الفكر الألماني إنكار تأثيرها ومحاولة تجنب نتائجها الدموية والثورية ،فالخريطة الألمانية التي لم يستطع مهندسو تسوية فينا تغييرها كانت الأساس لقيام الكونفدرالية الألمانية وبنفس الوقت الأساس الذي استند إليه البرلمان في وضع الدستور القومي الألماني ووضع تصوره للاتحاد الألماني ،والذي كان هيكل الوحدة الألمانية سنة ١٨٧٠م.

أثار البرلمان الألماني قضايا لا يمكن أن توصف إلا أنها فكر توسعي إمبريالي طرح قبل تحقيق الوحدة الحق في بناء مستعمرات ألمانية في ما وراء البحار ، وحق الشعب الألماني في أن يكون له أسطول قادر على توسيع حدود الرايخ ،بالتالي فإن فكرة "موطئ قدم تحت الشمس" الشعار الذي طرحه الألمان بعد الوحدة له جذوره الأولى في برلمان فرانكفورت،كما أن التصورات الأولى التي تم تقديمها في التوسع تجاه بولندا أو بوهيميا أو النظرة الفوقية في التعامل مع الشعوب الأقل استمرت حاضرة في العقلية الألمانية على المستوى الرسمي وعلى مستوى بعض المنظرين لفكرة التفوق العرقي للشعب الآري.

انتصرت في برلمان فرانكفورت أفكار الحياة المادية وما مثله توسع الاتحاد الجمركي الألماني التسولفراين كفكرة اقتصادية ناجحة يمكن تعميمها ويمكن الاستفادة منها ،وفي اعتقادي أنه لم تكن ألمانيا قد وصلت إلى مرحلة النضج الاقتصادي الكافي ليتولى البرجوازيون الحكم ، أو أن البرجوازيين بدلا من التحالف مع القوى الشعبية تحالفوا مع القوى الرجعية ، ولعله السبب الرئيس في فشل تجربة برلمان فرانكفورت ،وأن البرلمان بدلا من فرض سلطته التي كانت يجب أن تعبر في الأصل عن الإرادة الشعبية أبقى على المؤسسات القديمة وتحالف معها ظنا منه أنه بذلك يرضي هذه الفئات .وهذا ما قاد الطبقة البرجوازية الألمانية في ما بعد برلمان فرانكفورت للعمل على توسيع نشاطها الذي تمثل في التوسع في بناء السكك الحديدية وعمليات التصنيع ،وقد حدثت هجرة على نطاق واسع لمثل هؤلاء إلى العالم الجديد حيث عملوا على جلب خبرات

جديدة ورؤوس أموال انعكست إيجابا على رفاهية الشعب الألماني .وأضحى الانقسام واضحا ما بين الريف بعناصره الرجعية والمدينة وما تمثله من جذوة في النشاط الليبرالي والسياسي .

كان برلمان فرانكفورت نقطة تحول أساسية لألمانيا على كافة الصعد،ولم يكن هناك إمكانية للعودة إلى الوراء ؛فالحقوق الأساسية والديمقراطية والحق في تأليف الأحزاب السياسية ، والحقوق العمالية ومسؤولية الحكومة أمام ممثلي الشعب وقسم الجيش الدستوري ،أصبحت جزءا من الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للدول الألمانية التي استمرت فيها الأنظمة التقليدية التي غدت فيها الامتيازات الإقطاعية محصورة في جوانبها الضيقة وخاصة في الأرياف .

وأخيرا فهذه الدراسة تفتح الباب على دراسات من الممكن أن تكون رسائل جامعية في التاريخ المقارن على سبيل المثال :فكرة القومية العربية والقومية الألمانية،ما بين الجامعة العربية وكونفدرالية الراين .

قائمة المصادر والمراجع.

أولا:المصادر والمراجع الألمانية:

١.الوثائق غير المنشورة:

1. Deetz –Eduard ,Major Albert Deetz,**der Abgeordnete für Wittenberg in der Nationalversammlung,Chef des Zentralbürous des Reichskriegsministeriums und Kommandant von Frankfurt am Main 1848-1854**. In: Archiv für Frankfurts Geschichte und Kunst. (**AFGK**).
2. **Demokratische Hauptstadt vom 24.06.1848; in: Angermünder Anzeiger** , Frankfurt am Main 1848. (DHAA).
3. **Findbücher und Inventare Des Brandenburgischen Landeshauptarchivs**; Band. 5, Frankfurt am Main 1998.
4. **Hauptstaatsarchiv, Düsseldorf:** Jahres- Marktberichte 1829-1831, , No.1757.
5. **Offizieller Bericht über die Verhandlung zur Gründung eines den deutschen Parlaments.** Frankfurt am Main, 1848(**OBVGP**).
6. **Landesarchiv Koblenz:**
- 35 Sitzung, Artikel. 220 - 403,No.180.
- 442,No:909.S.3388-90.
7. **Reden, Proklamationen, Botschaften, Erlasse und Ordern Seiner**

Majestät des Königs Friedrich Wilhelm IV. 2. Abt. 2. Aufl. Berlin 1855.(RPKF).

8. **Rheinishe Briefe und Akten zur Geschichte der politischen Bewegung(RBA)** ,No. 2\1.

9. **Staatsarchiv Hamburg:**

– Statistische Tabellen zur Kenntnis der Zustände Hamburg's 1816–1852. Commissionsbericht über die Wohnungs–Verhältnisse der unbemittelten Volksklassen Hamburg's.

–Statistische Tabellen zur Kenntnis der Zustände Hamburg's 1816–1852.

10. **Staatsarchiv Merseburg**, Bericht 77, Tite l 94, 1846.

11. **Stenographischer Bericht über die Verhandlungen der deutschen Konstituiernden Nationalversammlung zu Frankfurt am Main. Herausgegeben auf Beschluß der Nationalversammlung durch die Redationskomission und deren Auftrag von Prof(SBVDKN).** Franz Wigard 7 Bände. Frankfurt am Main.Gedrückt bei Johann David Sauerländer,1848.

12. **Tabellen und Amtliche Nachrichten über den Preußischen Staat für das Jahr 1849, Band. IV , Die Resultate der Verwaltung enthaltend**, Berlin 1853. **(TANPS–IV)** .

13. **Verfassungsurkunde für das Königreich Bayern vom 26,** Bayerisches Gesetzblatt ,1818.

14. **Verordnung Seiner. Majestät des Königs von Sachsen Friedrich August II.zu Bekanntmachung des wegen Aufhebung der Censur** (in den Staaten des Deutschen Bundes) unterm 3ten März 1848 gefaßten Bundesbeschlusses. Vom 9 ten März 1848. Gesetz– und Verordnungsblatt für das Königreich Sachsen 1848.

٢.الوثائق المنشورة:

1. Binding, Karl, **Deutsche Staatsgrundgesetze**,Leipzg, 1893.
2. Huber, Ernst Rudolf, **Dokumente zur Deutschen Verfassungsgeschichte**. 3 Bände. Band 1: **Deutsche** Verfassungsdokumente 1803 – 1850.

٣.الكتب الألمانية:

1. Adalbert,Wilhelm von Preußen(1811–1873):**Denkschrift über die Bildung einer deutschen Flotte**,Berlin,1848.

2. Adelmann, Gerhard, **Der gewerblichindustrielle Zustand der Rheinprovinz im Jahre 1836**. Röhrscheid,Bonn, 1967.
3. Agthe, Adolf, **Ursprung und Lage der Landarbeiter in Adolf Livland Agthe**. XXIX Bände.Band. XII, OKart. Zeitschrift für die gesamte Staats-wissenschaft. Hrsg. von K. Bücher, Erg.-H. 29, Tübingen, Laupp, 1909.
4. Bauer,Otto, **Die Nationalitätenfrage und die Sozialdemokrati** ,Wien, 1907.
5. Beier.KA. Dobritzsch ,**Tausend Jahre deutscher Vergangenheit in Quellen heimatlicher Geschichte insbesondere Leipzigs und des Leipziger Kreises** , Leipzig 1911.
6. Berding,Helmut, **Napoleonische Herrschafts und Gesellschaftspolitik im Königreich Westfalen (1807-1813)**, Göttingen, 1973.
7. Berges, Wilhelm,**Das Reich Ohne Haupstadt**, Jahrbuch für die Geschichte des Deutschen Osten,Band. 1, 1952.
8. Best.Heinrich, **Die Manner von Bildung und Besitz: Struktur und Handeln parlamentarischer**. Beiträge zur Geschichte des Parlamentarismus und der politischen Parteien, Band. 90. Dusseldorf.1983.
9. Best, Heinrich und Wilhelm Weege (Hrsg.),**Biographisches Handbuch der Abgeordneten der Frankfurter Nationalversammlung 1848/49**, Droste, Düsseldorf, 1996.
10. Biedermann,Karl, **Erinnerungen aus der Paulskirche**,Leipzig 1849.
11. Bochm,Rudolf,**Handwerker–Sozialisten gegen Fabrikgesellschaft**.Lokale Fachvereine.Massengewerkschaft und industrielle Rationalisierung in Solingen 1870-1914.Vandenhoeck und Ruprecht,Göttingen ,1985 .
12. Bockenheimer,Karl Goerg., **Mainz in den Jahren 1848 und 1849**. **Mainzer** Verlagsanstalt und Druckerei, Main ,1906.
13. Borsche,Tilman.S**prachanansichten der Begriff dermenschlichen Redein der Sprachphilosophie Wilhelm von Humboldts** ,Klett Cotta,Stuttgart, 1981 .
14. Botzenhart,Manfred,**Geschichte des Parlamentarismus in Deutschland**. Weimar als Erfahrung und Argument ,Düsseldorf, 1974.
15. Böhmer, Günter, **Die Welt des Biedermeier**.Desch ,München,1968.
16. Brandt,Peter ,**Liberalismus:in Lutz Niethammer, Bürgerliche Gesellschaft in Deutschland**. Frankfurt am Main, 1990.
17. Corpus,Juris,**Confoederationis Germanicae oder Staatsakten für Geschichte und öffentliches Recht des Deutschen Bundes**, hrsg.V. Philip

p Anton Guido Meyer,Teil.1.Staatsverträge,3.Auflage Frankfurt am Main, 1858.

18. Dahlmann, F.C, **Kleiener Schriften und Reden, Ein Wort über Verfassung** . Stuttgart, 1886.
19. Dohm,Christian Wilhelm von, **Üeber den Deutschen Fürstenbund im 1785**. Berlin,1871.
20. Dronke, Ernst, **Berlin (1846)**. Rütten & Loening, Ost Berlin ,1953.
21. Dvorak,H.,**Biographisches Lexikon der Deutschen Burschenschaft**, Band.1, Teil 2, Heidelberg, 1999.
22. Fehrenbach ,Elisabeth,**Vom Ancien Régime zum Wiener Kongress**. Oldenburg Grundriß der Geschichte, Band. 12,Oldenburg Verlag,München – Wien, 1981.
23. Fischer,Wolfram,**SozialUnterschichten im Zeitalter Frühindustrialisierung in Wirtschaft** , Göttingen, 1972.
24. Frank, Möller, **Heinrich von Gagern. Charisma und Charakter**, in: Ders (Hg.): Charismatische Führer der deutschen Nation. München, 2004.
25. Freund, Michael, **Deutsche Geschichte**, von den Anfängen bis zur Gegenwart , München, 1 979.
26. Gagern,Heinrich von,**Deutscher Liberalismus im Vormärz:Briefe und Reden 1815-1848**. Musterschmidt, 1959.
27. Gehrke, Roland, **Der polnische Westgedanke bis zur Wiedererrichtung des polnischen Staates nach Ende des Ersten Weltkrieges.**Genese und Begründung polnischer Gebietsansprüche gegenüber Deutschland im Zeitalter des Nationalismus, Verlag Herder-Institut Marburg 2001.
28. Grimm ,Jacob,**Kleinere Schriften**, Band.7,Berlin,1884.
29. Goethe,Johann Wolfgang von, **Gesamtausgabe der Werke und Schriften**, 1770-1810.Hamburger Ausgabe in 14 Bände. Herausgegeben von Erich Trunz. München, 1976.
30. Goethe,Johann Wolfgang von, **Kampagne in Frankreich In**;Goethes Werke. Hamburger Ausgabe in 14 Bände. Herausgegeben von Erich Trunz. Band. X . München, 1976.
31. Görtenmaker,Manfred, **Deutschland im 19. Jahrhundert**. 4. Auflage. Leske & Budrich, Opladen , 1994.

32. Hansen,Joseph,**Rheinische Briefe und Akten zur Geschichte der politischen Bewegung 1830-1850.Band.I,1830-1845.**Publikationen der Gesellschaft für rheinische Geschichtskunde XXXVI, Düsseldorf, 1919.
33. Häusler, Wolfgang, **Von der Massenarmut zur Arbeiterbewegung: Demokratie und Soziale Frage in die Wiener Revolution vom 1848 .** Jugend & Volk,Wien & München, 1979.
34. Häusser, Ludwig, **Deutsche Geschichte vom Tode Friedrichs des Großen bis zur Gründung des Deutschen Bundes.** 2 Bände, Berlin,1862,
35. Heine,Heinrich, **über Ludwig Börne**,Berlin(1840;Ludwig Borne: Erinnerungen eines Revolutionärs) Herz,F,**Die Rechtsprechung der höchsten Reichsgerichtigkeit** , Mitteilungen des Institutes für Östereichische Gesch- ichtsforschung ,Band.69,Wien, 1961.
36. Hermand,Jost, Der **Deutsche Vormärz.**Texte und Dokumente.Stuttgart 1967.

37. Hintze,Otto,**Die Hohenzollern und ihr Werk Fünfhundert Jahre Vaterlän-dische Geschichte**, 6te Auflage . Paul Parey, Berlin, 1915.
38. Hock,Sabine und Evelyn Hils-Brockhoff,**Die Paulskirche :Symbol demokratischer Freiheit und nationaler Einheit.** Eine Veröffentlichung des Instituts für Stadtgeschichte und der Frankfurter Sparkasse, Institut für Stadtgeschichte Frankfurt am Main und bei den Künstlern und deren Rechtsnachfolgern,1998.
39. Hoede, Roland,**Die Paulskirche als Symbol. Freimaurer in ihrem Wirken um Einheit und Freiheit.** Bayreuth/Frankfurt, 1999.
40. Hoffmann, Jürgen.,Das **Ministerium Camphausen- Hansemann:** Zur Politik der preussischen Bourgeoisie in der Revolution von 1848. Berlin: Akademie Verlag, 1981.
41. Hörner, Manfred, **Die Wahlen zur badischen zweiten Kammer im Vormärz (1819-1847).**Verlag Vandenhoeck & Ruprecht ,Göttingen, 1987.
42. Huber ,Ernst Rudolf,**Deutsche Verfassungsgeschichte seit 1789.**7 Bände, Stuttgart W. Kohlhammer,1981.
43. Hug,Wolfgang und Wilfried Danner,**Geschichtliche Weltkunde**,3 Bände, band.2,**vom Zeitalter der Entdeckungen bis zum Ende des 19. Jahrhunderts** . Verlag Moritz Diesterweg,Berlin,1975.S.139.

44. Humboldt, Wilhelm von, **Werke**,fünf Bände,Darmstadt,1963.

45. Jehle, Manfred,Heinrisch Hengst und Andere ,**Atlas Weltgeschichte**, Helmut Lingen Verlag GmH& Co KG Kölen,2008.

46. Jürgen ,Hans,und Hebahr Benedict,**Kirchen als Träger der Revolution.Ein politisches Handlunsmodell am Beispiel der USA:Geschichte, Politik, Konkretionen**, Band.3. Furche ,Hamburg, 1968.

47. Kjellen, Rudolf ,**Der Staat als Lebensform**, Leipzig, 1917.

48. Klüber, J.Ludwig,**Akten des Wiener Kongresses in 1814-1815**.Osnbrück, 1996.

49. **Kocka**, Jurgen, **Weder Stand Noch Klasse**:Unterschichten um 1800; Arbeitsverhaltnisse und Arbeiterexistenzen: Grundlagen der Klassenbildung im 1800-1875, J.H.W. Dietz Nachf.Bonn, 1990.

50. Koselleck, Reinhart, **Preussen zwischen Reform und Revolution**, 4. Auflage.Stuttgart, 1987.

51. Köbler, Gerhard und Hermann Nehlsen(Hg.), **Wirkungen europäischer Rechtskultur**. Festschrift für Karl Kroeschell zum 70. Geburtstag. Verlag C.H. Beck, München 1997.

52. Kölz, Alfred, **Neuere Schweizerische Verfassungsgeschichte**. Ihre Grundlinien vom Ende der Alten Eidgenossenschaft bis 1848. Verlag Stämpfli , Bern ,1992.

53. Kurschmann,Heinrich,**Blaubuch des Korps Hannover (1809-1899)**. Göttingen,2002.

54. Kurzgefasstes, Spann, **System der Gesellschaftslehre** , Berlin, 1914.

55. Ladendorf, Otto, **Historisches Schlagwörterbuch**. Strassburg, 1906.

56. Langewiesche,Dieter ,**Liberalismus im 19. Jahrhundert**. Deutschland im Europäischen Vergleich. Göttingen, 1988.

57. Lenger, Friedrich. S**ozialgeschichte der Deutschen Handwerker seit 1800**. **Surkahmp**,Frankfurt am Meinz ,1988.

58. Leonhard, Jörn, **Liberalismus zur Historischen Semantik eines Europäischen Deutungsmusters**. München, 2001.

59. Lindemann, Margot,**Deutsche Presse bis 1815.Geschichte der deutschen Presse Teil.1,Abhandlungen und Materialien zur Publizistik**,Band.5, Berlin , 1969.

60. List ,Friedrich, **Das nationale System der politischen Ökonomie**,Stuttgart, Tübingen, 1841.

61. Mann, Bernhard, Cornelia Rauh ,Martin Doerry und Thomas Kühne, **Biographisches Handbuch für das Preußische Abgeordnetenhaus**,1867–1918. Droste, Düsseldorf, 1988.
62. Matz, Klaus Jürgen, **Pauperismus und Bevölkerung: Die Gesetzlichen Ehebeschränkungen in den Süddeutschen Staaten während des 19.** Jahrhunderts, Stuttgart, 1980.
63. Meinecke, Friedrich, **Radowitz und die deutsche Revolution**.Berlin, 1913.
64. Meinecke, Friedrich,**Weltbürgertum und Nationalstaat**,Studien zur Genesis des deutschen **Nationalstaates**. Oldenburg, München, 1911.
65. Mommsen, Wolfgang. J, **Der deutsche Liberalismus zwischen klassenloser Bürgergesellschaft und organisiertem Kapitalismus**, Geschichte und Gesellschaft 4, 1978.
66. Müller,Helmut, **Schlaglichter der deutschen Geschicte**,Bundestrade für politsche Bildung ,Leipzg- Mannheim, 2002.

67. Obenaus, Herbert, **Anfänge des Parlamentarismus im Preußen bis 1848**. Droste Verlag,Handbuch der Geschichte des deutschen Parlamentarismus , Dusseldorf, 1984.
68. Obermann ,Karl, **Die deutschen Arbeiter in der Revolution von 1848**. Berlin , 1953.
69. Palacky, F., **Gedenkblatt**. Prague, 1874.
70. Petersdorff,Hermann von, **Bismarck: Die gesammelten Werke**.Otto Stolberg, Berlin ,1924-35.
71. Prinz, Friedrich,**Geschichte Böhmens 1848-1948**.Langen Müller,München, 1988.
72. Radowitz, Josef von.,**Nachgelassene Briefe und Aufzeichnungen zur Geschichte der Jahre 1848-1853**. W. Moring ed. 1922.
73. Reichard ,H.,**Seine Selbstbiographie** ,Stuttgart,1877.
74. Reininghaus, Wilfried und Axel Eilts, **Fünfzehn Revolutionsmonate. Die Provinz Westfalen vom März 1848 bis Mai 1849. Für Freiheit und Recht. Westfalen und Lippe in der Revolution 1848/49**. Münster, 1999.
75. Repgen, Konrad.**Märzbewegung und Maiwahlen des Revolutionsjahres 1848 im Rheinland**. Ludwig Röhrsheid,Bonn,1955.
76. Ribhegge,Wilhelm.,**Das Parliament als Nation die Frankfurter**

Nationalversammlung 1848/49, Droste, Düsseldorf,1998.

77. Ritter,Joachim,**Hegel und die Französische Revolution**,Köln und Opladen,1957.
78. Rotteck, Carl von, **Gesammelte und nachgelassene Schriften mit Biographie und Briefwechsel**, Pforzheim, 1841.
79. Rotteck,Carl von und Carl Welcker, **Das Staats-Lexikon:** Encyklopädie der sämmtlichen Staatswissenschaften für alle Stände. 2.Auflage. Verlag von Johann Friedrich Hammerich, Altona ,1845-48.
80. Rönnpag, Otto **,Ein Eutiner in der Paulskirchenversammlung 1848 – Maximilian Heinrich Rüder**. Jahrbuch für Heimatkunde – Eutin Heimatverband ,Eutin,1978.
81. Ruppel, Hans, Georg und Birgit Groß, **Hessische Abgeordnete 1820-1930**. Darmstadt, 1980.
82. Rainer Koch, **Industriesystem oder bürgerliche Gesellschaft** , Geschichte in Wissenschaft und Unterricht, 39, Sonderdrucke aus der Albert-Ludwigs-Universität Freiburg ,1978.
83. Schissler, Hanna, **Preußische Agrargesellschaft im Wandel:Wirtschaftliche, gesellschaftliche und politische Transformationsprozesse von 1763 bis 1847** , Göttingen , 1978.
84. Schmoller,G.(1904)**Grundriss der Allgemeinen Volkswirtschaftslehre**,2 Bände , Duncker & Humblot Schneider, Leipzig, 1962.
85. Schnabel ,Franz,**Deutsche Geschichte im 19 Jahrhundert**, 4 Bänd, Band.2 , **Monarchie und Volkssouveränität**, München, 1933.
86. Schopenhauer, Johanna, **Ihr glücklichen Augen Jugenderinnerungen.** Tagebücher, Briefe. Hrsg. von Rolf Weber. 2 Bände. Ost Berlin 1979.
87. Schöttle,Rainer, **Politische Freiheit für die deutsche Nation,** Baden-Baden,1985.
88. Schöttler, Peter, **Die Rheinischen Fabrikgerichte im Vormärz und in der Revolution von 1848/49**. Zwischenergebnisse einer sozialgeschichtlichen Untersuchung.Zeitschrift für neuere Rechtsgeschichte 7, Moos Baden,Baden, 1986.
89. Schüßler,Wilhelm ,**Bismarck, Otto von: Reden 1847-1869**. Band.10, Berlin 1928.
90. Spies, Hans Bernd , **Die Erhebung gegen Napoleon 1806-1814/15**,Quellen zum politischen Denken der Deutschen im 19. und 20

.Jahrhundert Freiherr von Stein-
Gedächtnisausgabe, Band. 2, Darmstadt,1981 .

91. Srbik, Heinrich Ritter von, **Metternich: Der Staatsmann und der Mensch**, 2. Bände. Bruckmann, München, 1925.
92. Stadelmann,Rudolf, **Sozial Ursachen der Revolution von 1848**, moderne deutsche Sozialgeschichte, Berlin, 1970.
93. Stein,Freiherr Vom,**Briefe Und Amtliche Schriften**.Erich Botzenhart Walther Hubatsch, Stuttgart, 1974.
94. Träger ,Claus,**Deutsche Schriftsteller zur Französischen Revolution**, Bibliographisches Institut, Leipzig ,1989.
95. Thielen, Peter G, **Karl August von Hardenberg, 1750-1822 - Eine Biographie**. Köln und Berlin, 1967.
96. Valentien ,Veit,**Geshichte der deutschen Revolution von 1848-1849**,2 Bände.Ullstien ,Berlin,1930-1931.
97. Warth,Johan August, **Das National fest deutschen zu Hambach** .Neustadt , Phiipp Christmann,1832,Reprent :Meininger,1981.
98. Wehler,Hans-Ulrich, **Deutsche Gesellschaftsgeschichte**. Band.2: **Von der Reformära bis zur industriellen und politischen "Deutschen Doppelrevolution" 1815-1845/49**. München, 1989.
99. Wiechmann ,Gerhard, **Die preußisch-deutsche Marine in Lateinamerika 1866 – 1914: eine Studie deutscher Kanonenbootpolitik**, Kap.2. Oldenburg, 2000.Winkler, Heinrich August, **Der lange Weg nach Westen**. Band. I. **Deutsche Geschichte vom Ende des Alten Reiches bis zum Untergang der Weimarer Republik**. 5.Auflage. C.H. Beck, München, 2002.
100. Wirtz,Rainer,**Widersetzlichkeiten**;Excesse,Crawalle,Tumulte und Skandale: Soziale Bewegung und gewalthafter Protest in Baden 1815-1848, Sozialgeschichtliche Bibliothek, Ullstein,Frankfurt am Main,198.
101. Zimmermann, Wilhelm,**Allgemeine Geschichte des Großen Bauern-Krieges**. nach handschriftlichen und gedruckten Quellen, .Stutgart, 1854.

٤.الدوريات الألمانية:

1. Hausherr, Hans, **Hardenbergs Reformdenkschrift Riga 1807**,HZ 157 (1938) , S. 267-307.
2. Hölzle, Erwin,**Das Napoleonische Staatssystem in Deutschland**.

Heidenheim Zeitung , Band. 148, 1933, S.277-293. Wolfram, Fischer , **Der Deutsche Zollverein** , die Europäische Wirtschaftsgemeinschaft und die Freih- andelszone, Europe Archive, Band.V, S.105-114,1961.

3. Kermann, Joachim**, Die gesundheitliche soziale und wirtschaftliche lage der pfälzischen Land- bevölkerung in der Mitte des 19.** Jahrhunderts nach den Berichten der Kantonärzte und des Kriesmedizinalrates ,MHVP, Band. 74 , 1976.

٥.الموسوعات الالمانية:

1. **Allgemeine Deutsche Biographie (ADB)** 56 Bände, Duncker & Humblot, Leipzig ,1875-1912.
2. **Neue Allgemeine Deutsche Biographie (NDB)** 56 Bände, Duncker & Humblot , Leipzig,1875-1912.
3. **Neues von der historischen Wirtschaftsrate der Rheinland**.Rheinische Vierteljahres blätter.Berlin. No :30, 1965.

٦.الصحف الالمانية:

1. **Allgemeine Zeitung,** Augsburg, 127, 6. 5.1848.
2. **Deutsche Zeitung**, Heidelberg, Oktober 15,1847.
3. **Kölnishe Zeitung**,14 März,1848.
4. **Neue Rheinische Zeitung**, Kölen ,5-8 März,1849.
5. **Reichs-gesetz-blatt(RGB)**, Berlin,1867.
6. Schleswigsches Journal ,17-July 1793.

ثانيا:المصادر والمراجع الانجليزية.

١.الوثائق غير المنشورة.

1. **Letter from Thomas Lack to Sir Geogshee 25th May,1833. F.O,No.30/135.**
2. **Letter from Lord Palmarstoon to Baron Omptede, 7th June ,1833.F.O. No 34 /23.**
3. **Letter from Lord Palmarstoon to Sir E.Cromwell, 24th September,1841 .F.O. ,No 37/55.**
4. **Dr. John Bowring, Report on the German Commercial Union to the Parliament, 31Augast 1839. Parliamentary Papers, HC 225, and F.O 97/326.**

٢.الكتب باللغة الانجليزية:

1. Adam,Thomas, **Germany and the Americas: Culture, Politics, and History** (Transatlantic Relations), ABC-Clio Inc, 2005.
2. Ashley,Percy, **Modern Tariff History: Germany, United States, France.** 4ed (First ed 1904), Dutton & Company, London, 1920.
3. Barraclough, G, **The Origins of Modern Germany**, Basil Blackwell, Oxford , 1966.
4. Benecke, Gerhard, **Society and Politics in Germany, 1500-1750** , University of Toronto Press, Toronto, 1974 .
5. Berger, Helge, Mark Spoerer, **Economic Crises and the European Revolutions of 1848**, 1848 conference in Offenburg, October 2000.
6. Biro, Sydney Seymour,**The German policy of revolutionary France: A study in French diplomacy during the war of the first coalition, 1792-1797.**Mass U.P , Cambridge,1957.
7. Blanning,T.C.W,**The French Revolution in Germany;Occupation and Resistance in the Rhineland, 1792-1802 ,** Oxford University Press, Oxford, 1983.
8. Büsching, A .F, **Anew System of Geography,** London,1762.
9. Craig,Gordon, **Theodor Fontane:Literature and History in the Bismarck Reich.** Oxford University Press, New York, 1999.
10. Dahlinger, Charles, German **Revolution of 1849: Being An Account of the final struggle in Baden for the Maintenanc of German First National Representative Government.**G.P. Putnam's, New York & London ,1903.
11. Denholm, A., **France in Revolution** 1848.Wiley, 1972.
12. Doyle, William, **The Old European Order 1660-1800.**Oxford Press, Oxford, 1978.
13. Eyck, Frank, **The Frankfurt Parliament 1848-1849, Macmillan**, London, 1968 .p.14; Martin Kitchen, **A history of Modern Germany 1800-2000.** Wiles-Black well, London, 2006.
14. Fremdling,Rainer, **Railways and the Economic Development of Westerns Europe,1830-1914 .** Martin's Press, New York,1983.
15. Fyffe,Henriette F.A,**History of Modern Europe 1792-1878,** London, 1895. Re-Publishing By Globes® Publishing's 2008.
16. Georges, Lefebreve, **The French Revolution**, New York ,1962.
17. Goldstone, Jack A, **Revolution and Rebellion in the Early Modern World.** Berkeley, University of California Press, 1991.

18. Gooch, G.P,**Germany and French Revolution**,Russell & Russell,New York ,1966.
19. Gunther,E, **Rothenberg Napoleon's Great Adversary:Archduke Charles and the Austrian Army 1792-1814**,Bloomington,1982
20. Hertz, Frederick, **The development of the German public mind, Social History of German political sentiments, aspirations and ideas**.Allen & Unwin, London,,1957
21. John Breuilly,**Labor and liberalism in 19th Century in Europe**.Manchester , 1992 .
22. Kant Immanuel , **What Is Enlightens?,** Indiana, B & M,1957.
    Political Writings (Cambridge Texts in the History of **Political** Thought) Edited by H.S Reiss,translated by: H.B Nisbet ,Cambridge University Press, U.k,1991.
23. Kitchen, Martin,**A history of Modern Germany 1800-2000**.Wiles-Black well, London, 2006.
24. Kraehe, Enno. E, **Metternich's German Policy**, 2 vols,.Princeton University Press, Princeton, 1983.
25. Legge,J.G,**Rhyme and Revolution in Germany:A study in German Histor y and Character 1813-1850**. Brentanos, U.K ,1919.
26. Lente, Dick van**, The Critique Of Industrial Technology in the Netherlands and other Western Countries in the Nineteenth Century**. Erasmus University, Rotterdam, 2003.
27. Marx.K. and F. Engels, **Selected Works**. vol.1, Progress Publishers, Moscow, 1969.
28. Marriott, J.C,and Grant Robertson, The Evolution of Prussia, the Making of an Empire. Calderon Press Oxford, Oxford, 1917.
29. Mulhall,M, **A Dictionary** Of Statistics. 2 ed,G. Routledge and Sons , London ,1892.
30. Nicolson, Harold,**The Congress of Vienna:A Study in Allied Unity: 1812-1822**, Harcourt, Brace and Company, New York, 1946.
31. Ramm , Agatha, **Germany 1789-1919**,London, 1967.
32. Seeley, J.F, **Life and Times of Stein**, 2 vols, Boston, 1889.
33. Sheehan, James J, **German History 1770-1866**. Oxford University Press, New York,1989.

34. Shepherd, William R.**Shepherd's Historical Atlas.** Henry Holt and Company, New York, 1911.

35. Sorel ,Albert, **Europe and the French Revolution:The Political Traditions of the Old Regime.** trans: Alfred Cobban & J. W. Hunt, London,1969.

36. Sperber, Jonathan, **Rheineland Radicals: The Democratic Movement and the Revolution 1848-1849.** Princeton University Press, New Jersey, 1991.

37. Strauss, G. L. M., **Men Who Have Made the New German Empire,** Vol. II, Tinsley Brothers London, 1875.

38. Taylor, J.A P, **The Course of German History**; A Survey of the development of Germany,1ed, Hamish Hamilton, London,1956.

39. Tilly, Richard, **Banking in the Early Stages of Industrialization: A Study in Comparative Economic History.** Oxford University Press,1967.

40. Toynbee,Arnold,**Lectures on the Industrial Revolution in England**, London, 1884.

41. Treitschke, Heinrich von, **History of Germany in the 19th Century**,Vol.1, Translated by Eden & Cedar Paul.McBride,Nast & Company, New York ,1915 .

42. Vick.B.E., **Defining Germany: The 1848 Frankfurt Parliamentarians and National Identity.** Harvard University Press.Cambbrige,2002.

43. **Wadsworth, Henry, The Poets and Poetry of Europe**, Carey and Hart, Philadelphia, 1845.

44. Walker,Mack, **German Home Towns:Community, State, and General Estate , 1648-1871,** Ithaca, New York,1971.

45. Wandruszka, Adam.**The House of Habsburg: Six Hundred Years of an European Dynasty.** Doubleday, 1964 (Greenwood Press, 1975).

46. Weber, Max, **Wissenschaft Als Beruf;Gesammelte Aufsätze zur Politek** , Siebeck und Mohr, Tübingen, 1919.

الدوريات في اللغة الانجليزية:

1. Blanning, T.C,**German Jacobins and the French Revolution**, The Historical Journal 23:pp.985-1002, 1980, Cambridge University Press, 1980.

2. Dumke,Rolf ,**The Political Economy of Economic Integration: The Case of the German Zollverein of 1834**, Queen's University Discussion Paper No. 153 ,8th Annual, Institute for Economic Research, Queen's University, Canada, 1974.

3. Eley,G., **Defining social Imperialism:Use and Abuse of an Idea**, Social History, Cambridge University Press vol. 19, 3October 1976. pp.265-90.
4. Evaus, R, **Religion and Society in Germany.** Europe Studies Review,22/3,1982.pp.249-288.
5. James, C, **Germany and European Civilization**, The New International Contents by Issue, New York (April 1940 – December 1946) Volume VI, Number 3, November 1944. pp .357-361.
6. Lee, Lloyd E, **Liberal Constitutionalism as Administrative Reform**: The Baden Constitution of 1818, CEH 8, 1975.
7. Schmitt, Hans, **Germany without Prussia**; A Closer look at the Confederation of the Rhine. German Studies Review,4/1,1983.pp.9-39.
8. Schroeder, W, **The 19th Century International System** :Changes in Structure. World Politics, vol.39, 1986.
9. Strauss, Gerald, **The Holy Roman Emprise Revisited.** Central Europe History Journal 11:3, September, 1978. pp.290-301.
10. Vanhaute,Eric and Others , **The European subsistence crisis of 1845-1850 : a comparative perspective**, IEHC, Session 123, Helsinki 2006.
11. Wars, Crouzet Francois, **Blockade and Economic Change in Europe 1792-1815**, The Journal of Economic History ,Vol. 24,Nr 4.Economic History Association , Cambridge University Press, 1964, pp. 567-588.
12. Zadoks,J.C,**The Potato Murrain on the European Continent and the Revolution of 1848**.Potato Research 51:5–45.DOI 10,2008.

ثالثا.المراجع العربية والمترجمة.

١.الكتب العربية المترجمة.

١. بادمان، باربارا وبريجيتا ابرلة،**عصور الأدب الألماني ؛تحولات الواقع ومسارات التجديد** ، ترجمة هبة الشريف.سلسلة عالم المعرفة ،ع:٢٧٨، الكويت ،فبراير (شباط)٢٠٠٢.

٢. باوم، إريك هوبز،**عصر الثورة:أوروبا ١٧٨٩-١٨٤٨م** ،ترجمة فايز الصايغ، ط١، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ٢٠٠٧.

٣. بروان ،جيفري ،**المدنية الأوروبية في القرن التاسع عشر ١٨١٥-١٩١٤م**.ترجمة محمد أحمد علي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ،١٩٦٦م.

٤. بيرريو، جان ،**الثورة الصناعية١٧٨٠-١٨٨٠**،ترجمة إبراهيم خوري، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق،١٩٧٥.

٥. جرانت،أ.ج وهارولد تمبرلي،**أوروبا في القرنين التاسع عشر والقرن العشرين ١٧٨٩ –١٩٥٠**،ط١،ترجمة: بهاء فهمي، مؤسسة سجل العرب ،القاهرة ،د.ت .

٦. حاطوم ،نور الدين ،**حركة القومية الألمانية** ،ط١،معهد البحوث والدراسات العربية،القاهرة،١٩٧٠.

٧. دريفوس، فرانتسوا جورج ،وآخرون،**أوروبا من عام ١٧٨٩م وحتى أيامنا** ،موسوعة تاريخ أوروبا العام، الجزء الثالث،ط١، منشورات عويدات ،بيروت ،١٩٩٥م.

٨. ديفز ، هـ.و ،**أوروبا في العصور الوسطى**، ترجمة عبد الحميد حمدي محمود، الإسكندرية ،١٩٨٥.

٩. ديلو، ستيفن،**التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني**.ترجمة ربيع وهبة ،القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ،٢٠٠٣.

١٠.ديورانت،ول وايريل ،**قصة الحضارة،عصر نابليون**،الكتاب الأول: الثورة الفرنسية ١٧٨٩–١٧٩٩،ترجمة:عبد الرحمن الشيخ ،ط١،المجمع الثقافي– أبو ظبي،دار الجليل،بيروت ،٢٠٠٢.

١١.رزق، يونان لبيب،وآخرون،**أوروبا في عصر الرأسمالية** .دار الثقافة العربية ،القاهرة،١٩٨٣.

١٢.رسل،براترند ،**الحرية والتنظيم** ،ط١،ترجمة عبدالكريم أحمد،مكتبة الانجلو–المصرية القاهرة ، د.ت.

١٣.رول، اريك ،**تاريخ الفكر الاقتصادي** ،ترجمة راشد البرادي ،القاهرة ،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٨م.ص٢٠٥.

١٤.ريمون،رينيه ،**النظام القديم والثورة الفرنسية١٧٥٠–١٨١٥م**، ترجمة:علي مقلد ،ط١،مؤسسة نوفل، بيروت ،١٩٨٤.

١٥.سيغمان،جان،**الثورات الكبرى في التاريخ:١٨٤٨م الثورات القومية والديمقراطية والرومانسية**.ط١، ترجمة هنرييت عبودي، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت،١٩٨٣.

١٦.شكري،محمد فؤاد،**أوروبا في القرن التاسع عشر:الصراع بين البرجوازية والإقطاع١٧٨٩–١٨٤٨م** ،٣مج ،ط١،دار الفكر العربي، القاهرة ،١٩٥٨م .

١٧.عمر،عبد العزيز عمر،**أوروبا ١٨١٥–١٩١٩**.دار المعرفة الجامعية ،السويس ١٩٩٥.

١٨.فالنتين،فايت،**تاريخ الألمان مع عرض موجز للتاريخ الالماني١٩٤٥–١٩٩٠م**، ط١،ترجمة احمد حيدر، الأبجدية للنشر والتوزيع ،دمشق ،١٩٩٤م.

١٩.فوريه، فرانتسوا،**الثورة الفرنسية في مواجهة الفكر** ،ط١،ترجمة رباب العابد ،وزارة الثقافة ،دمشق ،١٩٩٩.

٢٠.فيشر ،هـ.أ.ل،**تاريخ أوروبا في العصر الحديث١٧٨٩-١٩٥٠م**.دار المعارف ،القاهرة ،١٩٧٦.

٢١. قاسمية،خيرية،**تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر**. مطبعة خالد بن الوليد ،دمشق ،١٩٨٢.

٢٢. ماركس، كارل ،

- **رأس المال** ،مج١، ط٣،ترجمة راشد البرواي،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،١٩٧٠.
- **لودفيغ فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية** :مختارات من ماركس وانجلز ،٤ أجزاء، ترجمة: الياس شاهين، موسكو،دار التقدم، د.ت .
- وانجلز ، **المراسلات** ،ترجمة فؤاد أيوب،ط١، دار دمشق،١٩٨١.

٢٣.كوبلاند ج.و.، ب .فينوجرادوف،**الإقطاع والعصور الوسطى في غرب أوروبا** ،ترجمة محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٨٥.

٢٤.لوبون ،غوستاف ،**روح الثورة الفرنسية** ،ط١،ترجمة: محمد زعيتر ،المطبعة العصرية،القاهرة ،١٩٣٤.

٢٥.لوكاش،جورج ،**تحطم العقل** ،٣ أجزاء، ج١: **الظاهرة الدولية** ،**تاريخ ألمانيا** ،.ت:الياس مرقص،ط٢. دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت ،١٩٨٣م.

٢٦.لينين ،فلادمير ،**سيرة مختصرة وعرض للماركسية**، الأعمال الكاملة للينين ،دار التقدم موسكو،دت.

٢٧.مصطفى ،محمد عبد الرحيم ،عباس الخرادلي ،**أوروبا في القرن التاسع عشر**. ط١ ،ال مكتبة الاهلية الجديدة ،القاهرة ،١٩٣٦.

٢.الموسوعات العربية:

١. الكيالي عبد الوهاب ،**الموسوعة السياسية**،٧ج ،ط١،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،١٩٨٣.

٢. **الموسوعة العربية**،المجلد الثالث عشر ،التاريخ والجغرافيا و الآثار ،دار الفكر دمشق،١٩٨١م.

THE EXPERMENT OF THE GERMAN UNIFICATION REPRESENTED BY THE FRANKFURT PARLIMANT OF 1848-1849.

By

Amjad Ahmad Alzoubi.

Supervisor:

Dr.**Abdelmajeed Alschanng.** Prof

Abstract

The Frankfurt Parliament1848-1849 was the first freely elected parliament in German. Its existence was both part and result of the march revolution in the states of the Germany Confederacy. Through long and controversial debates, the assembly produced the so-called Paulskirche Constitution based on the principles of Parliamentary democracy, this constitution fulfilled the main demands of the liberal and nationalist movements of the Vormärz, both of which stood in opposition to Metternich's system of Restoration.

If we look at the political map of the German Confederation (1815 - 1866) with its 39 member states, we can see that it was the result of the Napoleonic Wars and of direct military pressure from Napoleon Bonaparte. After the victory over Napoléon in 1814, the Vienna Congress created the German Confederation in 1815 (Deutscher Bund).

In the mid-1840s there was a renewed increase of the frequency of internal crises. This was partially the result of large-scale political developments. The changes caused by the beginnings of industrialization exacerbated social and economic tensions considerably.So this study will try to answer these questions :What are these changes that led to the Revolution of 1848? What are the outcomes of the Revolution ?How was the Frankfurt Parliament formed? How was the Unification for the first time in modern German history? What are the factors that led to the failure of the Unification experiment?

The significance of this study lies in the fact that it sheds light on an important era in the European history in general and the German in particular. This study aims at being detailed and concentrating on the Revolution and the Unification experiment .It also provides accurate information for scholars and researchers;

specially, it's the first one in the Arab World in this field .in the other hand, Germany has its importance in the modern history because of its influence on the world history; So following up the original roots for this Unification it becomes necessary, specially in the absence of Arabic studies specialized in such aspects. This study has been divided into a preface, introduction, four sections and a conclusion like this:

- The first section: The Political Changes since the French Revolution up to 1848.
- The second section: The Economic and Social Changes since the Industrial Revolution up to the revolution of 1848.
- The third section: the Revolution of March 1848 and the Pre-parliament.
- The fourth section: the Frankfurt Parliament and the German Unification.

The most important conclusions for the study lie in the experiment of German Unification represented by the Frankfurt parliament new resurrection for the national German thinking. The debates that took place in the Frankfurt Parliament can be seen clearly in the next period and it affected the official German speeches and gave it new forms and new policies.